الدكتور عبد المنعم النمر

حياته ومؤلفاته في تاريخ الهند

تأليف

محمد نوشاد النوري القاسمي

قام بنشره

مجمع حجة الإسلام

الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند الهند

الدكتور عبد المنعم النمر
حياته ومؤلفاته في تاريخ الهند

الدكتور عبد المنعم النمر
حياته ومؤلفاته في تاريخ الهند

تأليف: محمد نوشاد النوري القاسمي

الطبعة الأولى: ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

الرقم الدولي:٥-١٥-٨٤٧٧٥-٩٣-٩٧٨

مجمع حجة الإسلام، الجامعة الإسلامية دارالعلوم وقف ديوبند

ISBN NO. 978-93-84775-15-5

Hujjat al-Islam Academy
Aljamia al-Islamia Darululoom Waqf Deoband
Eidgah road, P.O 247554, Deoband,
Distt: Saharanpur, U.P. INDIA
Tel: +91-1336-222352, Mob: +91-9897076726
Email: hujjatulislamacademy2013@gmail.com
hujjatulislamacademy@dud.edu.in
Website: http://www.dud.edu.in

الدكتور عبد المنعم النمر
حياته ومؤلفاته في تاريخ الهند

تأليف:

محمد نوشاد النوري القاسمي

قام بنشره

مجمع حجة الإسلام

الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند الهند

الإهـــــــداء

إلى

- رمز الوفاء والحنان ودوحة الحب والإخلاص:

أبي وأمي وأخي وأخواتي وسائر أعضاء أسرتي.

- نجوم الهدى ومصابيح الدجى:

أساتذتي ومشايخي وكل من علمني حرفًا.

- قلاع الإيمان ومنارات الثقافة:

دار العلوم ديوبند ودار العلوم وقف ديوبند.

تقديم

سعادة البروفيسور محسن العثماني الندوي*

يسعدني أن أقدِّم لبحث علمي قيم، أعده الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي لرسالة الماجستير في جامعة لكناؤ، وهو يدور حول شخصية الرجل العبقري العلامة عبد المنعم النمر المصري (١٩١٣م -١٩٩١م).

إن الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر الذي تولى وزارة الأوقاف في مصر ملأ العالم العربي بكتاباته وتأليفاته عن الهند وتاريخها ورجالاتها، كما أن له مؤلفات علمية قيمة في مختلف المواضيع الإسلامية بما فيها التفسير والحديث والفقه والفرق الإسلامية والمشاكل والتحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في العصر الحاضر، ومن ثم عُرف بقوة شعوره التحليلي ودقة رؤيته النقدية، وسرعة توصله إلى الحل الحاسم في القضايا الشائكة. تقلب الشيخ في عديدٍ من المناصب العلمية والدينية، وأدى عددًا من المهام الدينية والدعوية والأدبية والتربوية، وكان من أهم خدماته أنه انتدب بصفته مبعوثًا من الأزهر الشريف للتدريس في دار العلوم ديوبند- الهند، التي تُدعى بأزهر الهند، وهذا كان نقطة تحولٍ بنَّاءٍ في تاريخ دار العلوم ديوبند لاسيما من الناحية الأدبية، فكأنما حلَّ الربيعُ في هذه الدار واهتزَّت النُّوَّارُ، وتفتحت الأزهار، إنه أحيا اللغة العربية في دار العلوم ديوبند نطقاً

* عميد كلية الدراسات العربية سابقًا بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بمدينة حيدرآباد، الهند.

وكتابةً وخطابةً وتأليفاً، فقد حرَّك ساكن هذه الدار، وملأ جوَّها شوقاً وتحرُّقًا إلى اللغة العربية واستخدامها كلغةٍ حيةٍ، ثم أكمل هذه المسيرةَ الأدبية وبلغ بها ذروتها في رحاب دار العلوم ديوبند رجلٌ عملاقٌ آخر، ألا وهو شخصية وحيد الزمان الكيرانوي، الذي نفخ روحَ العربية في ديوبند، فانضوى كثير من الطلبة حوله، فاتَّقدت قريحتهم، وعادت هذه الدار تنجب رجالًا كثيرين يكتبون بالعربية مثلما يكتب رجال القلم في العالم العربي في الجرائد والمجلات والمؤلفات.

أما بالنسبة لمؤلفات الشيخ عبد المنعم النمر عن تاريخ الهند فكان أحسن وأنسب شخص عربي ليكتب عن الهند، ودور الإسلام في هذه البلاد، ويعرّف العالم العربي بالإنجازات التي حققها المسلمون في الهند إبان حكمهم فيها وفي مجال تحرير البلاد من سيطرة الانكليز، فكان أولًا مبعوثا من المؤتمر الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف إلى الهند، ثم هو مكث في جامعةٍ، لعبت دورا بارزا في تطوير العلوم والفنون وتحرير البلاد الهندية من براثن الاحتلال، وكانت الجامعة تمتلك مكتبة غنية بكتب التاريخ، ووجد الشيخ من أساتذة هذه الدار وطلابها خير معوان له على المشوار الكتابي، فكان يعطي الطلبة بعض كتب التاريخ عن الهند، لينقلوها إلى اللغة العربية، وكان الشيخ يقوم بتعديل وتصحيح ترجمات الطلبة، ثم يحتفظ بها مصدرا للمعلومات ثم قام بدراسة ميدانية للمعالم الأثرية والأماكن التاريخية الشهيرة في الهند، مما مكَّنه من كتابة تاريخ رائع عن الهند بروح البحث العلمي وأمانة الكلمة، ووحي الضمير. فأصدر كتاباً شاملًا عن تاريخ الهند باللغة العربية،

وواصل الكتابة عن إنجازات الهند العلمية وخاصة عن أعمال بطل الهند الجليل مولانا أبو الكلام آزاد وزير الثقافة الأسبق، وليست مؤلفاته من إيحاءاتِ طبيعةٍ متهورةٍ، وإملاءاتِ دراسةٍ عابرةٍ مستعجلةٍ، بل هي إشراقاتٌ بحثيةٌ غائرةٌ، ونتائجُ جهودٍ فائقةٍ، أخرجها الشيخ بعد بحث واستعراض وموازنة وتنخُّلٍ كاملٍ لبطون التاريخ، ومن ثم تُعَدُّ كتبه اليوم من المصادر الموثوق بها في معرفة الهند وتاريخها وحضارتها.

وسرَّني كثيرًا أن الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي قد بذل جهودًا مشكورةً في التعريف بأعمال الشيخ عبد المنعم النمر في تاريخ الهند دراسةً وتقويمًا، وهو أهلٌ لذلك، فقد نشأ نشأةً دينيةً وعلميةً، حفظ القرآن الكريم عن ظهر القلب في مقتبل عمره، ودرس الصفوف العربية الابتدائية في الجامعة الرحمانية بولاية مونجير، ثم التحق بدار العلوم في ديوبند التي تُعَدُّ من أقدم وأكبر الجامعات الإسلامية الهندية وتُسمَّى بأزهر الهند، وتخرج فيها في عام ٢٠٠٨م وحصل على الاختصاص في الأدب العربي وأحرز فيها قصب السبق ثم تفوَّق في مجال الفقه والإفتاء، وهكذا مكث في جامعة ديوبند تسع سنوات، وكان من المبرزين في الامتحانات ومن الفائزين بدرجات متفوقة، حصل على آداب الحياة الصالحة والعلوم النافعة، وبعد الجهود المتميزة في سبيل طلب العلم والتحصيل تولى منصب التدريس في دار العلوم حيدرآباد وأفاد الطلاب بغزارة علمه وخطِبه المجلجلة التي كان يلقيها من المنبر بالتزام في أيام الجمعة، وكان لخطباته وقع جميل في النفوس، كما لمستُه فعلًا عند ما كنتُ الرئيسَ العامَّ لأقسام التخصص في الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدر آباد.

إنه قضى أيامه في التدريس والكتابة والتأليف، ولايزال، وإنه يملك قلمًا سيَّالًا، يكتب مقالات بالأردية والعربية باستمرار، كما جعله نهمُه العلمي لم يكتف بهذا القدر من العلم، فالتحق بجامعة لكناؤ ثم بجامعة دلهي رغبةً في الحصول على شهادات الماجستير في الآداب (M.A.)، والماجستير في الفلسفة (M.Phil)، والدكتوراه في الآداب العربية (Ph.D)، وما زال يقطع مسيرته العلمية والثقافية بشوق ورغبة، وبعد مرحلة طويلة من الكفاح العلمي والنجاح اختير باحثا في مجمع حجة الإسلام بالجامعة، ولايزال ينفع الطلاب بعلمه الغزير، ينشر بحوثه ومقالاته في المجلات العربية، لاسيما في المجلة العلمية الغراء"وحدة الامة" التي تصدر عن دارالعلوم وقف ديوبند، وهو مساعد رئيس التحرير لهذه المجلة التي تُعنى بنشر البحوث العلمية القيمة في موضوعات علمية إسلامية وأدبية، وتُعْتَبَر من أرقي المجلات العربية العلمية البحوثية في العصر الراهن.

إن أسلوب الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي مثير وشيِّق جدًا، يتدفَّق قلمُه كالشلال؛ ولكن بهدوء ورزانة، فمن المأمول أن ينال هذا الكتابُ القبول والاعتراف في الدوائر العلمية والأدبية لا في الهند فحسب؛ بل في أوساط العلم والأدب في العالم العربي أيضًا، وأدعو الله سبحانه أن يبارك في علمه وعمره، وينفع المسلمين بفكره السيال وقلمه الشلال مسلسلا بدون انقطاع، ويتقبل جهوده في العلم والأدب، آمين.

البروفيسور محسن عثماني الندوي
٠٦/١١/٢٠٢٠م

تصدير

فضيلة الدكتور محمد شكيب القاسمي*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد!

فظلت الهند موضع عناية الكثير من العلماء العرب، فقاموا بزيارات، ونظَّموا رحلات، وسجَّلوا حوارات ومشاهدات، وقد كان بعضهم أكثر اهتماما بتاريخ الهند وشعوبها وحضاراتها ودياناتها وتقاليدها وعاداتها ومراحل الصعود والهبوط فيها، وكان الشيخ عبد المنعم النمر يحمل همة علمية عظيمة، وروحا بحثية متوهجة، وكان مبعوثَ المؤتمر الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف إلى الهند، فعمل مدرسًا بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند منذ عام ١٩٥٦م إلى عام ١٩٥٨م، ومن حسن الصدفة وجد في ديوبند الشيخَ محمد سالم القاسمي، نجلَ الشيخ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة آنذاك، فكثُرت بينهما حواراتٌ علميةٌ وتبادلاتٌ ثقافيةٌ، وكانت الهند وتاريخها ودور المسلمين فيها هي النصيب الأكبر من هذه الحوارات، فحدثت رغبةٌ عجيبةٌ للشيخ في الاطلاع على تاريخ الهند العظيمة حتى قام الشيخ عبد المنعم النمر مع الشيخ محمد سالم القاسمي بزيارة المواطن الهامة في الهند مما كشف للشيخ عن الوجه الثقافي والتميز الحضاري للهند، ولما اطلع الشيخ على ما للهند

من إسهامات حضارية، وما لعلمائها من ريادة متميزة في العلم والأدب والنقد عاد ذاهلًا مدهوشًا، ثم صح عزمه على كتابة هذا التاريخ، فلم يضع قلمه إلا بعد كتابة ثلاثة أسفار علمية عظيمة، هي مازالت مصادر هامة في تاريخ الهند وحركاتها وحضاراتها ودياناتها.

وكان من حق جهود الشيخ عبد المنعم النمر أن تكون موضوعًا بحثيًا، يتم فيها التقييم الحقيقي لهذه الجهود والكشف عما تحمله من مميزات بحثية وقيمة حضارية، ويسرني أن الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي اختار خدمات الشيخ عبد المنعم النمر موضوعًا لرسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، وبذل فيها جهودًا مشكورةً حتى أكملها بشكل بحثي ممتاز، ولا غرو؛ فقد عهدتُه دائمًا رجلَ علمٍ وأدبٍ، و بحث وتحقيق، وهذه الرسالة بدورها تشهد له بالبروز في مجال البحث والتحقيق.

ونظرًا إلى قيمة البحث وصلة الشيخ عبد المنعم النمر بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند والأسرة القاسمية يقوم مجمع حجة الإسلام بنشره، شاكرا للباحث الضليع على حسن صنيعه، وداعيًا له كل التوفيق والسداد.

محمد شكيب القاسمي
نائب رئيس الجامعة الإسلامية
دار العلوم وقف ديوبند
٢٧/٠٢/٢٠٢١م

كلمة تقدير

فضيلة الشيخ بدر الحسن القاسمي، الكويت(١)

من الشخصيات الثقافية المصرية البارزة التي حلَّت الهند واتَّسمت بغزارة الإنتاج، وتركت بصماتها في كل بلد حلَّ بها (الهند والكويت والإمارات العربية المتحدة) إلي جانب ماقام به من دور علمي وثقافي بنَّاء في وطنه شخصيةُ د. عبد المنعم النمر.

وصل إلى منصب وكيل الأزهر؛ بل أصبح وزيرًا للشؤون الإسلامية والأوقاف كما نال الجائزة التقديرية للدولة، وظل مرتبطا بمجال التعليم إلى جانب نشاطه الصحفي وترك مجموعةً من الكتب الدينية والفكرية، فكتب عن الاجتهاد وعن بعض الفرق والطوائف كالشيعة والدروز وغيرهما.

كان مجيئه إلى الهند ضمن بعثة المؤتمر الاسلامي في١٩٥٦م كمدرس اللغة العربية وكان نشاطه مدهشا، فقد استطاع أثناء اقامته في الهند أن يؤلف ثلاثة كتب عن الهند مع أداء دوره الوظيفي، ثم ذهب إلي الكويت، فترك بصمته هناك من خلال إنشاء مجلة "الوعي الاسلامي" كمجلة علمية دينية نموذجية، ثم ذهب إلى الإمارات فأسس مجلة "منار الاسلام"، وهي أيضا أصبحت من المجلات الإسلامية الرائدة.

(١) أستاذ بدار العلوم ديوبند سابقًا، ورئيس تحرير مجلة الداعي سابقًا، ونائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند.

إن الدكتور عبد المنعم النمر شخصية تستحق التنويه بها والعناية بأعمالها، وإن مؤلفاته تستحق الدراسة والتقييم، وكما أن آرائه في بعض القضايا الفقهية تحتاج إلى النقد والتقويم، خاصةً ماكتبه عن الاجتهاد ونبذ التقليد لايؤخذ على عواهنه، وكذلك آراؤه عن شهادات الاستثمار وعن بعض المعاملات الربوية وعن تحديد النسل كانت مثار جدل وانتقاد من بعض العلماء.

وعلى كل حال إنه كان رجل تاريخ وثقافة وصحافة، وليس رجل فقه وإفتاء في الدين.

وجزى الله خيرًا الأخ الشاب الباحث النبيل الشيخ محمد نوشاد النوري القاسمي الذي اختار شخصية الدكتور عبد المنعم النمر ومؤلفاته في تاريخ الهند موضوعًا لرسالة الماجستير، وتناولها بالدراسة، وقدَّم بحثه في جامعة لكناؤ، ونال الشهادة وإعجاب أساتذته، ولاشك أنه يستحق التقدير والإشادة بهذا البحث القيم، حيث يفي بالمستوى البحثي المطلوب، بارك الله فيه ونفع به، ووفقنا جميعًا للمزيد من العلم النافع والعمل الصالح، وتقبلنا في الصالحين، آمين.

بدر الحسن القاسمي، الكويت.
٢٠٢٢/٠١/٢٥م

كلمة إعجاب

سعادة البروفيسور مشير حسين الصديقي*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد!

فيسعدني أن أقدم لرسالة علمية: رسالة الماجستير قُدِّمت إلى قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ الهند، أكملها الأخ العزيز محمد نوشاد عالم (النوري القاسمي) الباحث في الماجستير في اللغة العربية بالجامعة في الفترة الممتدة بين ٢٠١٥م- ٢٠١٧م.

والرسالة -كما يبدو من اسمها- تبحث خدمات الشيخ عبد المنعم النمر وآثاره في التاريخ الهندي، وكان الشيخ عبد المنعم النمر من الكتاب الموفَّقين، الذين يجمعون بين رشاقة الأسلوب ودقة الناقد، وتحليل الباحث وتنقيب المؤرخ، وبصيرة العالم وقلب الداعية ورؤية المفكر، فأخرج كتبه فيما يتعلق بالهند على المستوى العلمي العالي، مجتنبًا الأسلوب العاطفي، والبيان الخطابي؛ بل تسري الروح العلمية في جميع مؤلفاته، وهذه هي قيمة حقيقة لمؤلفات الشيخ عبد المنعم النمر.

ويزيدني سعادة أن هذه الرسالة هي إحدى ثمرات قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ- الهند، فهذا القسم منذ تأسيسه مازال يعمل على

---

* رئيس قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ- الهند.

تخريج الكوادر العلمية المؤهلة في اللغة العربية وآدابها، ويسعى إلى مواكبة مستجدات الدراسات اللغوية والأدبية وتشجيع البحثِ العلمي في اللغةِ والأدبِ والنقد، كما ظل من أولويات هذا القسم رفعُ مستوى الخرّيجين في مهاراتِ القراءةِ والكتابةِ والاستماعِ والمحادثةِ والنّقد تماشيًا مع روح العصر الحاضر ورؤية المستقبل المشرق.

فإني أحبذ أخي العزيز محمد نوشاد النوري القاسمي على إنجاز هذا العمل الأكاديمي الهام، وأدعو له التوفيق والسداد، وأتمنى له غدًا مشرقًا ومستقبلًا زاهرًا، تقبل الله منه هذا الجهد ووفقه للمزيد من العطاء العلمي والأدبي، آمين.

البروفيسور مشير حسين الصديقي
جامعة لكناؤ- الهند
٠٥/ ١١/ ٢٠٢٠م

كلمة الإشراف:

سعادة الدكتور عرفات ظفر*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد!

فكان الأستاذ عبد المنعمر النمر (١٩١٣م-١٩٩٩م) من كبار علماء الأزهر الشريف، ومن أعلام الحركة الأدبية والإسلامية بمصر خلال القرن العشرين، قضى حياةً حافلة بالأعمال الكبيرة والإنجازات القيمة في مجال التأليف والتدريس والصحافة والسياسة، والدعوة والإرشاد، حتى أصبح وزيرا للشؤون الدينية والأوقاف في مصر.

في يناير عام ١٩٥٦م بعثه الجامع الأزهر والمؤتمر الإسلامي إلى الهند ليتولى التدريس في الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، فنزل الأستاذ عبد المنعم النمر بالهند ووصل إلى دار العلوم بديوبند، وتعرف على خدمات أسداها هذه الدار في تحرير البلاد وإصلاح المجتمع الهندي وترويج التعليم الديني، ومن هنا ازداد اهتمامه بتاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد الهند، وأعجب بالمآثر البطولية والآثار الخالدة التي تركها الملوك المسلمون في هذه الديار، فانقطع إلى دراسة تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند، وزار المناطق المختلفة للبلاد واتصل بشخصيات دينية وقيادية فيها. وهكذا أخرج ثلاثة كتب تتمثل في كتاب تاريخ الإسلام في الهند، وكتاب كفاح المسلمين في تحرير الهند، وكتاب مولانا أبو الكلام آزاد: حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند، فلاشك في أن هذه الكتب الثلاثة تعد خير مصدر لتاريخ الهند في اللغة العربية.

---

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي جراه الإسلامية، الهند.

فالكتاب الذي بين يديك يتناول هذا الموضوع بكل دقة وعمق، ألفه أخونا الفاضل محمد نوشاد عالم النوري القاسمي، الذي تخرَّج في دار العلوم ديوبند، وإنه يتقن اللغة العربية إتقانًا تامًا، ولمتابعة الدراسات العليا التحق بقسم اللغة العربية في جامعة لكناؤ، ونال شهادة الماجستير منها، وأثناء الدراسة في هذه الجامعة وجدتُه طالبًا ذكيًا ونابهًا، يتحلى بالأخلاق الفاضلة، ويتعامل مع أساتذته وزملائه بكل جديةٍ واحترامٍ، إنه تشاور معي بشأن اختيار الموضوع لكتابة المقالة الطويلة في الاختبار النهائي للماجستير، فاقترحت عليه هذا الموضوع، وأبرزت أهميته، فهذا هو شأن نزول هذا الكتاب.

والآن بعد مرور عدة سنوات على إعداده وتقديمه أعاد النظر في هذا البحث، وقام بتغييرات في لغته ومحتوياته لرفع مستواه اللغوي، والحق أن هذا الكتاب خير دليل على قدرته البحثية وتميزه في مجال الكتابة والإبداع.

وإني إذ أهنئ المؤلف الكريم على هذا الإنجاز العلمي القيم أدعو له مزيدًا من النجاح والتوفيق، والتألق في حياته المستقبلية، وآمل أن هذا الكتاب يلعب دورًا مهمًّا في تعريف شخصية الدكتور عبد المنعم النمر وإسهاماته العلمية والتاريخية، ويحظى بقبولٍ في الأوساط العلمية في الهند وخارجها، ويكون إضافةً علميةً عاليةً في المكتبات العربية والإسلامية، ويجعله الله ذخرًا في ميزان حسنات المؤلف، والله الموفق وهو المستعان، وهو الملهم للخير والسداد، صلوات الله على رسوله الأمين.

الدكتور عرفات ظفر
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية
بجامعة علي جراه الإسلامية
٢٠/٠٨/٢٠٢١م

بين يدي الكتاب:

محمد نوشاد النوري القاسمي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وصحبه الغر الميامين ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين، وبعد!

فالهند دولة عريقة، عريقة في أصولها، عريقة في دياناتها، عريقة في حضارتها، كما أنها دولة عظيمة، عظيمة التاريخ والإنجاز، عظيمة العمران والاتساع، عظيمة المآثر والمنجزات، وهي دولةٌ جميلة غانية بجمال الطبيعة ورُواء الكون، ففيها السهول والأودية، وفيها الأنهار والأشجار، وفيها الجبال والشوارع، وفيها المزارع والمصانع، وفيها المصايف والمشاتي، وفيها الحدائق والموانئ، وفيها المدن والصحاري، وفيها الأنعام والمواشي وفيها ما فيها من الكثير من خزائن الدنيا وكنوز الأرض، فهي في خصائصها عالَـم مستقل، وكونٌ صغير، انطوى على كثير مما هو مبثوث في أرجاء المعمورة، ومنتشر في مناحي الأرض كلها.

وهي دولة هاجرت إليها الشعوب المختلفة في العصور المختلفة، فتجمعوا في الهند شعوبًا في شعب، وألوانًا في لون، فازدانت الهند بكثرة الديانات وأتباعها، ولكل ديانةٍ نكهةٌ وأعرافٌ وتقاليدُ، وهكذا تشكلت فيها حضارةٌ شاملةٌ، نَظَمَتْ الشعوبَ في سلكٍ من الإخاء والوحدة، وأقامت

بينها رابطةً وطنيةً قويةً على الرُّغم من اختلافٍ هائلٍ في العقيدة والتقاليد والاتجاهات واللغات.

أما المسلمون فقد كانوا من بُناة الهند ورُعاتها ومُـحلِّي جيدها بعقودٍ من المجد والعظمة، والحضارة الراقية، التي جَعَلَتْهَا تخترق شهرتُها الآفاق، وتتبوأ مكانَ الصدارة في صفوف بلدان العالم، فقد أثَّروا تأثيرًا عميقا في حضارة الهند وثقافتها وعقليتها، حيث تدفَّق في عهدهم النموُّ الحضاريُّ، وازدهر النشاطُ الثقافيُّ، وشكَّلوا في الهند ذلك العصر الذهبي، الذي لم يحلم به الهنود سابقًا.

ومازالت الهند تحتضن في مهدها كثيرًا من المعالم الحضارية الإسلامية والمراكز السياحية، التي تنطق بحيوية ذلك العهد المزدهر، الذي تمكَّن فيه الفن المعماري الساحر، وتحكَّمَ الإبداعُ، وتلاقت القوة مع الحلم، والعلم مع الفن، والحب مع العقل، ففاض الطبع، ودرَّ الخيرُ، وليست هذه الأبنية والقصور والأبراج والقناطر والمساجد والمعاهد والحدائق والمعامل والمصانع والطرق والأساطيل والقواعد العسكرية إلا شاهدةً أمينةً على صدق هذا القول.

ومن أجل ذلك ظلَّت الهندُ موضوعًا شاغلًا للكتاب والباحثين قديمًـا وحديثًا من مختلف الدول والبلدان، فألَّفوا حول تاريخ الهند وحضاراتها وشعوبها وأديانها وما فيها من مناظر طبيعية ومآثر عظيمة، وكان للعرب أيضا نصيبٌ في الكتابة عن الهند، فقد كتب عن الهند كلٌّ من البيروني في كتابه: "تحقيق ما للهند"، والأصطخري في كتابه: "المسالك والممالك"، وابن

خرداذبه في كتابه "المسالك والممالك"، وسليمان التاجر في كتابه: "عجائب الدنيا وقياس البلدان"، وابن بطوطه في مذكرة رحلته: "رحلة ابن بطوطة"، والمسعودي البغدادي في كتابه: "مروج الذهب"، والمقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وابن رسته في كتابه: "الأعلاق النفيسة"، واليعقوبي في كتابه: "البلدان وتاريخ اليعقوبي"، وغيرهم، وفي القرن العشرين لما كثر التواصل بين الأمم زار الهندَ كثير من الكتاب العرب، فكتبوا مشاهداتهم في الهند، ومنهم السيدة أمينة سعيد المصرية في كتابها: "مشاهداتي في الهند"، و الشيخ أنيس منصور المصري في كتابه: "حول العالم في ٢٠٠ يوم"، والشيخ محمد ناصر العبودي السعودي في كتبه العديدة المعروفة عن الهند، والدكتور فتح الله الأنطاكي في كتابه: "الهند كما رأيتها"، وإبراهيم عبد الفتاح البغدادي في كتابه "على طريق الهند"، وعلي أدهم في كتابه: "الهند والغرب"، ورمضان لاوند في كتابه "مأساة المسلمين في الهند"، وغيرهم، وكثير مَن هُم.

وإذا كان في الكتاب العرب كثيرون سجلوا مشاهداتهم وانطباعاتهم عن الهند فكان منهم ذلك النجم اللامع، الذي صاغ التاريخ الهندي صياغةً جديدةً باللغة العربية، وأسس مؤلفاته على منهج علمي سليم، وبروح الباحث الأمين وتحليل المؤرخ البصير، فأخرج أسفارًا علميةً قيمةً في تاريخ الهند، غدت إضافةً قيمةً في المكتبة العربية، ألا وهو الكاتب الإسلامي الكبير والبحاثة المصري الجليل العلامة الدكتور عبد المنعم النمر(١٩١٣م ـ ١٩٩١م)، الذي اعتنى بالهند وتاريخها أيما اعتناء، وشعر بالحاجة إلى

وضع كتبٍ عن تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند، فألف ثلاثة كتبٍ هامةً عن الهند، وهي :

١- تاريخ الإسلام فى الهند
٢- كفاح المسلمين فى تحرير الهند
٣- مولانا أبو الكلام أزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند، وهى رسالته للدكتوراه تحت إشراف الدكتور فوزي صالح عباس بنجر، أكملها سنة١٩٧٢م، وبذلك اكتملت مكتبة التاريخ الإسلامي في الهند.

ومن نظر في كتب الشيخ يعلم جيدًا أن كتبه هي من أوثق المصادر في تاريخ الهند وأكثرها صحةً في البيان ودقةً في البحث وشمولاً في المعاني، وقد شهد بذلك كبار مؤرخي الهند؛ بمن فيهم العلامة الجليل المؤرخ الهندي الكبير سيد محمد ميان الدهلوي أمين عام جمعية علماء الهند الأسبق، والداعية الكبير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي.

ومن ثَمَّ كانت تراود قلبي أمنيةُ الكتابة عن الشيخ وفاءً ببعض حقه علينا –نحن الهنود–، وتقديرًا لأعماله القيمة وردًا إليه بعض الجميل.

وبذلك لما كان عَرَضَ عليَّ فضيلة الأستاذ الدكتور عرفات ظفر(حفظه الله) الأستاذ المساعد بجامعة لكناؤآنذاك[1] أن أختار موضوعًا لرسالة الماجستير، وكنتُ طالبَ الماجستير في الجامعة في الفترة بين ٢٠١٥م–٢٠١٧م، ففكرنا في مواضيع عديدة، ووقع الاختيار على الدكتور

---

(١) وهو يشغل حاليا منصب الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة علي جراه الإسلامية.

عبد المنعم النمر لأجعل "الدكتور عبد المنعم النمر:حياته ومؤلفاته في تاريخ الهند: دراسة تحليلية" موضوعًا لرسالة الماجستير، وبعد تأييدٍ وموافقةٍ من أستاذي الشفيق البروفيسور مشير حسين الصديقي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ، الهند، بدأت كتابةَ الرسالة، وأكملتُها بإشراف الأستاذ الدكتور عرفات ظفر(حفظه الله).

والكتاب يشتمل على أبوابٍ تاليةٍ:

الباب الأول: حياة الشيخ عبد المنعم النمر: حياته ومآثره

الباب الثاني: كتاب "تاريخ الإسلام في الهند": دراسة تحليلة

الباب الثالث: كتاب "كفاح المسلمين في تحرير الهند": دراسة تحليلة

الباب الرابع: كتاب "مولانا أبو الكلام أزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند ": دراسة تحليلية.

ومن المهم أن أذكر أن الرسالة كانت متمركزةً في الدراسة التحليلية للمؤلفات الثلاثة، والدراسة التحليلية الفنية لها عناصر وخطوات، وقد حرصت على استيعاب المعالم التحليلية، من خلال الشرح والتفكيك، والنقد والتقويم، والاستنباط والتركيب؛ ولكن لدى إخراجها في صورة كتابٍ غيَّرتُ قليلًا في المنهج، وخرجتُ عن الدراسة الفنية، ونظمتُ المعانيَ بشكلٍ متسلسلٍ، يجعل القارئ يساير الأحداث والوقائع، ويواكب التيار الزمني الذي مرَّ به التاريخ الهندي، حرصًا مني على جمع ما تفرَّق في الكتب الثلاثة، وجعلِ القارئ يستغني بمطالعة كتابٍ واحدٍ عن الأسفار الثلاثة، ومن أراد الزيادة والتفصيل فعليه بمراجعة كتب الدكتور عبد المنعم النمر رحمه الله.

والجدير بالذكر كذلك أني أكملت هذه الرسالة في أيام مضطربة جدًّا بالنسبة لي، فكانت أمي مريضةً شديدة المرض، كنت في مدينة لكناؤ، أشتغل بكتابة هذه الرسالة، وقلبي يتفطر كمدًا على ما كانت تعاني أمي من شدة المرض، وتتزاحم في صدري عواطف ونوازع لاقِبَل لي بها، ومعلوم أن حنين الغريب شديد، وكنت أتردد بين البقاء بمدينة لكناؤ لأشارك في الامتحان الأخير وأُكمل رسالتي هذه وبين الفرار إلى الدار، لأقبِّل وجه أمي، التي يُخشى أن تفارقنا إلى دار الخلود، وكانت أمي هي التي تُصِرُّ عليَّ أن أبقى بمدينة لكناؤ، وقد بقيتُ وشاركتُ في الامتحان الأخير للماجستير، وجمعتُ الرسالة، ووصلتُ إلى البيت في الثامن عشر من شهر شعبان ١٤٣٨هـ، وكانت فرحتُها بعودتي لاتُقدَّرُ، وبعد نحو١٨ يومًا وبالتحديد في السادس من شهر رمضان١٤٣٨هـ الموافق ٠٣/ يونيو / ٢٠١٧م، في يوم الجمعة وفي ساعةٍ مباركةٍ عندما كنت أُلْقِيْ على الناس خطبةَ الجمعة، فاضت روحُها، ولحِقَتْ بربها الرحيم، ودُفِنَتْ بجوار زوجها الذي سبقها إلى رحمة الله قبل تسعة أعوام، وهكذا ضمَّ القبرانِ بين جناحيهما أغلى ما كنت أملكه في الدنيا، جزاهما الله تعالى خيرَ ما يجزى عباده المؤمنين، وتقبلهما في الصالحين وأسكنهما فسيح جناته، آمين.

والكلُّ يعرف أن الكتابة تحتاج إلى بيئةٍ مريحةٍ ونفسٍ هادئةٍ، وكنت في تلك الأيام في حالة اضطرابٍ شديدٍ، أغالب نفسي وشوقي، وأتدافع مع عاطفتي؛ ولكن أحمد الله ربي كل الحمد على أنه وفقني لإتمام الرسالة وجعلني أتغلب على ما أنا فيه من صراع نفسي، وحاولت

جهدي أن أكمل الرسالة على المستوى المطلوب؛ ولكن الكمال لله وحده، فإن أصبت فهو من الله وحده، وله الحمد أولا وآخرًا، وإن أخطأتُ فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله منه.

وأشكر هنا للسادة الكرام، الذين تفضلوا بكتابة كلماتٍ قيمةٍ، زادت الكتاب وصاحبه شرفًا وقدرًا، وأخص بالذكر منهم الداعية الإسلامي فضيلة البروفيسور محسن العثماني الندوي، عميد كلية الدراسات العربية سابقًا بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بمدينة حيدرآباد، الهند، والأديب الكبير الشيخ بدر الحسن القاسمي، نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند، وسعادة البروفيسور مشير حسين الصديقي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ الهند، ورفيقي في درب البحث والتحقيق فضيلة الدكتور محمد شكيب القاسمي نائب رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند ومدير مجمع حجة الإسلام، والمشرف على الرسالة الدكتور عرفات ظفر الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة علي كراه الإسلامية، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أقدِّر للأستاذ الدكتور محمد شكيب القاسمي تكرَّمَه بنشر الكتاب من مجمع حجة الإسلام، فلولاه لكانت الرسالة في طي الكتمان والخمول، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أشكر أخي الكريم فضيلةَ الأستاذ المفتي سيف الرحمان الندوي، الأستاذ بالجامعة الرحمانية مونجير بولاية بيهار (وكان يقيم في ذلك الوقت بمدينة لكناؤ) على ما قدَّمه من مساعداتٍ قيمةٍ في إعداد هذه

الرسالة، فكان يحاول جهده في إراحة نفسي وتوفير ما أحتاج إليه من مواد علمية، وكنت لا أملك بعض مؤلفات الشيخ لا بصورةٍ ورقيةٍ ولا بصيغة PDF، فكان الأخ الكريم يأخذ صور الكتب من المكتبات المتواجدة في لكناؤ، ويزوِّدُني بأهم مصادر الرسالة، فجزاه الله خير الجزاء.

وأخيرا أسأل اللهَ سبحانه أن يتقبل هذا العمل المتواضع، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويوفِّقنَي لما يحبُّه ويرضاه، آمين يارب العالمين.

محمد نوشاد النوري القاسمي

دلهي، الهند

١٠-٠٢-٢٠٢٢م

الباب الأول

الشيخ عبد المنعم النمر: حياته ومآثره

الدكتور عبد المنعم أحمد النمر المصري(١٩١٣م ـ ١٩٩١م) أحد العلماء الأفذاذ والدعاة البارزين والكتاب القديرين في المواضيع الإسلامية والأدبية والتاريخية، ذلك العالم الأزهري الذي أخذ بنصيبٍ وفيرٍ من شتى العلوم الإسلامية والعربية، سافر كمبعوث الأزهر الشريف إلى عددٍ من البلاد، ليكون سفيرًا للفكر الإسلامي والأدب العربي، وينير دروب الفكر والثقافة، ويبدد ظلام الجهل والجمود، ويكشف عن تراث الأمة الإسلامية، ويبرز جوانبه اللامعة، ويربي النشء الجديد على أسسٍ سليمةٍ، تربطه بالدين والثقافة، وتجعله قادرًا على مواجهة الصعاب والتحديات.

إنه الدكتور عبد المنعم النمر المصري صاحب آثارٍ بارزةٍ في مجالات الدعوة والتعليم والثقافة والصحافة والسياسة والإدارة.

عبد المنعم النمر المصري ماذا يعني؟

هذا الاسم حقًا يعني:

- شخصية ثقافية قوية، ذات استقلالية في الفكر والأدب والسياسة والاعتدال.
- شخصية منطلقة إلى آفاق العلم والثقافة، متحررة من الجمود والتقليد الأعمى.
- شخصية تحب للوطن الإسلامي كله أن يسوده العدل وتعمه الرفاهية، وتتمنى أن تقوم وحدة إسلامية حقًا، وقد أسهمت فعلًا في أعمال مشكورة، ترمي إلى توحيد الصفوف وجمع كلمة المسلمين.

- شخصية إسلامية، تعتبر الولاءَ للدين أشدَّ من جميع الانتماءات وأنواع الولاء، وتجمع بين الأصالة والمعاصرة، والحداثة والتراث، قد انقطعت إلى الجانب التراثي لتخرج منه ما يكشف عن روائع تراثنا وبدائع حضارتنا، كما ألَمَّت بجانب التجديد والإبداع، وقدمت الكثير مما ينير الدرب ويمهد النهضة.
- شخصية أزهرية متميزة، تركت بصمات واضحة في مختلف المجالات العلمية والفقهية والثقافية، حتى يتم إكرامُها بمنح "جائزة الدولة التقديرية في الآداب" عام١٩٨٥م، ليكون أول عالم أزهري ينال الجائزة في الآداب.
- شخصية صحافية نابهة، أصدرت مجلة الوعي الإسلامي عام ١٩٦٥م في دولة الكويت بشكل متميز، جعلها أفضل مجلات الدول العربية في حينها، ولم تكن تعادلها مجلة عربية أخرى حتى مجلة الرسالة لأحمد حسن الزيات ومجلة الثقافة لأحمد أمين في رصانة الأسلوب وقوة الفكر ودقة التحليل والشعبية الكاسحة المنقطعة النظير، وشمولها للموضوعات المتنوعة.
- شخصية فقهية بارزة، تميزت بالبروز في الفقه الإسلامي، وعرضت آراءها بكل حيدة وإنصاف، ولغيرها أن يختلف معها في آرائها؛ ولكن لاينكر أحد بروزها في الفقه وقوة آراءها في المسائل.
- شخصية جامعة، أسهمت في أكثر من مجال، وضربت بسهم رابح في جميع الميادين.

الفصل الأول:
نشأته ونشاطاته

المبحث الأول: نشأته ودراسته

ولد الدكتورعبد المنعم النمر عام ١٩١٣م فى قرية الخرزاني إحدي قرى مركز دُسُوْق الذي كان تابعا لمديرية الغربية، ثم أصبح تابعًا لمحافظة كفر الشيخ، والقرية واقعة في أقصى شمال مصر، مطلة على "فرع رشيد" أحد فرعي نهر النيل.

التحق بالتعليم الأزهرى وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، والتحق بمعهد دسوق ثم الإسكندرية، وتخرج في كلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٣٧م، وحصل على العالمية وإجازة التدريس سنة ١٩٣٩م، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢م، تحت إشراف الدكتور فوزي صالح عباس بنجر، وكان موضوع رسالة دكتوراه "مولانا أبو الكلام آزاد: حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند".

المبحث الثاني: تدريسه في المعاهد الأزهرية

ظل الدكتور عبد المنعم النمر طالبًا مجدًا، ملتزمًا بالأخلاق الإسلامية واللوائح الإدارية، فلقي تقدير الأساتذة وإعجابهم، وبذلك تم تعيينه مدرسا في عام ١٩٤٢م في أحد المعاهد الأزهرية في الأقاليم، ثم انتقل إلى معهد القاهرة الثانوي العريق، كان أستاذا بارعًا، ومربيا خبيرًا، كان أدرى بمواطن الضعف ومواضع الخلل، فكان يقوِّم الطلاب ويرشدهم، وكان يعلم الطلاب دروس الكتاب ودروس الحياة معًا، وكان

يُعِدُّهم لينهضوا بأعباء الدعوة الإسلامية والمهام الوطنية، ومؤلفاتُه ومقالاتُه في مجلة الوعي الإسلامي خير شاهد على منهجه التربوي وفكره الدعوي.

المبحث الثالث: العمل الوطني

وبجانب عمله فى التدريس شارك في العمل الوطني، فقد عُرِف بالروح الوطنية منذ صدر شبابه، وبدأ حياته مناضلًا ضد الاحتلال البريطاني، قاد طلاب الإسكندرية في مسيرة ثورية ضد الاحتلال، فصدر قرار بفصله من الأزهر؛ ولكنه عاد أقوى عزيمةً وأكثر جراءةً، فظل يقود المظاهرات, وينظم الاحتجاجات، فنقلوه إلى المعهد الأحمدي بطنطا، وأمام إصراره وقيادته للثورة تم إبعاده إلى معهد القاهرة، واستمر على ذلك بعد تخرجه؛ مما عرَّضه للاعتقال مراتٍ عديدةً منذ عام١٩٤٢م وحتى عام١٩٤٩م في سجون الأجانب و"الزيتون" و"الهايكستب" و"منقباد".

وكان من الذين بدأوا شهرتهم بحدث كبير، فقد تمَّ ضبطُ أطنانٍ من الديناميت في بيته وهو لايزال طالبًا، واعتُقِلَ في ١٩٤٢م كما اعتُقل في نوفمبر ١٩٤٨م، وظل في زنزانته منفردًا حتى يونيو ١٩٤٩م، وقد التقى في المعتقل مع الرئيس الراحل أنور السادات في إحدى فترات الاعتقالات.

في معتقل الهايكستب:

وقد ذكر الدكتور أحمد الشرباصي في "مذكرات واعظ أسير" ما جرى له ولأصحابه في معتقل "الهايكستب"، فقال: "وصل اليوم إلى المعتقل زميلان كريمان هما فضيلة الأستاذ عبد المنعم أحمد النمر المدرس

بمعهد القاهرة، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي إمام وخطيب مسجد في الإسكندرية، وقد كانا متَّهمين في قضية سيارة الجيب بسبب التلفيق والافتراء، ثم نجَّاهما التحقيق، وقد كان لنجاتهما ووصولهما إلى المعتقل هزة وفرحة، وعرضوا عليهما خطبة الجمعة فرفضا. وكانت أعمال السجن مقسمة بينهم، فكان الشيخ عبد المنعم النمر عليه كنس السجن، والدكتور كمال خليفة يجمع القمامة ويلقيها، والأستاذ طاهر الخشاب يغسل الأطباق، والأستاذ عمر التلمساني يطهر الحمامات، والأستاذ عبد الحكيم عابدين يغسل الملابس في الحوض، والأستاذ صلاح عبد الحافظ ينظف الحمامات. وقد شاءت الأقدار أن تتواجد آلة تصوير داخل السجن وتم التقاط صور عديدة خلدت ذكر الدكتور عبد المنعم أحمد النمر كمعتقل مع الأساتذة صالح عشماوي، وعبد الحكيم عابدين، ومحمد طاهر الخشاب، ومحمد على الطاهر، ومحمد حلمي نور الدين، وصلاح عبد الحافظ، ومحمد المنياوي، ومحمود لبيب، وزكريا خورشيد، وكمال خليفة، وعبد الحليم الوشاحي، وسعد شوقي، ومحمد زايد بلال، وعمر التلمساني، ومحمود البراوي"[1].

المبحث الرابع: انضمامه إلى الإخوان

وفى فترة الأربعينات فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت دعوة "الإخوان المسلمين" منتشرة فى المجتمع المصري، وملأت الأسماع والأبصار،

---

(١) محمد الجوادي، مقال بعنوان "**العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط**"، المنشور على موقع الجزيرة نت، اطلع عليه بتاريخ ٢٦ من أغسطس عام ٢٠٢٠م.

وصارت ملتقى الدعاة والوطنين ورجال السياسة والإصلاح، فكل من يريد أن يخدم دينه ووطنه كان يلتقى بالإخوان المسلمين على هدفه، ومنهم من ينتظم فى صفوف الإخوان، ومنهم من يكتفى بتأييد دعوة الإخوان والتعاون معها من أجل الصالح العام، كان الشيخ عبد المنعم النمر ممن انضموا إلى الإخوان المسلمين، يقول الدكتور عبد المنعم النمر:

" لقد كان المرحوم حسن البنا طيب الله ثراه من أقدر الناس على قيادة الحركة الدينية وتجنيبها الصدام الذى يعوق حركتها أو يقتلها فى مهدها وظروف نشأتها، فاستطاع فى سنين قليلة أن يكون حوله ذخيرة من شباب مصر ويُسلِّحهم بالإيمان والبصيرة به.

"ولم يكن هو متعجلا وإن تعجل بعض الشباب حوله؛ ولكنه كان يخطو بأناة، ويكسب كل يوم أرضا جديدة أو قلوبا جديدة بدعوته الهادئة المقنعة.

"ولو أن بعض الشباب حوله لم يتعجلوا الأماني ولم يخطوا خطوة أوسع من قدرتهم ومن الظروف حولهم ولم يلجئوا إلى القوة وإلى القتل والاغتيال لبعض المصريين لكان خيرا وأحسن حالا...وكم كنت فى موقف خارج إطارهم التنظيمي وموقفي القلبي معهم في دعوتهم واطلاعي بحكم التوافق أو التلاقي القلبي على كثير مما كان يجري داخلهم وعلى الكثير أيضا مما كان يمكن أن يتعرضوا له كنت شديد الإشفاق عليهم جميعا وعلى الحركة الإسلامية التي بعثها وقادها حسن البنا "[١].

---

(١) المصدر السابق.

كان الشيخ عبد المنعم النمر ممن ابتُلُوا بمحنة الإخوان عام ١٩٤٨م، يقول الدكتور محمد الجوادي الكاتب المصري:

"قبض على الإخوان في قضية السيارة الجيب يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٨م ثم أعقبها قرار حل الإخوان في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م واعتقال معظم المنتمين لجماعة الإخوان، وقد ظهرت في قصة قضية السيارة الجيب تقاريرُ عن تفجيرات اتُّهم فيها سعد مهدي محمد أبو النجا من حزب مصر الفتاة، وتقاريرُ عن أن الشيخ عبد الرحمن الصوالحي من الحزب الوطني كان يحتفظ ببعض المتفجرات لدى الشيخ عبد المنعم النمر بمنزله بشبرا، فكانت سببا للقبض عليهما. وتم سجن الشيخ عبد المنعم النمر في زنزانة رقم ٦٠، دور٦ بسجن مصر العمومي، وكان أحمد عادل كمال متهما في قضية السيارة الجيب مجاورا له في الزنزانة رقم ٦١، فصارت بينهما صداقة، وكانت روح الشيخ عبد المنعم النمر مرحة فكهة بالرغم من الحبس.

ويضيف الدكتور محمد الجوادي قائلا: "كان الدكتور عبد المنعم النمر من كتاب مجلة الدعوة الأسبوعية منذ أن صدرت في ٣٠ يناير ١٩٥١ بعد عودة الإخوان المسلمين للحياة السياسية في عهد الوفد، وقد كتب فيها مع من يسبقونه من العلماء من طبقة المشايخ أحمد حسن الباقوري و محمد الغزالي وسيد سابق وعبد العزيز كامل والبهي الخولي ومحمد فتحي عثمان وسيد قطب ومحب الدين الخطيب والشاعر عبد الحكيم عابدين"[(١)].

(١) المصدر السابق.

اختفاؤه عن المشهد الإخواني:

يقول الدكتور محمد الجوادي عن اختفائه عن المشهد الإخواني بعد حادثة المنشية: "كان الدكتور عبد المنعم النمر من أنصار الرأي القائل بضرورة اختفاء الإمام الهضيبي من المشهد الاخواني، يقول الشيخ النمر: "مما سمعته من صديقي مرة: إذا لم يتفق الإخوان على كلمة سواء معنا ويبتعدوا فإننا لن نرحمهم وسنتخذ معهم أقصى عوامل التأديب، وكانت هذه تزعجني وتقلقني على مصير الدعوة؛ لكني ما كنت أستطيع أن أحكي هذا الإنذار، وكنت أعوض كتماني له بمزيد من الإلحاح على بعض أعضاء مكتب الإرشاد، ومن أصدقائي الذين يتجاوبون معي ويعرفون مدى إخلاصي للدعوة أن يجمعوا كلمتهم ويحكموا خطواتهم"، "وكان السبب في هذه الخسارة كلها تعاظم خوف الحاكم المستبد من أن يخدش الإخوان حكمه أو يظنوا أنه ضعيف أمامهم، فاشتد وعنف في بطشه بهم إلى حدّ لم يقع حتى مع المستعمرين أعداء الوطن والوطنيين"[(١)].

الجدير بالذكر أن الشيخ عبد المنعم النمر فيما ابتُلي به من محن ظل صابرا مصابرا، لم تلن له قناة ولم يفتر له عزم.

❁ ❁ ❁

(١) محمد الجوادي، مقال بعنوان "**العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط**"، المنشور على موقع الجزيرة نت، اطلع عليه بتاريخ ٢٦ من أغسطس عام ٢٠٢٠م.

الفصل الثاني:
جهوده العلمية والدعوية والصحافية

كان الشيخ عبد المنعم النمر رجل علم وثقافة، ودعوة ورسالة، فقد بذل جهودا مشكورة في هذا المجال، فقد مارس التدريس لسنين طوال في مصر والهند والكويت، ولم يكن منهجه في التدريس منهجا تقليديا جافا؛ بل كان منهجا حيويا، يناشد العقل والضمير، ويقوِّم الأفكار والأخلاق، ويربي النشء الجديد تربية سليمة، عاش الشيخ طوال حياته هموم الدعوة الإسلامية، فقد كتب مقالات نارية قوية، تلهب المشاعر وتهز الوجدان، كانت للشيخ إسهامات قوية فى نشر الدعوة الإسلامية، فقد وظَّف لصالح الدعوة الإسلامية كلَّ ما تهيَّأ له من أسباب، فكتب المقالات، ووضع المؤلفات، ونظم الرحلات، وشارك في المؤتمرات والندوات، وأقام مع كل من الساسة والقادة والعلماء والأساتذة والدعاة والصحفيين اجتماعات وحوارات.

ويمكن تقسيم جهوده إلى مايلي:

المبحث الأول: مجلة الوعى الإسلامي

قد عمل الدكتور عبد المنعم أحمد النمر بالكويت مديرًا لإدارة الدعوة والإرشاد، فأسس هناك "مجلة الوعي الإسلامي"، التي كانت وزارة الأوقاف الكويتية تتولى إصدارها والإشراف عليها، وذلك في غرة محرم عام ١٣٨٥هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥م، وهي مجلة إسلامية كويتية تعمل على تأصيل القيم والمساهمة في تنمية المجتمعات الإسلامية بخطاب شرعي معتدل، وصدر العدد الأول من مجلة الوعي الإسلامي في شهر محرم عام ١٣٨٥هـ

الموافق لشهر مايو عام ١٩٦٥م، وكتب تحت اسم المجلة: إسلامية.. ثقافية.. شهرية، وصدرت فى ١٠٠صفحة، وتولى الشيخ عبد المنعم النمر رئاسة تحرير المجلة فى ذلك الوقت، وكان من أبرز كتابها.

وعقب صدورها أرسل شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ حسن مأمون تحية إلى مجلة الوعي الإسلامي، وعبر عن سروره بصدور هذه المجلة، ثم قال: «وليس مصدر سرورنا أن مجلة إسلامية جديدة تضاف إلى عشرات المجلات الإسلامية التي تنتشر في سائر البلاد الاسلامية؛ ولكن لأن رجاءنا كبير في أن تصدر الوعي الاسلامي، جديدة في منهجها فتعرض الفكر الإسلامي الخصيب النابض بالقوة والحياة معًا، ومن جانب آخر تواجه موجات الإلحاد والانحراف التي زحفت إلى عقول بعض الشباب في العالم العربي الإسلامي لتغزو الإسلام والعروبة في عقر ديارهما"[1].

ثم تتوالى بعده المقالات التي اشترك في كتابتها كل من عبد المنعم النمر، وعلي عبد المنعم عبدالحميد، والشاعر محمود غنيم والدكتور عبدالله العربي، والشيخ محمد المدني والدكتور أحمد كمال زكي، والأستاذ صالح العثمان وعدد كبير آخر من العلماء والأدباء وتنوعت الموضوعات تنوعاً جيداً بحيث يستفيد منها القارئ فوائد متعددة ومتنوعة، فهناك حديث عن الهجرة، وآخر عن روابط المجتمع، وهناك القصة والقصيدة، وحديث عام عن الكويت في المؤتمرات الإسلامية، وعن الإسلام في الملايو، وباب مستقل تحت عنوان «الفتاوى، فيه الإجابة عن

---

(١) حسن مامون، "تحية الإمام شيخ الأزهر إلى مجلة الوعي الإسلامي"، **مجلة الوعي الإسلامي** (الكويت: وزارة الأوقاف، السنة: ١، العدد: ١، مايو ١٩٦٥م)ص١٠-١١.

أسئلة أولئك الذين يلجأون إلى وزارة الأوقاف من أجل الحصول على الرأي الديني في بعض المسائل الحياتية والدينية. وكان لها صدى كبير فى تقديم فكر إسلامى متنوع يراعى متطلبات العصر[1].

يقول الشيخ فهد محمد الخزي رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي: "انطلاقا من ريادة دولة الكويت عربيًا وعالميًا في التجديد والتطوير الإعلامي، والعمل على تعزيز الخطاب الإسلامي الإعلامي الوسطي، وترسيخ قيم الاعتدال والفهم الصحيح للإسلام باستخدام الوسائل الإعلامية المطبوعة والإلكترونية، تصدِرُ وزارةُ الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلةً في قطاع الشؤون الثقافية "مجلة الوعي الإسلامي": مجلة كويتية شهرية جامعة تصدر غرة كل شهر عربي ويوزع معها مجلة الأطفال "براعم الإيمان".

"وقد بدأت المجلة أول إصدار لها في غرة محرم عام ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥م، وأسسها الدكتور عبد المنعم أحمد النمر مدير إدارة الدعوة والإرشاد وأشرف عليها عبد الرحمن عبد الله المحجم وكيل الوزارة آنذاك وتكونت أسرة التحرير من: الدكتور عبد المنعم النمر رئيسا للتحرير والدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد مديرًا للتحرير والشيخ رضوان رجب البيلي نائبًا لرئيس التحرير والدكتور عبد الستار محمد فيض سكرتيرًا للتحرير. وبدأت المجلة مسيرتها علي عهد وثيق، ونهج واضح، تبينت معالمه في أهدافها، وكانت الرؤية تتمثل في الريادة عالميا في العمل

(١) انظر موقع مجلة الوعي الإسلامي على الرابط التالي:
http://alwaei.gov.kw/site/Pages/pages.aspx?pageid=٣

الإسلامي، ولم تكن رسالتها غير نشر الكلمة الصادقة المرتكزة على كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفق منهج وسطي معتدل، يتناول جميع القضايا، ويطرح الحلول والبدائل المناسبة لها"[1].

أهداف المجلة:

- تنمية الوعي الإسلامي بمفهومه الشامل.
- تأكيد الهوية الإسلامية وتعزيز الشعور بالانتماء للأمة.
- تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والرد على الشبهات بالدليل العلمي.
- الاستفادة من التقنيات الحديثة لتحقيق الإشعاع القيمي والفكري.
- دراسة المشكلات المعاصرة وطرح الحلول والبدائل[2].

دعوة مجلة الوعي الإسلامي كما يحكيها رئيس تحريرها الشيخ عبد المنعم النمر:

لاشك أن مجلة الوعي الإسلامي كانت هي الرصيف المركزي لأفكار الشيخ عبد المنعم النمر ودعوته، فكان يكتب الشيخ فيها مقالات قوية، ونالت المجلة قبولا عجيبا بين الأوساط العلمية بين العلماء والمثقفين، فكانت إذا صدر عدد من أعدادها تلقاه الناس بشوق ونهم، ومن ثم نجد كبار الكتاب والمفكرين يثرون المجلة بعطائهم الثر وعلمهم الغزير، يقول الشيخ في افتتاحية العدد الخامس الصادر في سبتمبر ١٩٦٥م تحت عنوان "أخي القارئ":

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

"أحببت أن يكون حديثي معك هذا الشهر عن مجلتك الوعي الإسلامي بعد أن صدر منها أربعة أعداد، ومضى من عمرها الطويل إن شاء الله أربعة شهور، وحديثي معك هنا ليس حديث خيال أو حديث أمل؛ ولكنه حديث حقائق، جمعتُها من الواقع الذي مر بنا خلال هذه الشهور الأربعة وما سبقها من شهور، كنا نرسم فيها ونخطط ونعمل لإصدار العدد الأول منها..

"لقد كان في ذهننا حينذاك ما تلقاه المجلات الإسلامية من رواج محدود لدى طبقة معينة من القراء وكانت الخبرة الطويلة التي مرت بنا في الحقل الإسلامي والصحفي والاجتماعي تكاد تضع أيدينا على الأسباب التي تجعل هذه المجلات قليلة الرواج بالنسبة للمجلات الأخرى..

"واستعرضنا من جديد هذه المجلات، ولم تكن غريبة عنا، فأكثرها أسهمنا في الكتابة بها ودرسنا اتجاهاتها وبحوثها وإخراجها، وخرجنا من ذلك كله بحصيلة، وضعفناها بجانب الهدف الذي نرمي إليه من إصدار مجلة إسلامية..

"لم يكن الهدف مطلقا أن يقال: إن الكويت تصدر مجلة إسلامية تزيد عدد هذه المجلات، وإن وزارة الأوقاف بها تقوم بهذه المهمة؛ بل كان الهدف أن نصدر مجلة تغزو الأوساط التي لم تتعود على قراءة المجلات الدينية – أن نكسب نوعا جديدا من القراء ونجذبه إلى الثقافة الإسلامية التي ظل بعيدا عنها أو قليل الاكتراث بها..

"وكان هذا يقتضي منا أن نجعل المجلة تتفاعل مع النفوس ومشكلاتها على اختلاف مستوياتها، وتعيش مع الناس في أفكارهم وآمالهم

وتعمق حبهم لدينهم، وتصل حاضرهم الذي يبنونه بماضيهم الذي يتغنون بأمجاده، وتتصدى للوباء الوافد عليهم من الغرب والشرق، وتقضي على جراثيمه لتحميهم من العدوى بها، وتنزع من الأفكار بعض الصور المشوهة التي علقت بالإسلام وهي دخيلة عليه..

"ولم يغب عن ذهننا بجوار ذلك أن أسلوب العرض والإخراج له تأثير كبير على نفسية الناس في كل شيء تعرضه عليهم..

"وعلى هدى هذا كله سرنا في إصدار المجلة، وظهر العدد الأول منها وانتظرنا حكم القراء عليه، ولم ننتظر طويلا حتى توالت علينا الرسائل وكلها تعتبر المجلة مفاجأة سارة جذبت انتباههم، وانتزعت إعجابهم وتقديرهم.. وأن كنا نحن من جانبنا لم نعده مطلقا كما حسبوه؛ بل اعتبرناه خطوة على الطريق الصاعد الذي وطدنا العزم على أن نسلكه ونجتاز عقباته حتى نصل إلى قمته..

"وجاءت الأعداد- الثاني والثالث والرابع خطوات كذالك على هذا الطريق- شجعنا على خطوها عزمنا على الاتحاد، وخلوص النية في العمل ووضوح الرؤية للهدف، والتصميم الحازم على الوصول إليه، بجانب ما سمعناه من تقدير وما وصل إلينا من مئات الرسائل التي اعتبرت المجلة فتحا جديدا في عالم المجلات الإسلامية.

"ولأول مرة في تاريخ المجلات الإسلامية بل وغير الإسلامية تنفد أعداد المجلة من القاهرة مثلا بعد أقل من ساعتين من ظهورها..

"ولأول مرة تصلنا الرسائل بأنها تباع في السوق السوداء بضعف ثمنها، ويقابلني زميل فيشكو إلي بأنه اشتراها يوم ظهورها في القاهرة

بعشرة قروش بعد أن تعب في البحث عنها، وتنهال عليه مئات الرسائل تطلب العدد الأول منها، وتتقدم شركة التوزيع تطلب كذالك إعادة طبعه استجابة لما تلقته من طلبات متعهديها في الأقطار الإسلامية..

"ولأول مرة في مجلة إسلامية تضغط شركة التوزيع لزيادة المطبوع منها حتى وصل ما طلبته من العدد الرابع ضَعْفَ ما طبعناه من العدد الأول..

"وحين سافرت للقاهرة وجدتها فرصة سانحة للدراسة على الطبيعة، فمررت على أكشاك باعة الصحف بعد ساعتين من توزيعها فلم أجدها..لقد نفدت سريعا، ومن هنا أدركت السر فيما سمعته من كثيرين من أن المجلة لاتنزل للسوق... أنهم يتأخرون في طلبها بعض الوقت فلا يجدونها.

"وقابلني كثيرون وتلقيت محادثات هاتفية كثيرة، وبعضها من قراء مثقفين ما كان من المعهود فيهم عنايتهم بالمجلات الإسلامية.. وكلهم يهنئون الكويت ووزراة الأوقاف على إصدار هذه المجلة، ويطلبون ما صدر منها من أعداد حتى يحتفظوا بأعدادها كاملة.

"وكان مما أثر في نفسي حقيقة محادثة من قارئ أعرف اسمه؛ لأن من كبار الموسيقيين في الإذاعة والتلفزيون يرجو الحصول على العدد الأول... ولم أملك أمام هذه الروح الجديدة الطيبة إلا أن أعده به، فكان فرحه بهذا الوعد أضعاف سروري بهذا الطلب.

"إنها إذن الروح الإسلامية الأصيلة الظامئة للمعرفة والثقافة الإسلامية، إنه الوعي الإسلامي المتفتح الذي رأى في مجلة الوعي ضالته

وصورته، إنها القوة الإسلامية الكامنة في هذا الشعب المسلم الذي يحتضن العمل الجاد المثمر ويباركه وينميه.

"لقد قلت في افتتاحية العدد الثاني: إذا كانوا يقولون: إن حماس الجماهير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد إبداعا وإيقانا، فإن إقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها، ويضاعف من جهودهم ليقدموا لك في كل عدد من خلاصة أفكارهم مايسرك ويرضيك.

"ونحن نحمد الله على هذا التجاوب الطبيعي الذي قضى على أسطورة عدم رواج المجلات الدينية أو عدم اهتمام الناس بها، ونرى من واجب الوفاء للوعد الذي قطعناه والهدف الذي رجوناه أن نضاعف نحن وحضرات السادة الكتاب من الجهود المبذولة لتكون المجلة دائما ميدانا للبحث العلمي الجديد الهادف، ومنارا للعاطفة الإسلامية الصادقة.. والله وحده هو الموفق والمعين"[١].

وفي افتتاحية العدد الثالث من مجلة الوعي الإسلامي كتب الشيخ مقالا قويا، يفيض غيرةً على الإسلام والدعوة الإسلامية، فقد جاء فيها:

"ولكن الإسلام ليس مجرد مظاهر وكلام.. إنه عقيدة وعمل.. نظام وتشريع وآداب.. فما مدى تفاعل حياتنا معه، وأين واقعنا منه؟

"لقد طارده الاستعمار في دياره حينا من الدهر، وسلط عليه معاوله وأساليبه الماكرة في كل بلد مسلم حل به، وكنا نقول ويقول التاريخ معنا: ذلك منطق العدو، وتلك خططه لبلوغ أهدافه..

---

(١) عبد المنعم النمر، **مجلة الوعي الإسلامي**، "أخي القارئ" (الكويت: وزارة الأوقاف، العدد: ٥، السنة: ١، سبتمبر١٩٦٥م) ص٥-٦.

ولكن ذهب الاستعمار، وامتلك الدول الإسلامية زمام أمرها، وأخذت ترسي دعائم استقلالها ونهضتها، وحكامها ليسوا غرباء عنها، بل من صميم الشعب المسلم.

"فماذا كان نصيب الدين عندها من هذه الدعائم، وهو في الحقيقة أصلها وركيزتها؟ هل أنصفته وردت إليه اعتباره في المجتمع، أم أنها تركت الروح التي خلفها الاستعمار تعمل عملها في إقصائه عن حياتنا، وتشجيع التمرد عليه في مجتمعاتنا؟

"هل عنيت هذه الدول بغرسه في نفوس الشباب، وتربيتهم على تعاليمه منذ صغرهم، ليشبوا على احترامه والغيرة عليه في كبرهم؟

"لقد وجدناها تعنى بالرياضة والفنون فجعلت في مدارسنا وجامعاتنا قاعات فاخرة للسينما، وساحات واسعة للرياضة.. ومع ذلك لم تجعل فيها مساجد للعبادة!!!"[١]

رأي الدكتور محمد الجوادي في مجلة الوعي الإسلامي:

يقول الدكتور محمد الجوادي وهو يتحدث عن لقائه المبكر مع الدكتور عبد المنعم النمر:

"في يومٍ حارٍّ من أيام صيف ١٩٧٥م التقيت فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فتكرّم علي بفضل راحلته كما يقول الأثر، وفي الطريق بدأ يسألني عما أعرفه عنه، فقلت له: إنه هو مؤسس مجلة الوعي الإسلامي، فسألني عن أهمية مجلة الوعي الإسلامي، فقلت له: إنها ثاني المجلات العربية أهميةً بعد مجلة العربي، فانتشى انتشاءَ من لم يكن يتوقع

(١) المصدر السابق، السنة :١، العدد:٣، يوليو ١٩٦٥م، ص٦-٧.

الإجابة، ومن رُزِق فضلاً لم يسع إليه، وسألني على طريقة الأساتذة الأزهريين عن السبب الذي جعلني أقرن المجلتين معاً مع اختلاف منزعهما، فأجبته ببساطة الشاب الصغير أو الفتى البرئ الذي ليس في حاجة إلى الزعم بالتأصيل العلمي أو الفكري أو الأيديولوجي، وقلت له: إننا أنا ومعظم زملائي نحرص في كل شهر على قراءة العربي والوعي الإسلامي، وليس لنا كشباب اهتمام منتظم مشترك إلا بهاتين المجلتين في المقام الأول، وإن كنا نطالع مجلات أخرى، فسألني عما أطالعه أنا بالذات، فقلت له: إني أطالع كثيرًا من المجلات غير المعروفة فألح في السؤال عن مجلات دينية أخرى، فأجبته بأني أطالع مثلًا بانتظام مجلة غير مشهورة، هي الاعتصام، فتعجب من أن أعرف هذه المجلة التي لم تكن حتى ذلك الحين توزع إلا بالبريد، فقلت له: إن والدي -عليه رحمة الله- كان على صداقةٍ مع أكبر كتابها وهو الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن -عليه رحمة الله- ومن هنا فإنه أصبح على صداقة برئيس تحريرها وصاحب امتيازها الأستاذ أحمد عيسي عاشور"[١].

الشيخ عبد المنعم النمر ومجلة منار الإسلام:

عمل الدكتور عبد المنعم النمر بعد الكويت في الإمارات العربية المتحدة، وأسهم هنا أيضًا في تأسيس مجلة "منار الإسلام" في الإمارات العربية المتحدة [٢].

---

(١) محمد الجوادي، مقال بعنوان "**العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط**"، المنشور على موقع الجزيرة نت، اطُّلِع عليه بتاريخ ٢٦ من أغسطس عام ٢٠٢٠.

(٢) المصدر السابق.

المبحث الثاني: الشيخ عبد المنعم النمر وعمله في خارج مصر

كان الشخ عبد المنعم النمر شخصية ذات عزيمة وطموح، وكان يحب الاطلاع على أحوال العباد والبلاد، فقد حقق الله له أمنية الزيارات والتنقلات، فقد زار الشيخ عددا من بلاد العالم، بما فيها الهند والكويت والإمارات وتونس وغيرها، وقد أنشأ في الإمارات مجلة منار الإسلام، ولم أجد حتى الآن نسخة منها بعد بحث وتنقيب.

في الهند:

أما الهند فقد زارها الدكتور عبد المنعم النمر في عام ١٩٥٦م كمبعوث من الأزهر الشريف والمؤتمر الإسلامي، ليتولى التدريس في الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، ومكث هناك سنتين وبضعة شهور، وبالتحديد منذ الثالث من شهر نوفمبر عام ١٩٥٦م حتى فبراير ١٩٥٩م، وقد نفخ الشيخ في دار العلوم ديوبند روح اللغة العربية، ولاشك أن الاتصال المباشر بالناطقين بلغةٍ ما يفيد كثيرا في تلقي تلك اللغة، فما ظنك بما إذا كان ذلك الناطق مصري المولد، أزهري الثقافة، كثير الكتابة، بليغ العبارة في حجم الشيخ عبد المنعم النمر؟ فقد زاد إقبال الطلبة على اللغة العربية إقبالا عجيبا، وتخرج عدد من الفضلاء الذين يتقنون اللغة العربية نطقا وكتابة، جاء في كتاب تاريخ دار العلوم ديوبند في هذا الشأن ما يلي:

"عند ما زار دار العلوم ديوبند السيد أنور السادات أمين عام المؤتمر الإسلامي آنذاك اقترح الشيخ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند إقامة صلة ثقافية متبادلة بين دارالعلوم ديوبند

وبين جامعة الأزهر، فرحَّب الضيف الكريم بهذا الرأي، وقوبل الرأي في المؤتمر الإسلامي وجامعة الأزهر بالموافقة عليه، وقررت جامعة الأزهر والمؤتمر الإسلامي إرسال اثنين من كبار العلماء، وهما الشيخ عبد المنعم النمر والشيخ عبد العال العقباوي لمدة سنتين، ولما انقضت هذه المدة نزل الشيخ عبد الوهاب محمود محلهما، وبعد التواصل مع جامعة الأزهر نشأ إقبال مثير لدى طلبة دار العلوم ديوبند على اللغة العربية كتابة وخطابة؛ حتى تم إنشاء قسم خاص باللغة العربية باسم "الصف العربي"، الذي يعمل على تعليم الطلبة اللغة العربية وإتقانها في الكتابة والإملاء والخطابة، حتى عاد مئات من الطلبة يقدرون على النطق والكتابة باللغة العربية" (١).

وهكذا وصل الدكتور عبد المنعم النمر مع صاحبه عبد العال العقباوي في ١٣ من يناير عام ١٩٥٦م، ونفخ هنا روحا جديدة في تعليم اللغة العربية، وغرس في قلوب الطلبة حب العربية وأهميتها، وهداهم إلى طرق تعلمها وإتقانها، ولاشك أنه كان أستاذا موفَّقا، ومدرسًا بارعًا، فقد أنشأ طائفة متميزة من الطلبة، أتقنت العربية، وقامت بخدمتها ونشرها وتوسيع نطاقها.

يقول البروفيسور محسن عثماني الندوي عميد كلية الآداب سابقا في جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بمدينة حيدرآباد الهند في هذا الصدد:

---

(١) سيد محبوب الرضوي، **تاريخ دار العلوم ديوبند**(لاهور: الميزان ناشران كتب، ط١، ٢٠٠٥م)، ج١، ص٣٣٨-٣٣٩.

"وكان من أهم خدماته أنه انتدب بصفته مبعوثًا من الأزهر الشريف للتدريس في دار العلوم ديوبند- الهند، التي تُدعى بأزهر الهند، وهذا كان نقطة تحولٍ بنَّاءٍ في تاريخ دار العلوم ديوبند لاسيما من الناحية الأدبية، فكأنما حلَّ الربيعُ في هذه الدار واهتزَّت النُّوَّارُ، وتفتحت الأزهار، إنه أحيا اللغة العربية في دار العلوم ديوبند نطقاً وكتابةً وخطابةً وتأليفاً، فقد حرَّك ساكن هذه الدار، وملأ جوَّها شوقاً وتحرُّقًا إلى اللغة العربية واستخدامها كلغة حيةٍ، ثم أكمل هذه المسيرةَ الأدبية وبلغ بها ذروتها في رحاب دار العلوم ديوبند رجلٌ عملاقٌ آخر، ألا وهو شخصية وحيد الزمان الكيرانوي، الذي نفخ روحَ العربية في ديوبند، فانضوى كثير من الطلبة حوله، فاتَّقدت قريحتهم، وعادت هذه الدار تنجب رجالًا كثيرين يكتبون بالعربية مثلما يكتب رجال القلم في العالم العربي في الجرائد والمجلات والمؤلفات"[1].

وأثناء قيام الشيخ عبد المنعم النمر بالهند حرص حرصا شديدا على معرفة تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند، فانقطع إلى البحث عن المصادر والتنقيب عن مظان المعلومات، ولقاء الشخصيات المثقفة وزيارة الأماكن والمآثر التاريخية، حتى اطلع على تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند اطلاعا شاملا، قد يخفى بعض جوانبه الهامة حتى على مؤرخي الهند، وألف كتابه تاريخ الإسلام في الهند.

يقول كبير مؤرخي الهند وزعمائها الشيخ سيد محمد ميان الدهلوي: "ولكن مما نأسف له أننا لم نر واحدا من علماء الهند طوال

(١) من مقدمة هذا الكتاب، ص٤.

هذه المدة، قد أدى واجب الوفاء نحو وطنه بكتابة تاريخ مفصل له بطريق علمي دقيق، مما جعل العرب لايعرفون عنا إلا معرفة بسيطة جدا، حتى جاء إلينا المؤلف(الدكتور عبد المنعم النمر) وأقام بيننا، وكان هذا بلاشك من حسن حظنا، وحظ أسلافنا الأمجاد، فقد بهره ما رأى من آثارهم، وما علم من تاريخهم، فعكف على التنقيب عنه وتدوينه، وتحمل في سبيل غرضه النبيل ما تحمل من المشاق عن طيب خاطر، حتى وضع أمام القراء ثمرة كفاحه ممثلة في هذا الكتاب (تاريخ الإسلام في الهند) الذي أقول عنه بلا تردد ولا مجاملة: إنه كتاب جامع وكامل من جميع نواحيه، ومنصف لتاريخ الإسلام والمسلمين في كل سطر منه...[1]

يقول الشيخ علاء الدين الندوي تلميذ الشيخ عبد المنعم النمر في ديوبند: "قد أقام الشيخ في الهند لعامين وثلاثة شهور، لم يغفل فيها عن أداء مهامه الواجبة، وأخذ على كتفه عبء كتابة تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند، فقام باستعراض دقيق للمجتمع الهندي والمواطنين الهنود ومابينهم من علاقات ثقافية وتاريخية في الماضي والحاضر، وجمع من المعلومات النادرة ما لايقدر عليه غيره في هذه المدة القليلة، فقد قام بزيارات متكررة للأماكن التاريخية الهامة، ومنها مدينة مونجير، التي صارت تحت الحكم الإسلامي لمدة ألف عام، وصارت لها أهمية كبرى من الناحية العسكرية"[2].

---

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٣.

(٢) الندوي، علاء الدين، **آزادي هند كي جد وجهد مين مسلمانون كاحصه**،[ترجمة كتاب كفاح المسلمين في تحرير الهند للشيخ النمر](الهند: مجلس النجوم الأحد عشر كهجريا بيهار، ط٢، ٢٠١٣م)، ص١٢.

يقول الدكتور محمد شكيب القاسمي: "وكان الشيخ عبد المنعم النمر يحمل همة علمية عظيمة، وروحا بحثية متوهجة، وكان مبعوث المؤتمر الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف إلى الهند، فعمل مدرسًا بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند منذ عام ١٩٥٦م-١٩٥٨م، ومن حسن الصدفة وجد في ديوبند الشيخ محمد سالم القاسمي، نجل الشيخ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة آنذاك، فكثرت بينهما حوارات علمية وتبادلات ثقافية، وكانت الهند وتاريخها ودور المسلمين فيها هي النصيب الأكبر من هذه الحوارات، فحدثت رغبة عجيبة للشيخ في الاطلاع على تاريخ الهند العظيمة حتى قام الشيخ عبد المنعم النمر مع الشيخ محمد سالم القاسمي بزيارة المواطن الهامة في الهند مما كشف للشيخ عن الوجه الثقافي للهند، ولما اطلع الشيخ على ما للهند من إسهامات حضارية، وما لعلمائها من ريادة متميزة في العلم والأدب والنقد عاد ذاهلًا مدهوشًا، ثم صح عزمه على كتابة هذا التاريخ، فلم يضع قلمه إلا بعد كتابة ثلاثة أسفار علمية عظيمة، هي مازالت مصادر هامة في تاريخ الهند وحركاتها وحضاراتها ودياناتها"[١]

وهكذا كانت إقامة الشيخ بالهند إقامة مباركة، سبَّبت كتابة هذه الأسفار القيمة، التي كانت إضافة قيمة إلى المكتبة العربية، وقد نوه بشأنها العلماء والمثقفون في كل مكان، كما سيأتي ذكره.

تنقله بين البلاد العربية:

وبعد عودته من الهند عام ١٩٥٨م عمل الشيخ في الكويت مديرا لإدارة الدعوة والإرشاد في وزارة الأوقاف بالكويت، وهنا أسس مجلة

(١) من مقدمة هذا الكتاب، ص٨.

الوعي الإسلامي كما مر، والتي شاركت في تكوين جو علمي وصحافي في دولة الكويت، كما شارك في إصدار مجلة منار الإسلام بدولة الكويت.

وزار الشيخ عبد المنعم النمر تونس، وشارك في مؤتمر حول "الإسلام وتحديات العصر"، نظمه مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، فنال إعجاب واحترام وتقدير كل من حضر هذا اللقاء.

وعاد إلى تونس مرة أخرى بمناسبة مؤتمر دعت إليه رابطة الجامعات الإسلامية والمجلس الإسلامي الأعلى حول قدسية الحرمين.

وبعد عودته من الكويت واصل دراساته العليا الموازية لدراسات الجامعات المدنية، أي إنه لم يواصل الدراسة في درجة العالمية من درجة أستاذ، وإنما سلك السبيل الآخر حتى حصل على درجة الدكتوراه ١٩٧٢م، بإشراف الدكتور فوزي صالح عباس، وكانت رسالته عن "مولانا أبو الكلام أزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند"[١].

عودته لمصر:

في أوائل السبعينيات عاد الدكتور عبد المنعم النمر بصفة نهائية إلى مصر، واشتغل بعدد من الأعمال بها، فعُيِّن مديرا للبعوث في مجمع البحوث الإسلامية في مارس ١٩٧٠م، وأمينا عاما مساعدا، وفي هذه الفترة شنَّ حملةً صحفيةً شعواء على الشيوعية، وتواكبت حملته مع موقف الدولة من ناحية، ومع موقف الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود المناهض للشيوعية من ناحية أخرى[٢].

---

(١) محمد الجوادي، مقال بعنوان "**العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط**"، منشور على موقع الجزيرة نت، اطلع عليه بتاريخ ٢٦ من أغسطس عام ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: المصدر السابق.

المبحث الثالث: مؤلفاته القيمة

كان الشيخ من الكتاب المكثرين المجيدين، ولم تشغله مناصبه السياسية (الوزارة) والنيابية والمهمات العلمية والوعظية عن العطاء العلمي الجاد في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية فكتب حول الثقافة والتاريخ في الإسلام، ودافع عن أصالة الثقافة الإسلامية في مقابل الغزو الفكري الغربي، وله عدة مؤلفات منها:

١- مولانا أبو الكلام أزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند، وهي رسالته للدكتوراه تحت إشراف الدكتور فوزي صالح عباس بنجرسنة١٩٧٢م.

٢- البابية والبهائية

٣- الإسلام والشيوعية.

٤- بين السنة والتشريع.

٥- علم التفسير.

٦- إسلام لا شيوعية.

٧- من هدي القرآن.

٨- من هدي الرسول.

٩- حضارتنا وحضارتهم.

١٠- إسلام لا شيوعية.

١١- علوم القرآن.

١٢- مشاكلنا في ضوء الإسلام

١٣- .الإسلام والغرب وجهًا لوجه.

١٤- بدء الشهور القمرية بين السنة والاجتهاد.

١٥- الاجتهاد بين الماضي والحاضر.. ضروراته ومظاهره الآن

١٦- نظرات في كتاب الله : تفسير جزء الأحقاف وقد سمع.

١٧- شخصية المسلم كما يصنعها الإسلام.

١٨- الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء على مر القرون.

١٩- أحاديث الرسول وكيف وصلت إلينا ؟

٢٠- حصاد القلم.

٢١- الإسلام والغرب.

٢٢- الشيعة.. المهدي..الدروز، تاريخ ووثائق.

٢٣- الماركسية بين النظرية والتطبيق.

٢٤- الدين والحياة.

٢٥- تاريخ الإسلام في الهند.

٢٦- الإسلام والمبادىء المستوردة.

٢٧- كفاح المسلمين في تحرير الهند.

٢٨- المساواة في الإسلام والمدنية الغربية.

٢٩- خواطر في الدين والحياة.

٣٠- من وحي الإسلام والأحداث.

٣١- إلى الشباب في الدين والحياة.

الفصل الثالث:
مناصبه القيادية

قد تولى الدكتور عبد المنعم النمر عددًا من المناصب القيادية في عهد الرئيس المصري أنور السادات؛ حيث عُيِّن مديرًا عامًّا للتفتيش في الأزهر عام١٩٧٧م، ثم اختير وكيلًا للوزارة لشؤون المعاهد الأزهرية، وهو المنصب الأزهري الموازي لوزير التربية والتعليم، وقد حاول بدأ سياسة علنية من الإصلاح في مناهج التعليم الأزهري العام في الأزهر، ودعا إلى ضرورة تخليص الكتب الأزهرية من الإسرائيليات، ومن العجيب أن دعوته هذه تواكبت مع كامب ديفيد، وكان من الواضح أنه يسابق الزمن وإن لم يمهله سن المعاش فقد أحيل إلى المعاش عام ١٩٧٨م، ونجمه لامع. فلما اختير الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار لتولي الوزارة في أكتوبر ١٩٧٨م قبيل وفاة الشيخ عبد الحليم محمود، تولى الدكتور عبد المنعم النمر وكالة الأزهر بعد أن كان قد وصل الخامسة والستين(١).

المبحث الأول: توليه وزارة الأوقاف ١٩٧٩م

بعد أن توفي الدكتور عبد الحليم محمود فجأةً شغل الدكتور النمر منصب مشيخة الأزهر بالنيابة حتى عُيِّن الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار شيخًا للأزهر، على حين عُيِّن هو وزيرًا للأوقاف في يناير ١٩٧٩م خلفا للدكتور بيصار، وذلك في أثناء وزارة الدكتور مصطفى خليل الأولى،

(١) الدكتور محمد الجوادي، مقال بعنوان "العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط"، منشور على موقع الجزيرة نت، اطلع عليه بتاريخ ٢٦ من أغسطس عام ٢٠٢٠.

وظل الدكتور عبد المنعم النمر يشغل هذا المنصب في وزارة الدكتور مصطفى خليل الثانية ١٩٧٩م، وحتى استقال الدكتور مصطفى خليل عن المنصب في مايو ١٩٨٠م، حيث خلفه الدكتور زكريا البري في وزارة رئيس السادات الأخيرة[١].

الإصلاح الإداري في الأوقاف:

كان الدكتور عبد المنعم النمر من أكثر مَنْ تولَّوا وزارة الأوقاف حرصا على تنظيمها، وقد مضى خطوات واسعة في تنظيم هيئة الأوقاف، مما أخرج نتائج مثمرة، وكان على رأس اهتماماته محاربة استغلال الأوقاف، وقد بذل في هذا الشأن جهدًا مكثفًا[٢].

المبحث الثاني: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وفي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية واصل الدكتور عبد المنعم النمر المسيرة التي بدأها سلفه غير المباشر الشيخ الشعراوي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فركز عنايته على إصلاح ما سمي بالفساد الإداري، وصمم على تبعية المجلس تبعية كاملة للوزارة، وأعاد صياغة العمل في المجلس على أسس إدارية منضبطة، وعهد بمنصب الأمين العام للمجلس إلى رجل من رجال القضاء ذوي البصر بأمور الدين والتفكير الحر والإدارة والقانون في الوقت نفسه، وهو الدكتور جمال الدين محمود نائب رئيس محكمة النقض، وكان الدكتور النمر حريصا على الذهاب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

بنفسه للمجلس مرة في الأسبوع على الأقل لمتابعة مشكلاته، وتثبيت نظمه، وحضور اجتماعاته، وهو تقليد رائع، تمسك به بعض خلفائه[١].

توفير ترجمة معاني القرآن الكريم في الفنادق:

كان الدكتور عبد المنعم النمر مهتما بمشروع طبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية بأعداد كبيرة، وهو ما لم يتم قبل ذلك في مصر، وقد اختار الترجمة الإنجليزية للقرآن لمولانا عبد الله يوسف علي، وأعلن عن تبرع أهل الخير برُبع مليون جنيه لتنفيذ هذا العمل، وكان يأمل أن يتيح نسخة من القرآن في غرف النزلاء بالفنادق، على نحو ما يوجد الكتاب المقدس في فنادق بلاد الغرب[٢].

لجان تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب:

أسهم الدكتور عبد المنعم النمر مع الدكتور صوفي أبو طالب في تكوين لجان تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب. وحاول أن يشترك في مقاربة أزمات الشباب والجماعات الإسلامية على نحو سياسي، فلم تساعده سطوة الدولة العميقة في نهاية السبعينيات، ويروى أنه طلب إلى الرئيس السادات علانية أن تصاغ برامج الإذاعة والتليفزيون في إطار أخلاقي، فأجابه الرئيس السادات إلى طلبه وقال له: بل في إطار ديني، وسلك هذا التوجيه مسلك اللجان التي يكون عمرها في العادة أطول من عمر الوزير مع كرسي الوزارة[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

المبحث الثالث: عضوياته في المجالس العليا للثقافة والصحافة

بعد خروج الدكتور عبد المنعم النمر من الوزارة ظهر نشاطه وحضوره عضوا في المجلس الأعلى للثقافة، وعضوا في المجلس الأعلى للصحافة. وكان الشيخ النمر يمثل في المجلسين دور عالم الدين صاحب المقعد المتقدم والمؤثر والمرهوب عن احترام وتقدير، بالإضافة إلى أدواره في مجمع البحوث الإسلامية، والمجالس القومية المتخصصة، ومجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون[١].

عضويته في مجلس الشعب:

كان الدكتور عبد المنعم النمر واحدا من العشرة المعينين في مجلس الشعب عام١٩٨٧م، وقد ترأس لجنة الشؤون الدينية بالمجلس[٢].

المبحث الرابع: جائزة الدولة التقديرية في الآداب

مُنح الشيخ عبد المنعم النمر جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام١٩٨٥م، في العام الذي فاز بها معه الدكتور عز الدين إسماعيل، وكان أول عالم أزهري من العاملين في مجتمع الأزهر ينال الجائزة في الآداب، وذلك قبل أن يفوز بها أول أستاذ للأدب في الجامعة الازهرية وهو الدكتور محمد السعدي فرهود في ١٩٩٣م، ولاشك أن مقدرته البيانية وكثرة إسهاماته في الكتابة للصحف في خارج مصر وداخلها كانت كفيلة بأن تلفت النظر إلى قدراته الأدبية المستحقة للتقدير[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

المبحث الخامس: وفاته

لقد رحل الشيخ عبد المنعم النمر عن هذا العالم يوم الاثنين في الثالث من يونيو عام ١٩٩١م عن عمر يبلغ ٧٨عاما، قضاها في تحصيل العلم ونشره وبثه بين الناس بقلمه ولسانه، والدفاع عن الإسلام والمسلمين والتراث الإسلامي، فرحم الله الشيخ عبد المنعم النمر رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المبحث السادس: ثناء العلماء عليه

الشيخ سيد محمد ميان الدهلوي الهندي:

كتب الشيخ سيد محمد ميان الدهلوي مقالا تحليليا طويلا في جريدة "الجمعية" التي تصدر في دلهي باللغة الأردية بشأن التعريف بكتاب "تاريخ الإسلام في الهند"، وذلك في عدد ٢٢ نوفمبر عام ١٩٥٩م، أنقل منه بعض الفقرات مترجمةً:

"كتاب جديد صدر في القاهرة عن تاريخ الإسلام في الهند باللغة العربية لمؤلفه الأستاذ عبد المنعم النمر، وهو يحتوي على تاريخ الهند من بدايتها إلى ماقبل مائة سنة أي إلى الانقلاب التاريخي العظيم سنة ١٨٥٧م...فالهند لها تاريخ مجيد، وقد أنجبت علماء ورجالا لهم مكانتهم في ميادين العلوم والفنون والحكم، وخلفوا وراءهم تاريخا ضخما عظيما؛ ولكن مما نأسف له أننا لم نر واحدا من علماء الهند طوال هذه المدة، قد أدى واجب الوفاء نحو وطنه بكتابة تاريخ مفصل له بطريق علمي دقيق، مما جعل العرب لايعرفون عنا إلا معرفة بسيطة جدا، حتى جاء إلينا المؤلف(الشيخ عبد المنعم النمر)، وأقام بيننا وكان هذا بلاشك من حسن حظنا، وحظ أسلافنا الأمجاد، فقد بهره ما رآى من

آثارهم وما علم من تاريخهم، فعكف على التنقيب عنه وتدوينه وتحمَّل في سبيل غرضه النبيل ما تحمل من المشاق، عن طيب خاطر، حتى وضع أمام القراء ثمرة كفاحه ممثلة في هذا الكتاب الذي أقول عنه بلاتردد ولامجاملة: إنه كتاب جامع وكامل من جميع نواحيه، ومنصف لتاريخ الإسلام والمسلمين في كل سطر منه

"ومراجع هذا الكتاب كلها مراجع علمية تاريخية موثوق بها، ولم يقتصر على تاريخ الملوك وأصحاب التيجان فحسب؛ بل ترى فيه أيضا ما لابد منه لباحث تاريخي لأمة ما...وقد لفت نظري وأثار إعجابي – وقد أخرجت كثيرا من كتب التاريخ- أن المؤلف لم يقتصر على سرد حوادث التاريخ؛ بل علل لها وحلل الحوافز والدوافع عليها وأصدر أحكاما منصفة، خفيت على كثير من المؤرخين الهنود، وأخفاها المؤرخون غير المسلمين عمدا، وترى هذا بشكل واضح فيما كتبه عن أكبر وأورنك زيب، وعن الغرب يتحرك نحو الشرق...وهذه الناحية التي بينت فلسفة التاريخ أهم عندي من التاريخ نفسه، وإننا هنا في الهند، لانملك إلا أن نقدم الشكر للمؤلف الجليل، ناصحين أبناءنا من طلاب المدارس العربية الإسلامية والجامعات المختلفة، أن يعنوا بمطالعته، راجين من المسؤولين فيها أن يقرروه في مناهجهم الدراسية"(١).

الداعية الكبيرالشيخ أبو الحسن علي الندوي:

لما قرأ الشيخ أبو الحسن علي الندوي كتاب تاريخ الإسلام في الهند للشيخ عبد المنعم النمر أرسل إليه رسالة، ذكرها الدكتور في مقدمة

---

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٢-١٣.

الطبعة الثانية لكتاب تاريخ الإسلام في الهند، يقول الدكتور: "ورسالة من الهند جاءتني من الأخ العالم الهندي الكبير الأستاذ أبي الحسن الندوي-وهو الخبير بتاريخ الهند- يقول فيها:

"أعجبني ما قرأت، وتعجبت من سرعة إدراككم لكثير من الحقائق التي خفيت على كثيرين وأعجبني بصفة خاصة الفصل الخاص بالسيد الإمام (أحمد بن عرفان الشهيد) وهو موضوع يدق فهمه، ويصعب الإنصاف فيه على كثير من المؤرخين الكتاب، وأعترف بصراحة أن الكتاب قد سد فراغا عظيما في المكتبة العربية العصرية، وأهنئكم على هذا التوفيق، وحسب الشعب الهندي المسلم إبرازكم تاريخه ومآثره، والانتصاف له من الذين يجحدون فضله، ويغمطون حقه من المؤرخين الأوربيين والشرقيين غير المسلمين، أو يجهلون مكانته من إخواننا العرب المثقفين"[١].

الدكتور القاضي أطهر المباركفوري مؤرخ الهند الكبير:

"كانت شخصية الشيخ عبد المنعم النمر شخصية شاملة، كان يجمع بين القديم والحديث، ويملك طبيعة معتدلة، كان له بجانب الأشغال العلمية والبحثية والتأليفية اهتمام يُذْكر بقضايا العالم الإسلامي، وكان يشارك في الندوات والمؤتمرات بآرائه الجريئة ومواقفه الصريحة، كان خطيبا لايُشقُّ له غبار، ولتمتعه بالمؤهلات العلمية والمواهب المتنوعة يحظى بشعبية واحترام في جميع الأوساط العلمية"[٢].

---

١ المصدر السابق، ص١٤.

٢ المباركفوري، القاضي أطهر، **آسودگان خاك**، (الهند: أكاديمية القاضي أطهر المباركفوري، أعظم جراه، ط١، ٢٠٠٩م)ص١٨٦.

الدكتور محمد الجوادي:

"الدكتور عبد المنعم النمر (١٩١٣ ـ ١٩٩١) واحد من أبرز علماء الأزهر في جيله، اتصل بالدعوة والتعليم والثقافة والصحافة والسياسة والإدارة والعلاقات الخارجية والحياة الحزبية قبل الثورة، والحياة البرلمانية في عهد مبارك فكان في كل هذا مقتصدًا عاقلًا متزنًا قادرًا على الحضور متمتعًا بالتألق من دون أن يسرف على نفسه في شطحات أو تعصبات حتى وإن كرَّر الدعوة إلى مواكبة العصر بالفتوى؛ بل إنه كان بمثابة النموذج المصري الوسطي الذي يميل تمامًا لدعوة كدعوة الإخوان المسلمين؛ لكنه يتحفظ بشدة على الشيعة ولا يعادي الصوفية ولا السلفية وإنما يتعايش مع دعاتهما على نحو ما يتعايش مع الرياضة أو الفن"(١).

الدكتور صوفي أبو طالب:

"عرفت فيه عاملًا مجتهدًا من القلائل الذين يستطيعون تطويع الأمور المعاصرة لأحكام الفقه الإسلامي، وهو يمثل مدرسة فقهية من المجددين، بدأت بالشيخ الإمام محمد عبده"(٢).

الدكتور محمد حسن الزيات:

"تميز (أي الدكتور النمر) بقدرته على الإقناع بأن الإسلام دين كل زمان ومكان"(٣).

---

(١) د. محمد الجوادي، مقال ضافٍ بعنوان "العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط"، منشور على موقع الجزيرة نت، اطلع عليه بتاريخ ٢٦ من أغسطس عام ٢٠٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الدكتور الأحمدي أبو النور المصري عضو هيئة كبار علماء الأزهر الشريف ووزير الأوقاف الأسبق:

"كان الدكتور عبد المنعم النمر-رحمه الله- من خيرة علماء الأزهر والأوقاف والدعاة إلى الله عز وجل، حيث آثر ألا يكتفي بالمرحلة الجامعية الأولى، وإنما جاهد أن ينال الدكتوراه بجدارة في التاريخ الاسلامي، وقد كانت له رحلة دعوية إلى الهند فاستثمرها في دراسة علماء الهند من المفسرين والمحدثين، ومن بين هؤلاء العلماء مولانا أبو الكلام آزاد، ومن المعلوم أن للهند سيرةً وعلاقةً طيبةً بالإسلام، فأراد الدكتور النمر أن يعقد علاقةً وصلةً علميةً بين الأزهر وعلماء الهند من خلال طبع كثير من المصنفات العلمية من الطرفين"[1].

الشيخ علاء الدين الندوي القاسمي تلميذ الشيخ عبد المنعم النمر في الهند ومترجم كتابه "كفاح المسلمين في تحرير الهند" إلى الأردية:

"إن أستاذنا الكريم الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر –تغمده الله برحمته-عُيِّنَ أستاذا بدار العلوم ديوبند ليقوم بدوره في تعليم العربية...وبقي الشيخ في الهند لسنتين وبضعة شهور، وقد أدى مهامه بشكل أفضل، وإلى جانب ذلك بالغ في الاعتناء بتاريخ الإسلام والمسلمين في الهند اطلاعًا وكتابةً، وما لعب المسلمون ههنا من دورٍ حضاريٍ بارزٍ، وما تركوه من آثارٍ عظيمةٍ، كما وازن بين ماضيهم المجيد وحاضرهم

(١) خالد المطعني، مقال بعنوان "في ذكري رحيله: عبد المنعم النمر.. الوزير الثائر"، منشور في صحيفة بوابة الأهرام، يوم السبت، ٢٢ من رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ١من يونيو ٢٠١٣، السنة: ١٣٧، العدد: ٤٦١٩٨.

المؤسف، وجمع في هذه الفترة القليلة من المعلومات الدقيقة النادرة ما يدهش العقول ويبهر الأنظار"[١].

الدكتور محمد شكيب القاسمي نائب رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند:

"وكان الشيخ عبد المنعم النمر يحمل همةً علميةً عظيمةً، وروحًا بحثيةً متوهجةً، وكان مبعوث المؤتمر الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف إلى الهند، فعمل مدرسًا بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند منذ عام ١٩٥٦م-١٩٥٨م، ومن حسن الصدفة وجد في ديوبند الشيخ محمد سالم القاسمي، نجل الشيخ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة آنذاك، فكثرت بينهما حوارات علمية وتبادلات ثقافية، وكانت الهند وتاريخها ودور المسلمين فيها هي النصيب الأكبر من هذه الحوارات، فحدثت رغبة عجيبة للشيخ في الاطلاع على تاريخ الهند العظيمة حتى قام الشيخ عبد المنعم النمر مع الشيخ محمد سالم القاسمي بزيارة المواطن الهامة في الهند مما كشف للشيخ عن الوجه الثقافي للهند، ولما اطلع الشيخ على ما للهند من إسهاماتٍ حضاريةٍ، وما لعلمائها من ريادةٍ متميزةٍ في العلم والأدب والنقد عاد ذاهلًا مدهوشًا، ثم صح عزمه على كتابة هذا التاريخ، فلم يضع قلمه إلا بعد كتابة ثلاثة أسفارٍ علميةٍ عظيمةٍ، هي مازالت مصادرَ هامةً في تاريخ الهند وحركاتها وحضاراتها ودياناتها"[٢].

---

(١) الندوي، علاء الدين، **آزادئ هند كي جدوجهد مين مسلمانوں كاحصه**، ترجمة كتاب كفاح المسلمين في تحرير الهند للشيخ عبد المنعم النمر(الهند: مجلس النجوم الأحد عشر كهكريا، بيهار، ط١، ٢٠١٢م) ص١٢.

(٢) من مقدمة هذا الكتاب، ص٨.

الفصل الرابع:
نظرة على أهم أفكاره

كان الشيخ عبد المنعم النمر مفكرًا إسلاميًّا بارزًا، حيث كان كثير الاهتمام بقضايا عقائدية وفكريَّة، يتخذ مواقفه وآراءه بكل جراءة وشجاعة، وبكل حيدة وموضوعية، خاض كثيرًا من المسائل الساخنة، التي كثُر فيها الخلاف واحتدم فيها الجدل الكلامي؛ لكنه إذا اتخذ موقفًا من المواقف بعد شرح صدرٍ وبصيرةٍ تامةٍ كان يتمسك به مهما كانت النتيجة.

وسأذكر هنا بعض أفكاره الهامة باختصار، وهي فيما يلي:

المبحث الأول: ضرورة الاحتكام إلى الشرع الإسلامي

في أحد أعداد مجلة الوعي الإسلامي يتحدث الشيخ عن ضرورة قطع يد السارق مؤكدًا على ضرورة الاحتكام إلى الشرع الإسلامي وبأسلوبٍ ناصحٍ قويٍ.

يقول الشيخ: "من شهور مضت تقدم أحد أعضاء مجلس الأمة بالجمهورية العربية المتحدة باقتراح إلى المجلس يقضي بقطع يد السارق إذا عاد للسرقة، دون حاجة تضطره إلى ذلك... ولا أريد الآن أن أتعرض للاقتراح من ناحية مطابقته التامة للشريعة أو عدم مطابقته؛ ولكني أريد أن أتحدث عن البواعث التي حملت النائب على تقديم اقتراحه وأنا أعرف عنه أنه ليس من رجال الدين ولا من المشتغلين بالمسائل القانونية أو الدينية؛ ولكنه من العمال المحنكين، الذين درسوا الحياة وخبروها، فلم يحمله على تقديم اقتراحه –إذن كما قال لي– إلا أنه وجد فيه العلاج لما يعانيه المجتمع من قلق

وخوف نتيجةَ استهانة اللصوص بعقوبة السجن التي يفرضها القانون، وتماديهم في العبث بأمن الناس وراحتهم، والذي نعرفه أن السارق حينما يدخل السجن يتلاقى فيه مع كبار اللصوص الذين يقضون وقت فراغهم في سرد مغامراتهم ومهارتهم في سلب أموال الناس ويصنع كل واحد من نفسه بطلًا ليضفي على نفسه مهابة أمام زملائه، فيخرج السجين وقد تأصلت فيه روح الشر واكتسب مهارة جديدة في السلب والتحايل على القانون؛ حتى وجدنا لكثير منهم رصيدًا من السوابق، وأصبح الكثير منهم أيضًا معروفًا لدى رجال الأمن.

"ومن هنا انبعثت الأصوات في كل مكان تطالب باستعمال العلاج الرباني لهذا المرض الاجتماعي، وقطع يد السارق، وقد شجعهم على ذلك أنهم رأوا بلدًا إسلاميًا، كان مسرحا للعبث والنهب، فصار بعد استعمال هذا العلاج واحةً للأمن والاستقرار، عشتُ فيه مدة كما عاش الكثيرون غيري، وشعرتُ كما شعروا بنعمة الأمان في ظل هذا القانون الرباني.

"وكان ثمن هذا الأمن عدة من الأيدي، قُطِعَتْ ربما كانت عشرين أو أكثر؛ ولكن ما أرخصه من ثمن في سبيل استقرار المجتمع وأمنه، حتى لو كانت أرواح عشرين أو مائة من العابثين بالأمن هي الثمن لهذا الاستقرار.

"ولقد رأينا بعض الدول المتحضرة تقتل من يتلاعب بأسعارها رميًا بالرصاص في الميادين العامة، فهل يوجد لنا مبررٌ في الإحجام عن تنفيذ قانون القطع، وقد أصبح علاجًا ضروريًا فوق أنه قانون الله؟ إن العالم كله يشيد بالأمان الذي وفره تنفيذ هذا القانون في العصر الحديث، ولا يلقي بالًا للأيدي التي قُطِعَتْ في سبيل الأمان.

"إن الكويت بلد لاتزال قوانينها في طور الاختبار والتعديل، فلماذا لاتأخذ بقانون القطع حتى تقضي على موجة العصابات الوافدة التي لم تعهدها البلاد من قبل، وبجوارها تجربة ناجحة؟

"خذوا بهذا القانون السماوي العادل الرحيم، لأنه قانون الله، الذي خلق النفوس وهو الخبير بعلاجها، ولأنها تجربة معاصرة، مر على نجاحها أمامنا الآن أربعون سنة.. جربوا ..والله معكم".[1]

ففي هذه السطور نراه يتحدث عن تطبيق القانون السماوي؛ ولكن بأسلوب عصري معقول، يستدل بالفساد الاجتماعي، وبالدول المتحضرة التي تتخذ القرارات الحاسمة في مثل هذه الجنايات، وبالدولة الإسلامية التي قامت بتطبيق الشرع الإسلامي فعمها الأمن والسلام بشكلٍ مغبوطٍ، وهذا دليل على قدرته على شرح الفكر الإسلامي بأسلوبٍ عصريٍ مقنعٍ.

المبحث الثاني: الغزو الفكري

نجد الشيخ عبد المنعم النمر يتحدث في إحدى مقالاته عن الغزو الفكري بأسلوبٍ قويٍّ يهز القلوب، ويحرك العاطفة، ويثير الغيرة الدينية.

يقول الشيخ: "البلاد الإسلامية ذات المجد والحضارة، والعقيدة والتقاليد تتعرض منذ زمن لغزوٍ فكريٍ سامٍّ، يسلط عليها كل قذائفه ووسائله، ليفرغ أبنائها من إيمانها بربها، ووطنها وتاريخها وأمجادها ويشحنها بالولاء والتبعية لغير دينها ووطنها.

---

(١) عبد المنعم النمر، **مجلة الوعي الإسلامي**، "أخي القارئ" (الكويت: وزارة الأوقاف، العدد: ٦، السنة: ١، أكتوبر١٩٦٥م) ص٦-٧.

"هذا أخطر غزو تعرضت له بلادنا في تاريخها، فقد تعرضت في تاريخها الطويل للكثير من الغزوات الفكرية والمسلحة، ومع ذلك لم تستطع أن تفقدها شخصيتها، أو تجردها من دينها؛ بل ظلت على اعتزازها بنفسها وولائها لعقيدتها، وإذا كانت هذه الغزوات قد تركت لها آثارًا في حياتنا وفي أفكارنا، فإن الإيمان الذي لايزال يغمر النفوس يطارد هذه الآثار ويعمل على تخليص مجتمعنا منها.

"أما الغزو الفكري السامُّ فإنه لايترك في نفوس المسلمين شيئًا من الحنين للدين أو المبادئ والنظم التي جاء بها، أو التراث العظيم الذي ورثنا إياه أو المثل العليا التي عشنا بها ولها.

"إنه يُهدر الألوهية ويعتبر وجود الله خرافةً، ويحارب الأديان، ويعدها مخدِّرًا معطلًا للتقدم البشري، ويشدد حملته على الإسلام بخاصة، لأنه دينٌ له شخصيته المستقلة، ومبادئه الرشيدة في تنظيم الحياة ورفع مستواها، وله تاريخٌ مجيدٌ، وتجربةٌ ناجحةٌ في تكوين المجتمعات السعيدة.

"إن الجيل الحاضر من المسلمين ولاسيما من يملكون التوجيه والعمل تقع عليه مسؤوليةٌ كبرى لحفظ دين هذه الأمة وتاريخها وأمجادها؛ بل كيانها وشخصيتها وصيانة مستقبلها، وعليه أن يواجه هذه المسؤولية بشجاعةٍ وإيمانٍ.

"إن الحصون التي تستطيع الصمود لهذا الغزو إنما تستمد قوتها ومناعتها من إحياء روح الإيمان بالله في النفوس، ومن الإقبال على تنظيم حياتنا على ضوء تعاليم الإسلام، لايكفينا مجرد الكلام في الكتب أو في

المحاضرات والخطب، بل لابد من عمل، لابد من تخطيط إسلامي للحياة يجد طريقه إلى التنفيذ.

"إن هذا الغزو يتخذ من إطلاق كلمة المساواة وعدم ظلم طبقةٍ لطبقةٍ، وغير ذلك من الكلمات البرَّاقة مادةً يجذب بها نفوس الساخطين ويوقعهم في أُخطُبوطه.

"إننا بتراخينا وعدم مسارعتنا إلى تطبيق النظام الإسلامي في مجتمعاتنا إنما نشارك في إيجاد الفراغ الذي يملؤه هؤلاء بغازاتهم الخانقة.

"إنهم ينشطون ويحاربون الدين في كل اتجاه، وبكل الأساليب، يحاربون حتى بالقصة، بالقصيدة، بالمقالة، بالرسم، يدسون سمومهم في كل هذا، ويتخذون من الظلم الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات سلاحا يهاجمونه به، وينفذون بواسطته إلى النفوس، والدين بريء من أي ظلم اجتماعي، فإلى متى نترك لهم الميدان، ونتيح لهم الفرص، ونمكنهم من تشديد قبضتهم، وتسديد ضرباتهم.

"يا قوم! حصنوا النفوس بالإيمان، وحصنوا الإيمان بالعمل، تحفظوا دينكم، وتصونوا تاريخكم، وترفعوا على دعامتهما حاضركم ومستقبلكم، والله معكم"[(١)].

أحسب هذه السطور تعرض علينا تلك الروح الإيمانية القوية التي كان الشيخ عبد المنعم النمر يحملها بين جوانحه، وتلك العزيمة الصادقة التي كانت تتغلغل في أحشائه.

---

(١) عبد المنعم النمر، **مجلة الوعي الإسلامي**، "أخي القارئ" (الكويت: وزارة الأوقاف، العدد: ٨، السنة: ١، ديسمبر ١٩٦٥م) ص٦-٧.

المبحث الثالث: الدين والسياسة

تحدث الشيخ في مقالٍ له عن الصلة بين الدين والسياسة، ولاشك في أن هذا موضوعٌ طال فيه النقاش، وتفرَّقت فيه الآراء، وقد ألقى الشيخ عبد المنعم النمر ضوءًا ساطعًا، كشف عن الحقيقة، وقضى على كثيرٍ من الأوهام التي يتمسك بها القائلون بالفصل بين الدين والسياسة.

يقول الشيخ: "الدين شيءٌ والسياسة شيءٌ آخر، تلك قضية يطلقها في عالمنا الإسلامي كثير من الناس، يريدون بها أن الدين لادخل له في سياسة البلد، وتنظيم حياتها وعلاقاتها مع غيرها، وعليه أن يخلي الطريق في ذلك للسياسة، تسير فيه كما يحلو لها، ويتخذ له طريقًا آخر بعيدًا عنها في ركنٍ أو محرابٍ... وإذا كنا نقول مع القائلين بأن الفصل بين الدين والحياة مفهوم وارد لنا من الغرب فإننا لانقف عند هذا القول، إننا نقول: إن هذا صدق؛ ولكن ليس كل الصدق، إن هذا جانب من الصورة؛ لكن هناك جانب آ خر يجب أن نعرفه كحقيقة من حقائق تاريخنا الماضي وآثارها في الحاضر.

"لانريد أن نبالغ ونلقي تبعة كل عيب فينا على غيرنا، فإن ذلك قد يخفي عنا عيوبنا ويسدل ستارًا كثيفًا عليها، يحول بيننا وبين معرفتها، فنعيش بها دون أن نعالجها ونقضي عليها.

"إذا كان من الحق أن نقول: إن هذا المفهوم هو بعض ما وفد علينا أو استوردناه من مفاهيم أو أنظمة غريبة فإن من الحق كذلك أن نقول: إن هذا الفهم الوافد لم يكن ليأخذ طريقه إلى النفوس، ويسيطر عليها كما يسيطر الآن، لو لم يجد أرضًا مهيأةً من قبل لتقبله، ويجد من يتعهده

بالسقي والعناية منذ زمن، حتى نما وترعرع، ومد فروعه وظلاله هنا وهناك.

"إن الشجاعة التاريخية الأدبية تحتم علينا أن نقول: إننا نحن الذين مهدنا الأرض لتقبل هذه المفاهيم، (وبعد شرح وافٍ للأسباب والوسائل التي أدت إلى هذه الظاهرة السيئة يقول الشيخ:) لست أدعي أنني أكثر غيرةً على الدين وتعاليمه، وعلى مصير شعوبنا وكيانها ومستقبلها من غيري من المسؤولين عن هذه الشعوب، فذلك احتكار، لا أرتضيه لنفسي ولا لغيري، فكلنا أبناء الإسلام وكلنا غيارى عليه.

"لكن قد تكون هناك حُجُبٌ من الماضي أو عقبات من الحاضر، ولابد أن نتعاون جميعا في إزالة هذه الحجب والقضاء على هذه العقبات، ولو بالتدريج تقديرًا لظروف وجودها حتى نتلاقى جميعا على بدء الطريق الذي يجب أن نسير فيه متكاتفين، يشد كل منا على يد أخيه في سبيل توفير حاضرٍ أسعدَ، ومستقبلٍ أرغدَ لهذه الأزمة في ظلٍ من مبادئ الإسلام ورضا من الله.

"ولا بد لنا من أجل هذا كله أن نفهم جيدًا أن التحضر والتمدن والترقي ليس في تقليد الغرب في مباذله وتقاليده الخارجة على الدين؛ حتى على الدين المسيحي الذي يدين به، ونفهم كذلك أن ديننا لايحول بيننا وبين الرقي العَفِّ، والتمدن غير المبتذل؛ بل يوجب علينا أن نتعلم كل علمٍ وفنٍ، ونكون سباقين أقوياء في كل ميدانٍ من ميدان الحياة.

"ونفهم أن رقي أية أمة لايقاس فقط بما وصلت إليه من تقدم في مضمار العلوم والمخترعات والآلات؛ ولكن يقاس أولًا بالروح الفاضلة التي تكمن وراء هذه المظاهر وتوجِّهها إلى خير الإنسانية.

"آمالنا وآلامنا وكل شيء حولنا يدعونا إلى أن نلبي نداء الله، ونعيش في ظلال دينه ونعتصم به، ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم.

"فإلى متى نظل نتأرجح، ونبعد الإسلام عن واقعنا، وكتاب الله بيننا هدى وشفاء، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله.

"ماذا نريد بأنفسنا، وهذا صوت النذير؟

رب إن الهدى هداك فاهدنا ووفقنا إلى رضاك"(١).

المبحث الرابع: التربية الصحيحة

في افتتاحية العدد الثامن عشر من مجلة الوعي الإسلامي سلط الشيخ عبد المنعم النمر ضوءًا واضحًا على المنهج الصحيح للتربية، مشيرًا إلى المبادئ التي يجب على كلٍ من الآباء والأبناء الأخذ بها والصدور عنها في خضم الحياة الإنسانية.

يقول الشيخ: "يحلو لبعض كتاب الصحف والمجلات والقصص والأفلام أن يوجدوا هُوَّةً بين الجيل الصاعد من الشباب والشابات وبين آبائهم ومربيهم، وذلك حين يصورون أفكار الآباء والمربين بأنها آراء عتيقة بالية، لاتصلح لقيادة هذا الجيل؛ حتى أصبحنا نرى الشباب القليل الخبرة بالحياة وبما يضره أو ينفعه فيها كلما وجه إليه آباؤه نصحًا أو لومًا أو حالوا بينه وبين نزواته وطيشه نراه شديدًا التبرم بما يسمعه، سريع التخلص من آراء موجهة بحجة أنها آراء عتيقة لاتصلح لهذه الأيام.

---

(١) عبد المنعم النمر، **مجلة الوعي الإسلامي**، "أخي القارئ" (الكويت: وزارة الأوقاف، العدد: ١١، السنة: ٢، فبراير١٩٦٦م)ص٦-٨.

"ومع أننا لاننكر أن لكل جيلٍ ظروفه، وأن على الآباء أن يكونوا حكماء وواقعيين في توجيه أبنائهم إلا أننا نرى أن من الجناية على الأبناء – وهم في سن يحتاجون فيها إلى حسن الرعاية والتوجيه- أن نحرمهم من الاستفادة بخبرة آبائهم ومربيهم بالحياة بعد ما عركوها وعركتهم، ونقيم بينهم وبين هذه الخبرة سدًّا، وذلك بما نقدمه لهم من آراء أو نعرضه عليه من تمثيليات، تزين لهم عدم الاعتداد بآراء آبائهم وموجهيهم، والشباب بحكم طبيعته ميَّال إلى الاعتداد بنفسه، وإبراز شخصيته، وقد لايبالي في سبيل ذلك بما يحطمه من قيم، فإذا قرأ أو سمع أن آراء الآباء رجعية لاتصلح له، وأنه خلق لزمان غير زمانهم، زاد في غروره ولجَّ في خروجه وانحرافه، وسد أذنيه عما يسمعه من نصح، وبذلك يفقد أغلى ما ادَّخره الله له من عطف الأبوة وتوجيهها، ويعيش كالنبات السطحي لاجذور له، تغذيه وتحميه من تقلبات الأيام وتياراتها وعواصفها ..أو كالسفينة التي تعطَّلت محركاتها، وفقدت ربانها وصارت لعبة الأمواج والرياح، حقيقةً يوجد في بعض الآباء رغبةٌ تصحبها شدة أحيانا، في طبع الأبناء بطابعهم وجبرهم على أن يكونوا صورةً منهم من تفكيرهم ونظرتهم للحياة وخطواتهم فيها، ويعاملون إلى أن يعاملوا الأبناء المعاملة نفسها التي كان آباؤهم يعاملونهم بها كأنهم نسخة مكررة لهم، وقد يكون في هذه الرغبة المصحوبة بالشدة تكليف للأبناء بما لايطيقون، وهم إن رضخوا صغارًا خوفًا من الآباء فإنهم لايلبثون أن يتمردوا عليهم حين يشتدُّ ساعدهم، وحينئذ يستعصي علينا أن نسلس قيادهم، أو نردهم إلى صوابهم.

"ومن هنا كان من الواجب على الآباء أن يكونوا حكماء في اختيار الأسلوب الذي يعاملون به أبناءهم، وفي توجيههم للسلوك الذي يحبونه لهم، ويعتمدوا على الإقناع والترغيب أكثر مما يعتمدون على الأوامر والترهيب، ويحافظوا ما أمكن حتى في حال شدتهم على أن يشعروا الأبناء بعطفهم، وإذا كنا نقول هذا للآباء ليغلفوا عطفهم الطبيعي على أبنائهم بالأسلوب الحكيم المناسب، فإننا نحب أن نقول للأبناء- وهم فلذات أكبادنا وقرة عيوننا وأملنا الذي نكدح من أجله في هذه الحياة- أن عطف الأبوة – مهما يكن من حوله من أشواك- لايمكن تعويضه، وهم كنز خاص بهم وحدهم، لايشاركهم فيه غيرهم، فإذا وجدوا معه شيئًا يتعبهم فليتقبلوه راضين مقدرين، فلا بد للشهد من إبر النحل، والذي يريد أن يمتع نفسه بالورد الندي يقطفه من أغصانه لايسلم من وخز الشوكة"(١).

المبحث الخامس: أدب الاختلاف

وفي افتتاحية العدد الثاني والعشرين من المجلة تحدَّث الشيخ عن ضرورة مراعاة أدب الاختلاف داعيًا إلى خلق مناخٍ ثقافيٍّ حرٍّ، يتكون من اجتهادٍ صحيحٍ وتلبيةٍ لنداءاتِ الوقت والترحيب بالجديد من الجوانب الفكرية والعملية مادام يخدم مصالح الدين والوطن.

يقول الشيخ: "كيف نخدم ديننا؟ أو كيف نخدم مجتمعنا عن طريق الدين؟ هذا هو السؤال الذي اختلفت وتختلف وجهات نظر

(١) عبد المنعم النمر، **مجلة الوعي الإسلامي**، "أخي القارئ"، العدد: ١٨، السنة: ٢، سبتمبر١٩٦٦م) ص٦-٧.

المخلصين وأعمالهم في الجواب عنه، وكان الاختلاف فيه أمرًا طبيعيًا مادامت عقول الناس وثقافتهم مختلفةً ومتفاوتةً، فقد نتفق جميعًا على الهدف، ثم تختلف بعد ذلك وجهات نظرنا في الطريق الذي يؤدي إليه؛ ولكن من الضروري بجانب هذا أن يكون مفهومًا أنها مهما تختلف وجهات النظر هذه فلايقبل من أصحابها أن يتبادلوا الاتهام بالتنكر لهدفهم، أو عدم الإخلاص للغاية التي يريدونها ويعملون لها، وحتى لو أخطأ أحدهم في وجهة نظره، وفي رسم الطريق المؤدي لغايته، فمن الواجب التماس العذر له؛ لأنه فكر واجتهد مخلصًا حسب ما آتاه الله من علمٍ وعقلٍ للوصول إلى الهدف.

"هذا هو المبدأ السليم الذي يمكن على أساسه أن نخدم الدين أو نخدم المجتمع عن طريق الدين والذي علمنا هذا المبدأ وأرشدنا إليه هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قرر أن للمجتهد أجرين إذا أصاب، وأجرًا واحدًا إذا أخطأ، فلم يحرم المخطئ من ثواب اجتهاده، ولم يجرده من إخلاصه، فكان هذا المبدأ هو المفتاح الذي فتح عقول المسلمين، ودفعها للتفكير والعمل، كل واحد على قدر عقله، وفي دائرة اختصاصاته وعمله، فانطلقوا لخدمة دينهم، كل على قدر طاقتهم وما يهديهم إليه عقله، فاختلفوا مثلا في فهم بعض آيات الله وأحاديث رسول الله واستنبط كل واحد غير ما يستنبطه الآخر، ومع ذلك لم نعثر في تاريخهم على اتهام وُجِّهَ إليهم من المختلفين معهم ينتقص من دينهم، أو من غيرتهم وإخلاصهم؛ بل كانوا مع هذا الاختلاف يُجِلُّ بعضهم بعضًا ويثني عليه.

"وفي هذا الجو الذي أوجده الإسلام ترعرعت العقول ونشطت، فأنتجت لنا هذا الميراث الفكري الضخم الذي نعتز به ونعيش عليه.

"ولو ظل هذا الجو يملأ على المسلمين حياتهم لسعدنا بأضخم من هذا التراث، ولظلت الحركة الفكرية في تقدمٍ مستمرٍ، ولظل للعلماء والمفكرين مقامهم وجلالهم؛ ولكن مع الأسف الشديد هبت على المسلمين ريح التعصب الأعمى وشغل العلماء بأنفسهم وغلبتهم أنانيتُهم، فكاد بعضهم لبعض عند العامة وعند الحكام وأسرع بعضهم يتهم الآخر في دينه وإخلاصه لمجرد رأي يراه، فحاصرت هذه الروح الكيدية العقول، وغللتها بالأغلال، فأجدب الحقل الإسلامي قرونًا من أن ينتج أناسًا على غرار مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم، ممن حفلت بهم القرون الأولى في الإسلام.

"إن القضاء عليها يتطلب عقولًا متفتحةً تفهم وتستوعب، وعزائم قوية تحتمل العبء، ولا تيأس من التيارات المضادة لها، ولا من الاتهامات الخاطئة الهوجاء التي توجه إليها، ويتطلب إيمانًا تذوب على حرارته كل الصعاب والمشقات، ومع ذلك كله يتطلب من جميع العاملين في الحقل الديني أمرًا مهمًا فعالًا، وهو أن يتأدبوا في دعوتهم بآداب الإسلام، وتكون لهم قدوةٌ حسنةٌ بسيرة الأئمة الأعلام الذين اختلفت وجهات نظرهم ووسائل علمهم، ولم تختلف قلوبهم، ولم يهدم بعضهم بعضا، ويتهمه في دينه وعقيدته.

"وإذا كان من واجب الغيورين على الإسلام أن يعملوا جاهدين على إحياء روحه في النفوس، فإن من واجبهم كذلك أن ينهضوا جميعًا

لمجابهة المشكلات الحديثة التي وفدت مع الغزو الغربي بإيجاد الحلول السليمة لها حتى لاتكون في مجتمعنا تناقضات بين مجرى حياتنا، ربما تزرع اليأس في قلوب بعض المسلمين من إمكان العودة إلى الدين، وتشكيل حياتنا على هديه وتعاليمه.

"أقول هذا وأكرره لأن كثيرا من الذين يقفون في هذه الصفوف الخلفية يحملون دائمًا معاول الهدم لكل تفكيرٍ جديدٍ لا يألفونه ولا يدركونه مهما يكن مصيبًا، ويتخذون من إشهار أسلحة الاتهام في وجه المفكرين وسيلةً إلى الشهرة واتخاذ مواقف البطولة المصطنعة باسم الدفاع عن الدين والغيرة عليه، وقد يكون بعضهم مخلصًا؛ ولكن الإخلاص وحده لايكفي؛ بل لابد أيضًا من البصيرة والفهم، فإن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل"[(١)].

مقالٌ كلُّه علم وبصيرة، وخبرة وتجربة، ودعوة إلى الانطلاق الفكري والثورة العملية بأسلوب معقول، وبراهين قوية تنفذ سريعًا إلى العقول والقلوب.

المبحث السادس: قضية الاجتهاد

وفي السنوات الأخيرة من عمره أولى الشيخ عبد المنعم النمر قضية الاجتهاد كل اهتمامه وعنايته، ودعا إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد، وخرج بآراء فقهية، فعرفه الناس فقيهًا بعد أن عرفوه عالمًا

---

(١) عبد المنعم النمر، **مجلة الوعي الإسلامي**، "أخي القارئ"، العدد: ٢٢، السنة: ٢، يناير ١٩٦٧م)ص٦-٧.

وأستاذًا ومربيًا وكاتبًا، فعمل الاجتهادَ في قضايا ونوازل مستجدة، ودعاه اجتهاده إلى إباحة التأمينات التجارية، والمعاملات المصرفية نظرًا إلى المصالح العامة، فتعرض لهجوم شديد؛ لكنه كان يملك جراءة قوية وعزيمة صادقة، فكان يفصح عما يقفه من موقف، ويدافع عنه، ثم لم يكن يبالي بما عسى يوجَّه إليه من تهمة وسوء نية، فمضى قدمًا فيما خطط له من منهجٍ جاهرًا برأيه وصادعًا به، على عكس ما عليه غيره من العلماء، يقول الدكتور في مقدمة كتابه الاجتهاد: "لا أدعي أن هذا رأيي وحدي؛ ولكنه رأي كثير لاسيما من إخواني العلماء؛ ولكنهم واقعون تحت مطرقة الخوف على مراكزهم من شغب أنصاف العلماء والعامة، والمزايدة عليهم بدعوى التمسك بالدين؛ ولكن إلى متى نظل واقعين تحت هذه الرهبة، والناس لايجدون الفتاوى، التي تحل مشكلاتهم والفجوة واسعة بين الأحكام التي جمدنا عليها وبين مطالب الحياة التي لابد أن تلبيها شريعة الله ولا تقف أمامها، ونحن دائما نقول: الشريعة صالحة لكل زمان ومكان"[1].

قال في مقدمة كتابه الاجتهاد مشيرا إلى العلماء والفقهاء: "لابد أن ينزلوا البحر ويعوموا، وينقذوا العقل الفقهي الغريق حتى ولو قذفهم القاعدون على الشاطئ بالحجارة"[2].

---

(١) عبد المنعم النمر، **الاجتهاد** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٧م)ص١، ٤-١٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٥.

يقول الشيخ وبكل شجاعة في مقدمة كتابه الاجتهاد: "هل كان من الضروري أن أحدِّث القراءَ عن الاجتهاد، وأقض مضاجع الذين قالوا بسد بابه وإغلاقه، وناموا واستراحوا خلفه، أو لقوا ربهم من مئات السنين، معتقدين أنهم خدموا دينهم بهذا القول؟

"هل كان من الضروري علي أن أُقدم على الدعوة إلى الاجتهاد الآن، وأرتكب هذه البدعة التي حكم بها بعضهم على كل من يجتهد أو يدعو إلى الاجتهاد وينقض بذلك أمرًا استقرت عليه النفوس من مئات السنين، ويوقظ أو يتعب عقولا استراحت، واكتفت بما فكر به السابقون لها، وجزاهم الله خيرا، ونامت على وسادة: لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، وما ترك الأوائل للأواخر شيئا؟

"هل كان من الضروري أن أقلب هذه الأوجاع وأضع علماء الشريعة أمام واجباتهم التي كان يفرضها عليهم دينهم، وواقع الحياة التي يعيشونها من ضرورة الاجتهاد، لأنه فرض على أهل كل عصر؟

"نعم- أخي القارئ- وجدتُ من الضروري أن أفعل هذا تقربا إلى الله وخدمة للدين الذي ندين به، ولمجتمعنا الإسلامي الذي نعيش فيه، ونغار عليه، وإنصافًا لعقولنا التي شرفنا الله بها، دون بقية مخلوقاته، ودعانا إلى التفكير بها واستعمالها في وظيفتها، وفي أشرف وظيفة نضطلع بها وهي التفكير في خلق الله، وفي شريعته لتجليتها للناس، وبيان أحكامها في الحياة"[(١)].

(١) المصدر السابق، ص١٩-٢١

وقد أشار في كتابه الاجتهاد إلى منهجه الفقهي وضرورة الاجتهاد وإطاره العملي، فقال:

"وقضيتنا الجديدة أساسها أن نتخلص أولا من وهم: أننا عاجزون عن النظر والاستنباط، متوهمين أنه ما ترك الأوائل للأواخر شيئا، ولم يكن في الإمكان أبدع مما كان، وأن نشعر بواجبنا إزاء شريعتنا ومجتمعنا، ثم ننظر في صلب القضية وهي ذات شقين:

"الشق الأول: الأحكام الفرعية الاجتهادية، التي قررها السابقون الكرام على ضوء ظروفهم، والمصلحة في أيامهم، لابد أن ننظر فيها من جديد على ضوء ظروفنا، والمصلحة في أيامنا، ولا نأخذ كل قول قضيةً مسلمةً، حتى ولو كان مخالفًا لظروفنا، ومناقضًا للمصلحة في أيامنا، أعني أن ننظر فيما حكم به السابقون في هذه النوعية من الأحكام، ونغربلها، فما كان متفقًا مع ظروفنا ومصالحنا أخذنا به، وما كان غير ذلك تركناه، وأتينا بحكم يناسبنا، ويناسب مصالحنا، كما فعل السابقون من الصحابة والأئمة في هذا الشأن.

"والشق الثاني: الأحداث الجديدة التي لم يُسبق لهم قول فيها، أو في موضوع يشبهها شبهًا تامًا، ولا يمكن إلحاقها به، فهذه تحتاج لحكمٍ شرعيٍ جديدٍ، وعلينا أن نعمل عقولنا ونجتهد على ضوء الأصول المعروفة، لاستنباط حكمٍ لها، ولايجوز بحال من الأحوال أن نرضى بالعجز عن الإتيان بحكم لها، أو نلحقها- تعنتا- بحكم سابق لمجرد وجه من وجوه الشبه بينهما إذ لا يمكن أن أقول عن إنسان: إنه أخي لمجرد تشابه بيننا

في بعض الملامح، ولا يمكن أن يدعي هو ذلك ويطالب بالاشتراك معي في الميراث.

"ونحن خلال نظرنا في هذه القضية بشقيها لا بد أن يكون سلاحنا الوحيد هو الحجة والدليل، والتأدب بأدب الإسلام، والاقتداء بالأئمة في حسن أخلاقهم في مناظراتهم، وتناولهم لآراء الغير التي يخالفونها كما نحب الاقتداء بهم وتقليدهم في عملهم، فقد اختلفت الصحابة والأئمة في آرائهم، ومع ذلك لم يوجه أحد منهم كلمةً نابيةً لمخالفيه، وإذا تجادلوا فبالتي هي أحسن، وأوفر أدبا وتوقيرا، لأنهم متأدبون ولديهم سلاحهم العلمي"[1].

ولاشك أنه كلام قيم، يوضح بعض الملامح اللازمة للاجتهاد في العصر الحاضر، مع احترام للمخالفين في الآراء والمواقف.

وقد أقر مجمع البحوث الإسلامية بمصر بعض مواقفه وآرائه الفقهية، ولكن بعد رحيله من الدنيا بسنوات.

المبحث السابع: موقفه من الخميني والشيعة

انتقد الدكتور عبد المنعم النمر منهج العالم الشيعي "الخميني" والفكر الشيعي في مواضع كثيرة من كتبه، وفي كتابه "حديث إلى الشباب" عقد عنوانا باسم "الخوميني وفتنته وخطره"، فوجه كثيرًا من الانتقادات المبكرة للشيعة، وأظهر فساد رأيهم في الصحابة وغيرهم من المسلمين، وعندما كان الشيخ عبد المنعم النمر يتحدث عن فساد المنهج

---

(١) المصدر السابق، ٢٠-٢١.

الخميني كان وحده ثابتًا في الميدان، ولم يكن تؤيده آنذاك مؤسسةٌ أو دولةٌ؛ حتى انجلى الغبار وثبت أن الخميني يمتطي الحمار، وعاد كثير من الدول العربية تتبنى هذا الرأي.

وقد جرى للشيخ عبد المنعم النمر حوار هادئ مع الشيخ محمد علي تسخيري، أحد علماء إيران الذي ينوب أحياناً كثيرة عن حكومته في المؤتمرات والندوات الإسلامية، وكان هذا اللقاء في "مسقط" عاصمة سلطنة عمان، وفي رحاب جامعة السلطان قابوس الحديثة، حيث عقدت "ندوة الفقه الإسلامي" التي دعت السلطنة لعقدها في المدة من السبت ٢٢ شعبان ـ ٩ أبريل إلى الأربعاء ٢٦ شعبان سنة ١٤٠٨ ـ ١٣ أبريل سنة ١٩٨٨م، وحضرها كثير من كبار العلماء والمشتغلين بالفقه الإسلامي والحركة الإسلامية.

وقد كشف الحوار موقف الشيخ من الخميني وحركته الفكرية، وقد نشرته مجلة الراصد[١] في عددها الثاني والثلاثين، وقد حكاه الشيخ بدوره بكل تفصيل، يقول الشيخ:

"وفي اليوم الثاني خرجنا سويًا من الجلسة للاستراحة، ودار بيننا حديث بدأه هو، حين قال لي: لقد ظلمتنا كثيراً فيما كتبته عنا..

---

(١) مجلة الراصد مجلة عربية إسلامية شهرية إلكترونية، تختص بقضايا الفرق والمذاهب المعاصرة في العالم الإسلامي والرافضة خصوصاً لما لها من نشاط كبير، وللمجلة موقع رسمي على الرابط التالي: https://www.alrased.net/main/Default.aspx

"**قلت له:** أنا مستعد من الآن والكتاب عندك ليس بعيدا عنك، أن أتقبل منك أي تصحيح لخطأ وقع مني، وأنشره في الطبعة القادمة، ورحم الله امرءًا أهدى إلي عيوبي. وأنا لم أكتب شيئا إلا بمراجعه ووثائقه من كتبكم..

"**قال:** لقد ظلمتنا حين نسبت إلينا أننا نقول بتحريف القرآن، وأن الصحابة الذين جمعوه، قد أسقطوا منه سورا وكلمات، تثبت حق علي رضي الله عنه في الإمامة بعد الرسول.

"**قلت له:** نعم ذكرت ذلك، معتمدا على ما جاء في كتبكم، وذكرت هذه الكتب، وعلى رأسها كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" الذي ألفه عالمكم الكبير "الشيخ حسين النوري الطبرسي" في آخر القرن الثالث عشر الهجري، وطبع في إيران سنة ١٢٩٨هـ. ونقلت بعض ما جاء في هذا الكتاب بالنص، فكيف أكون قد ظلمتكم وأنا لم أذكر كلمة في ذلك إلا من نص كتبكم، وما قرره علماؤكم، وقد أحطتم مؤلف كتاب "فصل الخطاب" هذا بكل تكريم عند وفاته سنة ١٣٢٠هـ، حيث دفن في مشهد الإمام المرتضوي بالنجف أشرف البقاع عندكم.

"**قال:** هذا الكتاب لا يساوي شيئا، وأنا أضعه تحت قدمي (وضرب الأرض بقدمه) وهو منفعل..

"**قلت له:** ولماذا تبقون عليه مُعبرا عنكم، إذا كان الأمر كذلك؟ لماذا لم تعلنوا أنكم لا تقِرُّون ما جاء في هذا الكتاب، وتنشروا هذا على نطاقٍ واسعٍ، حتى أعلم أنا وغيري أن هذا الكتاب لا يعبر عن رأيكم ولا رأي المذهب والمتمذهبين به؟. وهل صدر قرارٌ أو بيانٌ على الأقل من المرجع الأعلى للشيعة وهو الآن "آية الله الخميني" بعدم صحة ما جاء في كتبكم

وعلى رأسها كتاب الطبرسي هذا، من اتهامكم للصحابة الذين جمعوا القرآن بأنهم حرَّفوه؟. وذلك حتى تقوموا بحذف هذه الاتهامات من هذه الكتب عند إعادة طبعها. أتعجزون عن هذا؟

"لم يحصل منكم شيء من ذلك، وأنا أعرف أن بعض علمائكم يتبرءون في مجالسهم من ادعاء تحريف القرآن، لكن الصوت العالي والرواج هو للرأي الذي يدعي أن الصحابة حرَّفوا القرآن، فلماذا لم تصدروا بيانًا للشعب الذي يتعلم من هذه الكتب، باستنكاركم لهذا الاتهام؟

"قال لي: وقد تحدثتَ أيضا عن قولنا بأن هناك مُصْحَفًا يقال له "مصحف فاطمة"، ونحن لا نقول بهذا..

"قلت له: نعم تحدثتْ عما تقوله أوثقُ المصادر عندكم من أن الوحي كان ينزل على السيدة فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة والدها، وكان علي رضي الله عنه هو كاتب الوحي، حتى تجمع من ذلك ما سميتموه "مصحف فاطمة".

"وكان أول علمي بهذا إطلاعي على خطبة للخميني أذاعتها إذاعة طهران قال فيها حين كان يخطب في اجتماع للسيدات بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها ـ إنني أجد نفسي عاجزًا عن الحديث عن السيدة فاطمة؛ ولكني أكتفي بروايةٍ مدعمةٍ بالأدلة ذكرها كتاب "الكافي".. وذكر للسيدات هذه الرواية..

"وكتاب "الكافي" للإمام الكليني عندكم هو البخاري عندنا، وقد اضطرني هذا إلى أن أذهب للنجف في زيارة أحد علمائكم الكبار، واستطعت أن أطلع في مكتبته على ما ذكره من هذا الكتاب "الكافي" وهو مطبوع في إيران. وقد أثبتُّ في كتابي الجزء والباب الذي ذكر نزول الوحي على فاطمة، ومصحفها بكل صراحة..

"فهل أكون متجنيًا عليكم وظالماً لكم حين أستقي معلوماتي من أوثق المصادر عندكم؟ وأنقلها بالنص من كتبكم؟

"**قال لي:** هذه الكتب لا قيمة لها، ولا يوثق بها.

"**قلت له:** كيف، وأنتم تنشرون كتاب الكافي هذا على نطاقٍ واسعٍ في العالم، حتى في أمريكا؛ بل وتترجمونه إلى اللغة الإنجليزية ليقرأه كل من يعرف الإنجليزية في الغرب والشرق، وتحت يدي ملازم من الطبعة الجديدة، من الترجمة فهل يمكن أن يقال عن كتاب "الكافي" هذا أنه لا قيمة له عندكم، وأنتم تبذلون ما تبذلون من جهد ومال في طباعته وترجمته بمئات الآلاف من النسخ لتوزعوه في أنحاء العالم كدعاية لكم ولمذهبكم؟ هل يعقل هذا؟

"**قال:** إن عندكم كتبا في التفسير فيها كثير من الإسرائيليات فهل معنى ذلك أنكم تقرونها؟

"**قلت:** صحيح أن هناك إسرائيليات وأحاديث غير صحيحة؛ ولكن كان بعض المفسرين ينبهون إليها، ويقررون كذبها، ونحن الآن نحاربها ونؤلف الكتب في بيانها والتحذير من تصديقها، وقام بعض علمائنا بتهذيب هذه الكتب وإبعاد ما جاء فيها من إسرائيليات، وأحاديث موضوعة وغير صحيحة.. بينما نراكم تُعنَون بتجديد طباعة كتب تقولون عنها الآن إنها لا قيمة لها؛ بل وتترجمونها وتطبعون الترجمة على أوسع نطاق!!

"فأيَّهما نصدِّق؟ الكلام الذي ينقصه الدليل ولو ضعيفًا أو الواقع وهو أقوى دليل؟"(١).

---

(١) **مجلة الراصد**، العدد: ٣٢، ص٢١-٢٤.

الباب الثاني

كتاب "تاريخ الإسلام في الهند": دراسة تحليلية

إن كتاب "تاريخ الإسلام في الهند" كتابٌ حافلٌ بالمعلومات والمشاهدات عن الهند تاريخها وشعوبها وسياستها وجبالها وأنهارها ومدنها ودياناتها وطقوسها، فهو كتاب يجمع بين الوجازة والدقة وبين الشمول والروعة، وبين الحاضر والغابر، كتاب يجول بك في الهند غربها وشرقها وشمالها وجنوبها، ويسيح بك في أنهارها، ويطير بك في أجوائها، وينزل بك في شوارعها، ويذهب بك إلى ماضيها، ويقدمك لحاضرها، فهو جولة علمية تاريخية ممتعة، دبَّجها يراع العالم العبقري الداعية الإسلامي الكبير الدكتور عبد المنعم النمر أيام كان مندوبًا من قبل الأزهر الشريف في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند.

وهذا أول كتاب، ألفه الشيخ عن الهند؛ بل هو أول كتابٍ من نوعه على الإطلاق، قد بلغ فيه الشيخ الغايةَ في البحث والتقصي، فالقارئ يجد فيه معلوماتٍ وحقائق وافيةً عن الحضارة الإسلامية المزدهرة وعن الحكم الإسلامي الناجح، الذي استمر يحكم الهند ثمانية قرون ونصف قرن حتى سنة ١٨٥٧م، ولاشك أن الكتاب قد سد فراغًا كبيرًا في المكتبة العربية والتاريخ الإسلامي.

وقد ألف الشيخ هذا الكتاب في الهند، وقدم للمطبعة فور عودته إلى وطنه عام ١٩٥٨م، ليكون أول مرجع مفصل بالعربية عن المسلمين في الهند، منذ دخلها الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ثم قيام الحكم الإسلام فيها وبقائه فيها قرونًا طويلةً حتى سقوط الإمبراطورية المغولية عام ١٨٥٧م، وقد أضاف المؤلف إلى التاريخ مشاهداته في الهند وتحليلاته في الأحداث والوقائع، وتصحيحه لكثيرٍ من أحكام التاريخ عن

المسلمين في الهند، كما أوضح المعالم الأثرية بالصور والخرائط؛ مما قرّب الأمر إلى عقل القارئ، وكشف له عن تاريخنا المشرق،

جاء الكتاب في نحو ٦٠٠صفحة، وكانت عندي طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت، التي طبعت الكتاب طبعة أولى في عام ١٩٨١م، ثم توالت الطبعات، وبما أني ما وجدت للكتاب نسخة ورقية، وقد استفدت من نسخة PDF، فليس لي أن أحكم على الكتاب من ناحية الطباعة، وقد ذكرت في أواخر الباب الثاني انطباعات الكتاب والمؤرخين عن هذا الكتاب.

وقد تحدثت عن مباحث الكتاب في تسعة فصول، وهي كالآتي:

١-عوامل الكتابة والتاليف

٢-نظرة على حضارة الهند وخيراتها

٣-الأوضاع الدينية والاجتماعية في الهند قبل الإسلام

٤-الزحف الإسلامي نحو الهند

٥-الدول الإسلامية في الهند قبل الإمبراطورية المغولية

٦-الإمبراطورية المغولية في الهند

٧-الغرب يتحرك نحو الهند

٨-الثورة الهندية أسبابها – حوادثها – نتائجها

٩-الكتاب كما يراه الأعلام والباحثون.

الفصل الأول:

خلفية الكتابة وعواملها

المبحث الأول: خلفية الكتابة

كان الشيخ عبد المنعم النمر ندبه الجامع الأزهر والمؤتمر الإسلامي في يناير سنة ١٩٥٦م للسفر إلى الهند، والتدريس في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند - وهي كبرى الجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية – وزيارة مدارسها الدينية في مختلف مناطقها وبلدانها، وكان الشيخ لايعرف من الهند إلا القليل، فتحرج كثيرًا كما يقول في مقدمة الكتاب:

"شعرت بشيئ من القلق الطبيعي، لم أستطع له دفعًا، وذلك لأقدامي على السفر إلى بلادٍ مجهول أمرُها عندي وعند الكثيرين"(١).

لكنه لم يمتنع عن إكمال ما نيط بكتفه من واجب عظيم وعزم على مجاوزة كل ما في الطريق من مشاكل وعقبات، ومضى مُضِيَّ الشجعان الأبطال، فهو يقول:

"وهكذا قبلتُ الاضطلاع بهذه المهمة، وكل عدتي إيمان بالله وبالأمانة التي وضعت في عنقي وتصميم على القيام بها؛ مهما صادفني من عقبات ومشقات"(٢).

لكنه حتى الساعة لايعرف من الهند معرفةً لائقةً؛ حتى وصل إلى الهند ولقي علماءها ورجالها، لاسيما في الجامعة الإسلامية دار العلوم

---

(١) عبد المنعم النمر، **مقدمة كتاب تاريخ الإسلام في الهند**،(القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة، ط١، ١٩٥٩م/ ١٣٨٧هـ) ص٤.

(٢) المصدر السابق.

ديوبند التي لها دور قيادي في تحرير الهند وإصلاح المجتمع الإسلامي الهندي وتطوير التعليم الديني، فسمع عن أشياخها وأساتذتها وطلابها ما أزال الستار المسدول، وكشف ما للهند من مفاخر ومآثر فكان له مفاجأة رائعة.

يقول الشيخ :"وسافرت والضباب يحيط بي بالنسبة لتاريخ المسلمين في هذه البلاد حتى إذا وصلت إليها وأقمت فيها مدة، أخذت أشعة المعرفة تمزق الضباب الذي أحاط بي، وأخذت أعرف شيئًا فشيئًا تاريخ المسلمين فيها، وكانت مفاجأة رائعة لي حقا: أن أعرف أن المسلمين حكموها حكمًا متواصلًا ثمانية قرون ونصف، وتركوا فيها من الآثار الخالدة الرائعة ماتزال الهند للآن تعتز به كأثمن شيء تعتز به أمة في العالم، وأن هذا الحكم الإسلامي العتيد أو هذا الفردوس الإسلامي قد قضى عليه الإنجليز منذ مائة سنة فقط، نعم منذ مائة سنة فقد المسلمون حكم هذه البلاد"(١).

وهنا تعجب الشيخ كيف خفي عليه هذا التاريخ العظيم المعطاء، تاريخُ حضارةٍ إسلاميةٍ زاهيةٍ، وهنا فكر في نفسه أنه يجب تدوين هذا التاريخ ورآه عبئًا على كاهله وواجبًا دينيًا في ذمته.

يقول الشيخ بأسلوبٍ أدبيٍ بليغٍ:

"تعجبت كيف أُسدل على هذا التاريخ ذلك الحجاب الكثيف، وحيل بيننا وبين معرفته، والاعتزاز به قرونًا متطاولةً، ولم يكن تاريخًا هزيلًا؛ بل

---

(١) المصدر السابق.

كان تاريخًا عملاقًا، استمركل هذه القرون، وصنع حضارةً من أزهى الحضارات الإسلامية التي عرفناها في عواصم البلاد العربية، يوم أن كانت هذه العواصم تصنع التاريخ وتصنع معه الحضارات؛ بل إن حكم هؤلاء المسلمين الأمجاد قد وصل من القوة إلى الحد الذي ظل فيه سفير جيمس الأول ملك إنجلترا أكثر من سنتين في الهند، يحاول مقابلة الملك جهانكير، فلم يظفر بمايريد، فتضرع أن يأخذ كتابًا منه إلى ملك إنجلترا، فرد عليه الوزير الأول قائلًا: "إن مما لايناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابًا إلى سيد جزيرة صغيرة، يسكنها صيادون بائسون"، وكان هذا في أوائل القرن السابع عشر بعد ماتأسست الشركة الإنجليزية سنة ١٦٠٠م"[١].

ويضيف الشيخ قائلًا: "نعم عزَّ علي إهمال هذا التاريخ، وشعرت بأنني أمام عبءٍ جديدٍ، وأمانةٍ يجب أن أتحملها وأؤديها مهما صادفني من عقبات، فقد أتيح لي مالم يتح لغيري، وانفعلت نفسي بمشاهد هذا التاريخ التي لاتزال معالمها الرائعة تحدث كل من رآها بمجد أصحابها وعظمتهم، أفأملك بعد ذلك أن أرى وأسكت؟ أو أعرف فأكتم؟ وأحتفظ لنفسي بهذه المعرفة؟"[٢].

المبحث الثاني: عوامل الكتابة

فهذه الأمور مجتمعةً كانت عوامل تاليف هذا الكتاب، والتي تتلخص في عاملين كما ذكره المؤلف بدوره في مقدمة الطبعة الثانية:

(١) المصدر السابق، ص٥-٦.

(٢) المصدر السابق.

"**العامل الأول:** قلة إقبال القراء على العملية الكبيرة المتخصصة التي تبحث جانبًا من الجوانب العلمية التي لا تغري القراء بالإقبال عليها.

العامل الثاني: وكان عاملًا مغريًا وهو أن الكتاب يكشف النقاب عن تاريخٍ مجهولٍ لأمة إسلامية، وحكم إسلامي، عاش وازدهر في الهند، نحو ثمانية قرون ونصف، ويسد فراغًا كان لابد أن يُّملأ؛ إذ كان أول كتاب يُعنَى بهذه الناحية"[1].

ثم تحدث الشيخ في مقدمة الكتاب عما توفر له من المصادر ومن ساعده في هذه العملية العملاقة من أساتذة الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند وأعلام الفكر والتعليم في الهند، وعن المجلات التي استفاد منها لاسيما مجلة ثقافة الهند، حتى أصبح الكتاب كما قاله الشيخ:

"ولهذا أعتقد من غير فخر أن هذا الكتاب -بما حوى من معلومات وافية مفصلة لتاريخ الحكم الإسلامي كله، وبما ضم من صور ورسوم لم تنشر من قبل- هو أول كتاب من نوعه باللغة العربية، ومن أجل هذا كنت أستهين بالصعوبات التي تجابهني في كتابته، خلال السبعة والعشرين شهرا التي قضيتها في الهند، والتي كرست الكثير من وقتي فيها لهذا الكتاب"[2].

❖ ❖ ❖

---

(1) انظر: **تاريخ الإسلام في الهند** ، مقدمة الطبعة الثانية، ص٥.

(2) المصدر السابق.ص٩.

الفصل الثاني:
نظرة على حضارة الهند وخيراتها

وقد آن لي أن أخوض في غمار الكتاب وأستخرج منه معلومات قيمة نادرة، فالكتاب أُلِّف على ترتيب جميل جدًا، وحسنُ الترتيب وجمالُ العبارة وسهولةُ المعاني ليست بغريبة من أديب مصري كبير بحجم الشيخ عبد المنعم النمر.

الكتاب في بدايته يسلط شعاعًا من النور على الهند وخيراتها، فيتحدث عن أنهارها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها وصناعتها وتجارتها، ويتحدث بإسهاب عما تزخر به البلاد الهندية من مناظر طبيعة ومعالم أثرية وتاريخية، حيث تنتشر في معظم مدنها القلاع والحصون التاريخية والأسواق التقليدية ومراكز الحرف اليدوية، كما تتمتع الهند بطبيعة خلابة إذ تكثر فيها الأودية والشعاب والأنهار والتلال، يتحدث الدكتور عن كل ذلك بأسلوب رشيق، قد لايقدر على مثله المواطنون الهنود الأصلاء.

المبحث الأول: خيرات الهند

يقول الدكتور عبد المنعم النمر عن أنهار الهند:

"وفي الهند أنهار عظيمة، بعضها ينبع من الشمال، حيث جبال الهملايا ويصب في بحر الهند، مثل نهر السند أو نهر الأندوس، وفي مجراه الأعلى تمده بعض الروافد، لاسيما تلك التي تجري في البنجاب أو بلاد الأنهار الخمسة، وبعض هذه الروافد ينبع من كشمير ويعتبر نهر

السند من أطول أنهار الدنيا، إذ يبلغ طول مجراه ٢٩٠٠ كيلو مترا. ومنها نهر الكنج أو حسب ما ينطقون كنكا، وهو النهر المقدس لدى الهندوس الذين يغتسلون في مياهه ليتطهروا من ذنوبهم، ويتدفق من جبال الهملايا من ارتفاع أربعة آلاف متر، ويعتبر الصعود إلى هذا المكان عند الهندوس من أعظم القربات، ويقول جوستاف لوبون: إن الأوربيين هم أول من ارتقى إلى هذا المكان، وحاول الهندوس تقليدهم، والحج إليه فهلكوا"، وعلى شواطئ كنكا تقوم معابد كثيرة، يؤمها الملايين من الهندوس للعبادة أو التطهر، ومن أكبر الأنهار التي تنبع من هملايا أيضا، نهر جمنا، وقد ذهبتُ إلى الهملايا حيث منبع ذلك النهر، ورأيته يأتي من بعيد وسط الجبال، ولم نكن في فصل الأمطار الكثيرة، لذلك رأيته وفيه قليل من الماء الجاري في قنوات وسط مجراه... ومن الأنهار الشهيرة أيضا نهر براهما الذي يجري في البنغال آتيا من الشمال الشرقي حيث جبال هملايا وأسام، ويلتقي عند مصبه بإحدى التفرعات التي يتفرع إليها كنكا عند مصبه"[١].

وهذه معلومات ميدانية قيمة، حيث أجهد المؤلف نفسه بمشاهدة هذه الأنهار ومجاريها ومنابعها ومصباتها.

يقول الشيخ عن زراعة الهند بما فيه الكفاية:

"مما لاشك فيه أن بلادًا واسعةً كالهند مختلفةً في تربتها وأجوائها وارتفاعها وانخفاضها يمكن أن تجد فيها من أنواع النباتات ما لاتراه في

(١) المصدر السابق، ص ٤.

غيرها، ويمكن أن أترك الكلام في هذا لأحد علماء الهند الكبار، وهو العلامة المرحوم الشريف مولانا عبد الحي الحسني الذي وضع كتاب "الهند جنة المشرق ومطلع النور المشرق"، وهو يقول:

"أما حاصلات هذه البلاد فكثيرة جدا، اعتنى العلماء بجمع أنواع نباتها وأشجارها، فكانت أكثر من ثمانية آلاف نوع من النبات وأربع مائة وسبع وخمسين نوعًا من الشجر، وما زالوا يكتشفون غيرها في آجام البلاد ورياضها".

ثم يقول الشيخ مسهبًا في حاصلات الهند: "فمن حاصلاتها الحنطة والشعير والذرة والأرز والعدس بأنواع مختلفة والحمص وغيرها، ولا سيما الأرز الذي يذكرون منه سبعًا وعشرين صنفًا، ومنها قصب السكر والقطن والتبغ والتوت والنارجيل والنخل والخيزران والخشخاش، الذي يؤخذ منه الأفيون والشاي والتنبول، وهو المعروف في الهند باسم البان، يمضغون أوراقه، وشجره يشبه العنب، غير أنه لا ثمر له وينتفع بورقه في المضغ، وهو عام شائع في الهند، يمضغه الرجال والنساء بعد أن يضعوا عليه القات والنورة وقطع الفوفل والجبهان ويسمونه أيلجي، وهو معروف في الحجاز باسم هيل، وقرنفل كثيرًا ما يضيفون إليه التبغ.

قال الشيخ أحمد بن علان:

لطائف الهنـــد ثـلاث أتت ❋ الأنب والنرجس والبان

قال لي الخان: نسيتَ النساء ❋ والحق ما قاله الخـان"[1].

(١) المصدر السابق، ص ٧٠.

المبحث الثاني: حضارة الهند

كما أن الشيخ بعد هذا يتناول حضارة الهند القديمة ويعتبرها من أقدم الحضارات حتى تحير المؤرخون في تحديد زمانها.

يقول الشيخ عن قدم حضارة الهند:

"تعتبر الهند من الأمم ذات الحضارة القديمة، بحيث تزامل في حضارتها حضارات مصر وبابل وآشور واليونان، ويقول المؤرخون حين يبحثون في بدء تاريخ هذه الحضارة: إنها بدأت قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف سنة في حوض السند، وهو أقرب مكانٍ في الهند لتلك البلاد ذات الحضارة القديمة، ومع ذلك يعجز المؤرخون عن الإتيان بمعارف كاملةٍ مسلسلةٍ عن تاريخ الهند منذ هذه الحقبة".

ويقول جوستاف لوبون كما نقله الدكتور عبد المنعم النمر: "ليس للهند القديمة تاريخ؛ وليس في كتبها وثائق عن ماضيها، ولاتقوم مبانيها مقام الكتب مادامت لاتزيد في القدم عن ثلاثة قرون قبل الميلاد، ولولا ما في قليلٍ من الكتب الدينية من أكداس الأساطير التي تستشف منها الحوادث التاريخية لظل ماضي الهند مجهولًا، وأقدم المصادر التي يرجع إليها في تبين أثر الماضي المفقود أشعار "الفيدا" الدينية التي كتبت في أدوار مختلفة، والتي تصل في القدم إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد"، على أن كثيرًا من الآثار التي كشف عنها المنقبون يمكن أن تعطينا صورةً عن تاريخ الهند وحضارتها القديمة، فقد رأيت آثارًا لأشوكا عند منبع جمنا، وهو الذي حكم الهند الشمالية قبل الميلاد بنحو

قرنين ونصف، كما رأيت أثناء زيارتي لـ"بتنا" عاصمة ولاية بيهار آثارًا ترجع إلى عهده أيضًا، حيث كانت "باتلي بوترا" عاصمة أشوكا وهي في مكان بتنا تقريبًا، كما شاهدتُ آثار جامعته نالنده القديمة، التي يقولون أنها كانت تتسع لأكثر من عشرة آلاف طالب، والتي تعلم فيها بوذا، ولذا أقامت حكومة الهند الحالية بجانبها معهدًا للبحوث في الأداب القديمة، ولاسيما البوذية منها، وقد زرته واطلعت على كثير من الكتب النادرة الموجودة فيه، والتي استجلبت هي أو صورتها من أمكنةٍ متعددةٍ، وفي المعهد كثير من الطلاب الشرقيين الذين أتوا من بورما وسيام والصين وغيرها ليبحثوا في آداب البوذية، ويعيشون في بساطةٍ، حيث يقيم أكثرهم في خيام حول مبنى المعهد ذلك المبنى الوحيد في المنطقة؛ مما جعلني أسجل إعجابي بهم في دفتر الزيارات"(١).

المبحث الثالث: تاريخ الغزوات العسكرية لبلاد الهند

وبعد الإسهاب في حضارات الهند المتعددة القديمة أراد المؤلف بيان تاريخ الغزوات العسكرية المتجهة نحو الهند، فقد كانت الهند منذ قديمٍ مطلب الغزاة الفاتحين ومقصد القادة المقدامين، وذلك بما ضمت الهند من كنوز الدنيا وخزائن الأرض ومناظر طبيعية ومعادن فياضة. فذكر المؤلف أولًا الغزو الآري ثم غزو الإسكندر ثم الغزو الإسلامي.

---

(١) غوستاف لوبون، **حضارات الهند**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ط١، ٢٠١٤م)ص١٦.

أما الغزو الآري –حسب ما قال المؤلف–فقد حدث قبل الميلاد بنحو ألفي عام، وكان الآريون طائفةً منحدرةً من وسط آسيا، وكان للقبائل الآرية أثرٌ كبيرٌ في تاريخ الهند، إذ يُعزى إليها تكوين اللغة السنسكريتية التي يقول علماء اللغات إنها تشبه اللغات الأوربية القديمة مثل اللاتيني ولغة القوط، وقد تولد من استعلاء الآريين الفاتحين على سكان الهند الأصلاء ومن احتكاكهم بهم تلك التقاليد الهندوسية التي اعتبرت على مر التاريخ دينًا يدين به الهنود ويلتزمون بآدابه[١].

أما غزو الإسكندر فقد حدث في عام ٣٢٧قبل الميلاد، حيث وصل الإسكندر الأكبر المقدوني إلى أرض الهند بعد ما فتح كل البلاد التي في طريقه من اليونان إلى الهند، وأخضعها لحكمه، وقد دخل الهندَ من أرض السند حيث يوجد الطريق الطبيعي الذي يتخذه الغزاة دائمًا لغزو الهند، وأخضع الإسكندر جزءًا كبيرًا من أرضها بعد ما هزم ملوكها، ثم توقف عن الغزو وعاد أدراجه نحو الغرب، بعد أن ترك حاميات له في البلاد المفتوحة.

أما الغزو الإسلامي فسيأتي ذكره قريبا.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٧-١٨.

الفصل الثالث:

الأوضاع الدينية والاجتماعية في الهند قبل الإسلام

إن الجذور الدينية في الهند متأصلةٌ منذ القدم، والأوضاع السياسية والاجتماعية كلها متفرعةٌ على الأوضاع الدينية، وقد أراد المؤلف أن يشرح الأوضاع الاجتماعية في الهند قبل الإسلام فنقل بدقةٍ وأمانةٍ ما قاله جوستاف لوبون: "إن المعتقدات الدينية في الهند هي أساس جميع النظم الاجتماعية، فما في الهند من نظم اجتماعية ليس بالحقيقة إلا نظمًا دينيةً"[1]. وديانات الهند الكبرى تتمثل في الهندوسية والجينية والبوذية.

المبحث الأول: الديانة الهندوسية

يقول المؤلف عن الديانة الهندوسية: إن الديانة الهندوسية عبارةٌ عن تقاليد وأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم بعدما وفدوا على الهند واستعمروها وتغلبوا على سكانها الأصليين وطردوهم من ميادين الحياة، وأعظم وأقدم كتبهم التي تقوم عليها طقوسهم ويستمدون منها عقائدهم أربعة، يرجع تاريخ أقدمها إلى ٤٥٠٠سنة قبل الميلاد، وبعضها إلى حوالى ١٢٠٠سنة قبل الميلاد، وهذه الكتب أربعة: (١) رك فيدا، (٢)سام فيدا، وهما يشتملان على مجموعات من الأناشيد التي كانوا ينشدونها في تقديم القرابين للآلهة. (٣)رك فيدا، وتشتمل على الصلوات

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠.

والأدعية شعرا ونثرا. (٤)أتهر فيدا، يصف عقائد الجمهور في الأرواح الشريرة والرقي والسحر وهو آخر مجموعة من هذه الكتب، ولذا ظل مدة غير معترف به، فهو لا يلقى ما تلقاه الكتب الثلاثة من التقديس"[١].

ولخص المؤلف المعتقدات الهندوسية الواردة في الكتب الأربعة، فذكر ستة معتقدات أساسية، وهي كالآتي:

- عبادة قوى الطبيعة.
- تشخص هذه القوى بأسماء الآلهة.
- اعتقاد خلود الروح (يعنى على أساس فكرة التناسخ)
- عبادة الأجداد.
- الميل إلى إخضاع الطبيعة والناس والآلهة إلى إله واحد أقوى منها، وهو الإله "إندرا" على العموم.
- أساس الدين أو حقيقته تنحصر في تبادل الإنسان قرابينه ويقدم فواكهه وأن تمنحه الآلهة الكثر واليسر والمطر المبارك والصحة والكنوز[٢].

المبحث الثاني: الديانة الجينية

أما **ديانة الجينية** فيفيد الشيخ عبد المنعم النمر في هذا الصدد: الجينية هي إحدى الديانات المنتشرة في الهند، ويعتبرها أتباعها ديانةً مستقلةً، ويدعي الجينيون أن ديانتهم هي أقدم الديانات في الهند؛ ولكنه ليس بصحيح.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٧.

يقول الشيخ وهو يتحدث عن الجينية: "وأهم شيئ في الجينية هو الدعوة إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وشهواتها حتى تدخل النفس في حالةٍ من الجمود والخمود، لا تشعر فيها بأي شيء مما حولها، والناسك الحق هو الذي يقهر جميع مشاعره وعواطفه وحوائجه، فلا يحتاج إلى شيء حتى اللباس، لأنه لا يشعر بحر ولا برد ولا حياء، ويهتم الكهان الجينيون بنتف أشعارهم كلها كدليل على أنهم لا يهتمون بالجسد المادي؛ لأن الذي يشعر بالحياة - وبالتالي بحاجته إلى ستر عورته وأن في الحياة خيرًا وشرًا وحسنًا وقبيحًا – معناه أنه لايزال متعلقًا بها خاضعًا لمقاييسها، ويقولون: إن آدم وحواء كانا يعيشان في الجنة بطهر كامل، لا يشعران بحياء ولا خير ولا شر، ولا يحملان همًّا وغمًّا حتى تسلط عليهما الشيطان ليحرمهما من هذه اللذة، فحملهما على أن يأكلا من شجرة العلم بالخير والشر، فأُخرجا من الجنة"[١] إلى آخر ما بسطه المؤلف مستندًا إلى كتب التاريخ المعتبرة.

المبحث الثالث: الديانة البوذية

أما ديانة البوذية فقال فيها المؤلف: "وهي إحدى الديانات التي نبتت في الهند وسيطرت على المجتمع الهندي مئات السنين، ثم انتقلت من الهند إلى ما حولها في سيلان وبورما وسيام والهند الصينية والصين واليابان؛ حتى أصبحت هذه البلاد هي الموطن الحقيقي لازدهار البوذية بعد أن اضمحل شأنها وتقلص ظلها في الهند نفسها، وحتى يقدر معتنقوها في هذه البلاد بحوالي خمس مائة مليون"[٢].

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٢٧

(٢) المصدر السابق، ص٥٥.

ويضيف الشيخ قائلًا: "ومما يلاحظ أن البوذية الأصيلة لا تحتفل بالطقوس البرهمية الرسمية من الغسل في الأنهار المقدسة والمداومة على الصيام، والاشتغال بالعبادات المتعبة، والجولان عراة حفاة، والتزيي بزي الرهبان من حلق الرؤوس أو تلبيد الشعر وتتريب الجسد، وعرض النذور والقرابين، فكل ذلك ليس له حظ في النجاة عند البوذية، يقول بوذا: التعري وتلبيد الشعر والتعهد بالأوساخ والصوم وتتريب الجسد... كل ذلك لا يطهر فانيا، لم يقهر شهواته، ثم يقول: لايطهر نهر رجلا متعهدا بالسيئات، مضمرا للمقت، مرتكبا للجناية، وقال في موضع آخر: النجاسة يستحدثها الغضب وشرب الخمور والغرور والحقد لاآكل اللحم، والعمل الصحيح في البوذية هو تطهير الباطن من حب النفس والشح والحقد والغلظة والشهوة والغضب وهو غض البصر عن عيوب الناس، والتأسي بهم في أحزانهم وأوجاعهم، والأخذ بالتقوى في شعابها المتعددة من الاجتناب عن قتل كل ذي روح وعن سلب أموال الناس وعن النظر إلى نسائهم وعن قول الزور، وشرب المسكرات والتعدي بالجوارح"(١).

وهكذا قامت البوذية –كما فصَّل الشيخ النمر– على السمو الأخلاقي والطهر النفسي؛ إلا أن البوذية تقترب مع الأيام من الهندوسية، وتذوب في كيانها، فعاد أتباع البوذية يعبدون الآلهة وشخصية بوذا، فتغلبت الهندوسية على البوذية، وتقلص نطاقها، وجاء الشيخ النمر بمعلوماتٍ ضافيةٍ قيمةٍ.

---

(١) المصدر السابق، ص٥٦.

الفصل الرابع:
الزحف الإسلامي نحو الهند

وبعد ما انتهى الشيخ عبد المنعم النمر من تصوير الهند وأوضاعها وطبيعتها ودياناتها ولغاتها قبل الإسلام أسهب في الفتوح الإسلامية في الهند، وقبل الخوض في صلب الموضوع أشار إلى الصلات التي كانت قائمة بين الهند والبلاد العربية من قبل الفتوحات الإسلامية، وذكر كذلك أن الدين حمله التجار العرب إلى الهند، فتفتحت قلوب كثير من الهنود للدين الجديد، وعادت نغمة الإسلام تُنشد في جنوب الهند.

المبحث الأول: حملة مُحَمَّد بن القاسم الثقفي ودوافعها

ثم أسهب في الفتح الإسلامي للهند، فذكر أن فتح الهند كان أمنيةً لذيذةً لدى خلفاء المسلمين، بدأوا يفكرون فيه منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما فكَّر عثمان ابن أبي العاص الثقفي والي البحرين سنة ١٥هـ في تسيير جيشه إلى الهند، وقد أرسل أخاه الحكم إلى تانه، وهي موضع قريبة من مومباي الآن، فأخبر به عمر بن الخطاب، فزجره قائلًا: يا أخا ثقيف! حملت دودًا على عود، وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم.

وقد ظل القواد المسلمون يطرقون أبواب الهند ويصيبون من أطرافها حتى كان زمن الحجاج بن يوسف عامل الوليد بن عبد الملك على العراق، وبدأت الحملة القوية المنظمة تتجه إلى الهند لفتحها وضمها إلى رقعة البلاد الإسلامية.

وقد ذكر المؤلف اختلاف الأسباب الداعية لفتح الهند، أما المؤرخ البلاذري فالسبب عنده هجوم قطاع الطريق على نسوة المسلمين، اللاتي أهداهن ملك سيلان إلى الحجاج تقربًا منه، فأخذهن اللصوص وقطاع الطريق البحري، فصرخت واحدة منهم ياحجاج، ولما بلغ الحجاج ذلك استشاط غضبًا وقال: لبيك، فأرسل إلى داهر يسأله تخلية النسوة، فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم، فحمل ذلك الحجاج على غزو السند مملكة داهر[1].

وقد وجه الحجاج أولًا بعض قواده إلى هذه البلاد؛ ولكنه فشل في مهمته، فرأى أن يوجه حملةً أخرى، جعل على رأسها ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن قاسم الثقفي، وذلك في سنة ٧١١هـ الموافق سنة ٩٢هـ، وكان عمره إذ ذاك لم يصل إلى العشرين؛ ولكنه عُرف بالصلابة والشجاعة، وقد جهَّزه الحجاج بجيشٍ قويٍ، حشد له فيه كل مايحتاج إليه؛ حتى الخيوط والمسال...وسار محمد بجيشه من جنوب فارس قريبًا من الساحل، حيث كانت سفن الحملة تحمل ما تحتاج إليه من العدة والمؤن...حتى وصل الديبل يوم جمعة، ووافته سفنه التي كانت تحمل العتاد، فخندق وركز الرماح تجاه المدينة، ونشر الأعلام وأنزل الناس على رأياتهم، ونصب منج انيقا تعرف بالعروس... وقد أمر محمد بن قاسم أن يرمي البلد[2] بالمناجيق فكسره، ثم دار قتالٌ انتهى باستيلاء المسلمين على المدينة،

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٥٦.

(٢) وكان في المدينة صنم كبير لبودها، وهو المراد هنا.

ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام، وهرب عامل داهر، واختط للمسلمين بها، وبنى لهم مسجدًا، فكان أول مسجد بهذه المنطقة[١].

وواصل محمد بن قاسم سيره فاتحًا منصورًا في البلاد الهندية؛ حتى أخضع المناطق الهندية الكبيرة للحكم الإسلامي في دمشق، وقد ذكر كل ذلك الشيخ عبد المنعم النمر بأسلوبٍ جذابٍ.

المبحث الثاني: نهاية مؤلمة للقائد الشاب مُحَمَّد بن قاسم

يحار المؤرخون على ما لقيه القائد الإسلامي العظيم محمد بن قاسم من جزاءٍ سيءٍ، فقد جوزي على مآثره الغر النبيلة جزاء سنمار، يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "وفي الوقت الذي كان فيه قائدنا ينتقل من نصرٍ إلى نصرٍ، مؤملًا أن يضم إلى المملكة الإسلامية مملكة الهند الشمالية، وعاصمتها "قنوج"، جاءه خبر وفاة عمه الحجاج سنة ٩٥هـ، وبعد قليل جاءه خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك، - وكان سنده وسند عمه الحجاج- وخبر تولية الملك سليمان بن عبد الملك، وكان عدوًّا للحجاج وأسرته لضغائن قديمة بينهما، فولى صالح بن عبد الرحمن على العراق، وكان الحجاج قد قتل أخاه، وولى يزيد بن أبي كبشه السند، وأمر بعزل محمد بن قاسم، وحمله إلى العراق مقيدًا بالسلاسل، مع معاوية بن المهلب حيث حبس في سجن واسط؛ حتى وافاه مصيره المحتوم بعد عذاب شديد سُلط عليه"[٢].

❖ ❖ ❖

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ المسلمين في الهند**، ص٧٤.

(٢) المصدر السابق، ٧٥.

الفصل الخامس:
الدول الإسلامية في الهند قبل الإمبراطورية المغولية

قد مر أن محمد بن قاسم فاتح الهند قد لقي جزاءً مشؤومًا من قبل والي العراق الجديد، وأما قائد السند الجديد يزيد بن أبي كبشه فلم يكن بمستوى محمد بن قاسم في الشجاعة والسياسة والحنكة والذكاء، فخرجت القبائل المفتوحة على المسلمين واستردُّوا أراضيهم وأخرجوا المسلمين، فكان أمر المسلمين في ضعف وخور؛ حتى دالت دولة بني أمية، وقامت الدولة العباسية، فكان خليفة المسلمين في بغداد يمد ظله على كل البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، ولما ضعف الخليفة في بغداد، كان حكام الولايات يثورون على الخليفة ويستأثرون بولايتهم ومناطقهم. ومن هنا قامت ولاية في أفغانستان.

المبحث الأول: الدولة الغزنوية

كان السامانيون في شرق الدولة العباسية أصحاب ولاية خاضعة للدولة العباسية، فاستقلوا بدولتهم في أفغانستان، واتخذوا "غزنة" عاصمة لهم، وكان حاكمهم إسحاق بن ألبكتكين، ولما توفي إسحاق اجتمع القواد والكبراء على اختيار سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته.

كان سبكتكين حاكمًا ذا عقلٍ ودهاءٍ، وخبرةٍ سياسيةٍ واسعةٍ، فلما ولي أمر غزنة حقق ظن الناس فيه، وساس أمورهم سياسةً حسنةً، وعند ما استقر له الأمر في غزنة فكر في أمر الهند، وبدأ يرسل جيوشه إلى أطرافها الغربية، ولما تُوُفي سبكتكين وَلِيَ الأمرَ ابنُه محمود الغزنوي[١].

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٧٧.

محمود الغزنوي [٣٧٨هـ/ ٩٩٧م إلى ٤٢١هـ / ١٠٣٠م]:

وهو قائد شهير واسم لامع في تاريخ الهند، ومؤسس دولة إسلامية في الهند، دامت ثمانية قرون، وانتهى بحكم الاحتلال الإنجليزي في الهند.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "كان محمود طموحًا جريئًا، وكان مسلمًا غيورًا، وقد رنى ببصره إلى الساحات التي يرضي فيها طموحه وغيرته، ولم يمكث طويلا حتى اتجه إلى الهند التي كان قد طرق أبوابها وخاض حروبًا مع بعض ملوكها في عهد أبيه...أمضى محمود نحو خمسة وعشرين عامًا في حرب وجهاد وفتح لبلاد الهند، ورفع لواء الإسلام فوق أراضيها"(١).

بدأ محمود غزواته للهند في سنة ٣٩٢هـ الموافق سنة ١٠٠١م حيث التقى بالملك جيبال(jai pal) في المحرم من هذه السنة، وبالرغم من كثرة العدد واستماتته في القتال فإن محمودًا تغلب عليه، وأسر "جيبال" مع ١٥ رجلًا من أبنائه وأقربائه بعد أن أعمل القتل في جنوده(٢).

أما محمود فبعد استيلائه على بشاور سافر إلى بهندا أو ويهند فحاصرها حتى استسلمت، وهكذا تغلب في غزواته للهند على كل من ملتان وبهاطيه وكواكير وكالنكر وقلعة نكركوت وتهانيسر وقنوج وغوجرات وما إليها من المناطق والمدن الهندية الكبيرة، فكان محمود الغزنوي قائدًا محنكًا، وسياسيًا بصيرًا، كانت عقيدته النقية هي التي تدفعه إلى التحرك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

والانطلاق نحو المخاطر والمتاعب، فالعقيدة هي التي تستسهل الصعب وتستعذب المر، يقول جوستاف لوبون:

"وماتم على يد محمود الغزنوي من فتح فذو طابع ديني سياسي، فمحمود الغزنوي كان مسلمًا متين العقيدة، توّاقا إلى رفع شأن الشريعة النبوية"(١).

خلفاء محمود في الهند:

يقول الشيخ عبد المنعم النمر وهو يتحدث عن خلفاء محمود في الهند: "بعد وفاة محمود تابع خلفاؤه من الملوك الغزنويين حكمهم لأرض الهند وتوسعهم في ضم أراضٍ جديدة منها إلى حكمهم.

جاء بعده ولده مسعود الذي أخذ الملك عن أخيه محمد بعد وفاة والده بشهور، فتابع سياسة أبيه في الفتح والتوسع، وكان شجاعًا كريمًا محبًا للعلماء كثير الإغداق عليهم، صنفوا له التصانيف الكثيرة، وقُتِلَ مسعود أثناء ذهابه للهند سنة ٤٣٢هـ على يد أخيه محمد وأولاده، وجاء بعده ابنه مودود، وسار سيرة أبيه وجدِّه في التوسع بأرض الهند، وتوالى الملوك الغزنويون على عرش غزنة والهند...إلا أنَّ تناحُرهم فيما بينهم أضعفهم وجعل البلاد التي فتحوها تتمرد عليهم كما أطمع فيهم من حولهم، حتى سقطت عاصمتهم غزنة سنة ٥٤٧هـ الموافق ١١٥٢م في عهد آخر ملوكها بهرام شاه"(٢).

---

(١) غوستاف لوبون، **حضارات الهند**، ترجمة:عادل زعيتر(القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٢م) ص٣٣٣.

(٢) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٩٧.

المبحث الثاني: الدولة الغورية

بجانب الدولة الغزنوية وفي جبال غور أو غورستان نشأت الدولة الغورية، كان الحسين بن الحسن الملقب بعلاء الدين المؤسس الأول لهذه الدولة، حيث استولى على غزنة وفر حاكمها بهرام شاه؛ ولكن بهرام سرعان ما رجع وتغلب على الحسين بن الحسن بمساعدة أهالي غزنة؛ ولكن خلفه شهاب الدين الغوري استطاع مرة ثانية الاستيلاء على غزنة.

وبعد ما استتب لشهاب الدين الغوري الأمر في أفغانسان توجه إلى لاهور، التي كانت عاصمة لملوك غزنة وأخلافهم، واستولى عليها سنة ٥٨٢هـ الموافق سنة ١١٧٦م.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر في دور شهاب الدين الغوري في إقامة الحكم الإسلامي بالهند: "وقد لعب شهاب الدين دورًا في الهند، يشبه إلى حدٍ كبيرٍ دورَ محمود الغزنوي فيها، فقد كانت لكل منهما حروبٌ وفتوحاتٌ، عقد عليه فيها لواء النصر، ومكن لحكم الإسلام فيها"[(١)].

وقد خاض الغوري معارك دامية مع الملوك الهندوس، انتهت بانتصار المسلمين على الكفار، من أهمها القتال الحار الدامي مع راجبوتانه في ضفة نهر سرستي سنة ٥٨٧هـ الموافق ١١٩١م، حيث سقط شهاب الدين جريحًا في ميدان المعركة، فأقسم أن لا يقرب النساء ولا يغير ملابسه؛ حتى ينتصر وينتقم ويغسل ما لحقه من عار[(٢)].

---

(١) المصدر السابق، ص٩٨-٩٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٠٠.

فمكنه الله من فتح بارز على الأعداء، فرأى أن يرجع إلى غزنة، بعد أن أقام مملوكه قطب الدين أيبك نائبًا عنه في البلاد الهندية الخاضعة له.

ومع تولية قطب الدين الأمر لم يغفل شهاب الدين الغوري عن الهند، فهو يعود بجيشه العظيم إلى الهند ويوسع رقعة الحكم الإسلامي، وقد خاض في ذلك معارك تاريخية شهيرة، ومن جهة أخرى كان قطب الدين رجل سياسة وكياسة، ورجل إدارة وتنظيم، فقد استطاع أن يفتح مدينة دهلي ويوسع نطاق الدولة الغورية في أرجاء الهند الشمالية.

وفي سنة ٦٠١هـ الموافق ١٢٠٥م عند ما كان شهاب الدين الغوري عائدًا من إحدى معاركه المنصورة داهمه رجال مجهولون، وقتلوه غيلة، وهو في خيمته(١).

وبعد وفاة شهاب الدين الغوري استقل الحكم الإسلامي في الهند ولم يكن تابعًا لغزنة؛ حيث أقام قطب الدين أيبك دولةً قويةً طويلة الأمد، كما سيأتي.

المبحث الثالث: دولة المماليك

بعد وفاة شهاب الدين الغوري انشغلت الأسرة الغورية بالحروب والنزاعات الداخلية، بينما قطب الدين يتولى الحكم في الهند خاضعًا للدولة الغورية في أفغانستان؛ ولكن سرعان ما استقل بالأمر، فمن المناسب أن أذكر ملوك دهلي واحدًا بعد واحدٍ بإيجازٍ شديدٍ:

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٠٣.

١- **قطب الدين أيبك[فترة الحكم: ١٢٠٦م - ١٢١٠م]:** كان أحد مماليك شهاب الدين الغوري، جمع الله فيه من الصفات الطيبة ما حببه إلى قلب سيده، ثم أبدى من ضروب الشجاعة والإقدام ما جعله أميرًا لجيش شهاب الدين الغوري ونائبًا عنه في الهند، ثم أقره خلف شهاب الدين على الإمارة الهندية؛ بل أعتقه وأقطع له الإمارة الهندية، وأرسل له المظلة الملكية، فجلس على عرشها يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٦٠٢هـ - ١٢٠٦م. لم تمتد أيام حكمه كثيرا، فقد تُوُفي بعد ذلك بمدة قصيرة سنة ٦٠٦هـ - ١٢١٠م، كان عادلًا كريمًا باسلًا مقدامًا، يُضرب به المثل في الشجاعة والكرم، من آثاره: قطب مينار الشهيرة بدهلي، ومسجد قطب في أجمير، ومسجد قوة الإسلام في دهلي، وما إليها[١].

٢- **شمس الدين ألتمش [فترة الحكم: ١٢١١م - ١٢٣٦م]:** بعد وفاة قطب الدين اجتمع كبار رجال الدولة، واختاروا شمس الدين ألتمش سلطانًا خلفًا لقطب الدين، وكان ذلك سنة ٦٠٧هـ - ١٢١١م، وقد كان مملوك قطب الدين، جُلب من بخارى، وانتقل من سيدٍ إلى سيدٍ؛ حتى اشتراه قطب الدين وربَّاه في مهد السلطنة، ثم أعتقه وجعله أميرًا على الجيش وزوجه بابنته، قد شغل في بداية ملكه بالحروب الداخلية، فسار إلى أوريسه وبنغال وكواليار وغيرها من البلاد التي ثارت على حكم دلهي بعد موت قطب

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٠٥- ١٠٦.

الدين، وأخضعها تمامًا، وتوفي سنة ٦٣٣هـ – ١٢٣٥م، بعد أن أوصى بالملك لابنته رضية، كان رجلًا عادلًا كريمًا، نقل الدكتور النمر ماجاء عنه في حاضر العالم الإسلامي: "كان من عظام السلاطين المدبرين، وطد أركان السلطنة، وأكمل فتح الهند الشمالية، وأعلى من هذا كله أنه حفظ الهند من جائحة المغول، لأنه في زمان ألتمش زحف الجنكيزيون على إيران، وأزالوا سلطنة خوارزم العظيمة، وفر الأمير جلال الدين الخوارزمي شريدًا ملتجئًا إلى ألتمش، فكان من حسن تدبير هذا أنه رد غارة المغول على البنجاب؛ لكنه لم يتهور في إصراخ جلال الدين إلى إعادة ملكه له، وشن الغارة على المغول مما لم تكن تؤمن عاقبته"(١).

٣- **رضية سلطانة[فترة الحكم: ١٢٣٦م – ١٢٤٠م]:** ذكرنا أن ألتمش أوصى بالملك لابنته رضية، تاركا إخوتها، وقد تولت الحكم سنة ٦٣٣هـ – ١٢٣٥م، ومكثت أربع سنين، وكانت تركب كما يركب الرجال، ولاتستر وجهها، ثم إنها اتُّهِمت بعبدٍ لها من الحبش، فخُلعت عن العرش، وتولى مكانها أخوها الأصغر محمود ناصر الدين، وقتل رضيةَ أحدُ الزرَّاع طمعًا في مالها.

٤- **ناصر الدين محمود بن ألتمش[فترة الحكم: ١٢٤٦م – ١٢٦٦م]:** تولى الحكم بعد رضية، وكان في السابعة عشرة من عمره، فاختار "بلبن" أحد مماليك أبيه الشجعان وزيرًا له، فأبدى من الكفاية

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٠

والمقدرة وحسن تدبير الأمور ما جعله الحاكم الفعلي للبلاد، أما سيرته فقد حكى الشيخ عبد المنعم النمر عن نزهة الخواطر: "أنموذج الخلفاء الراشدين، كان أصغر أبناء والده وأكبرهم في الفضل والصلاح، فنادى برفع المظالم وأظهر من العدل والكرم، وكان عادلاً فاضلاً، ورعاً متعبداً ذا حلم وأناة ورأفة، راغباً إلى الخيرات مع الزهد والتقشف، وله عناية عظيمة بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة، مؤثر للعدل والإحسان وقضاء الحوائج، ولم يزل أمره مستقيماً إلى عشرين سنة. ومن أخباره أنه كان يكتب القرآن الكريم نسختين منه كل سنة فيبيعهما ويقتات بثمنهما، وأن زوجته سألته أن يعطيها جارية تكفي مؤنتها في طبخ الطعام وغيره من أمور البيت، فأبى"[1]، وتوفي ناصر الدين سنة ٦٦٤هـ – ١٢٦٦م، وبوفاته انتقل الملك من أسرة شمس الدين ألتمش إلى أسرة أخرى من المماليك، وهي أسرة غياث الدين بلبن.

٥- **غياث الدين بلبن[فترة الحكم: ١٢٦٦م – ١٢٨٧م]:** كان غياث الدين بلبن من الأتراك، ومن مماليك شهاب الدين ألتمش، قام بالملك بعد ناصر الدين محمود، كان حاكمًا قديرًا، يعمل بالجد والحزم، والكرم والتسامح، وقمع كل الثورات والغارات على الدولة، يذكره التاريخ بألفاظ عطرة، ويصفه بمكارم الأخلاق وأنبل الصفات.

---

(١) عبد الحي بن فخر الدين الحسني، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ج١،ص١٢٧.

هكذا ظل الشيخ عبد المنعم النمر يقف كل موقف، ويحلل التقلبات والثورات، ومدى قدرة الملوك على رد الفتن والثورات ومواقفه من الناس المؤيدين والمعارضين.

المبحث الرابع: الدولة الخلجية

بعد غياث الدين بلبن استطاع جلال الدين الخلجي أن يستخلص الملك لنفسه، كان الخلجيون أصلهم من الأتراك الأفغانيين، وكانوا أسرةً محاربةً، ظهر أمرها من أيام الغزنويين، ويرى بعض المؤرخين أنهم ينتسبون إلى قليج خان أحد أصهار جنكيز خان، نزل بجبال الغور بعد هزيمة خوارزم شاه، وحُرِّف اسمه بعد ذلك إلى "خلج"، وعُرف ورثته بالخلجيون، واندمجوا في الحياة في أفغانستان، واعتنقوا الإسلام في عهد سلاطين الدولة الغزنوية، وضم الجيش الغزنوي فرقًا منهم أسهمت في فتح الهند. وظهر أمرهم منذ أيام الدولة الغورية، وازداد نفوذهم في عهد المماليك، وتولوا حكم إقليم البنغال، ونهضوا بالوظائف الكبرى في الدولة. فبعد ذكر غياث الدين بلبن أراد الشيخ عبد المنعم النمر أن يذكر السلطنة الخلجية وملوكها، وأردت أن أقتبس منها بإيجاز:

١- جلال الدين فيروز شاه الخلجي(فترة الحكم: ٦٨٩هـ -١٢٩٠م = ٦٩٥هـ- ١٢٩٦م): تولى عرش دلهي وكان عمره سبعين سنة، وقد اشتهر جلال الدين بالحلم الذي لم يُعْرَف عن أحد من الملوك؛ حتى أنه يعفو عن الثائرين على الملك والدولة، وكان يكرم أسرة بلبن بالغ الإكرام، وكان له ابن أخ اسمه علاء الدين الخلجي،

وكان طموحا وثَّابًا، وكانت بينه وبين أبن أخيه شبه جفوة، فدبَّر ابن الأخ حيلةً لقتله، فقتله سنة ٦٩٥هـ - ١٢٩٦م.

٢- **علاء الدين الخلجي المشهور بإسكندر الثاني(فترة الحكم: ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م = ٧١٦هـ - ١٣١٧م):** بعد أن غدر علاء الدين بعمه استولى على عرش دلهي، ولما استقرت له الأمور بدأ يتجه لشؤون الدولة الحربية والاجتماعية، والحق أنه كان سلطانًا قويًّا في سطوته، منظمًا لأمور دولته، اتسعت رقعة المملكة في أيامه اتساعًا لم تشهده قبله، ومن عظيم مآثره أنه رد غارةً كاسحةً للمغول، كما أنه ضم جنوب الهند إلى مملكته، ووصل جيشه إلى ما لم يصله ملك هندي قبله، فقد فتح كلا من الدكن وغوجرات، وبهوبال وبومباي ومملكة جيتور، ومملكة مهرات، وهكذا كُتِبَ النصر له في كل الحروب التي خاضها جيشه؛ حتى لُقِّب بإسكندر الثاني.

٣- **خلفاء علاء الدين الخلجي:** وبعد علاء الدين الخلجي قامت حروب أهلية بين أولاده، وساروا مسير الظلم والاستبداد، فاستغاث أشراف دلهي بحاكم لاهور الملك الغازي تغلق، فزحف إلى دلهى واستولى عليها، سنة ٧٢١هـ الموافق سنة ١٣٢١م.

٤- وبذلك انتقلت سلطنة دلهي إلى أسرة تغلق.

المبحث الخامس: الدولة التغلقية

وبعد هذا خاض الشيخ عبد المنعم النمر في ذكر الدولة التغلقية، وملوكها وآثارها، أقتبس منها ما يلي:

١- **غياث الدين تغلق شاه [فترة الحكم:٧٢١ﻫ الموافق ١٣٢١م = ٧٢٥ﻫ الموافق ١٣٢٥م]:** أسس تغلق شاه أسرةً حاكمةً، حكمت الهند نحو مائة سنةٍ، وبعد ما استقرت له الأمور جعل ابنه محمدًا وليًا للعهد، وكان عادلًا فاضلًا كريمًا، حليمًا متورعًا، حسن الأخلاق، راجح العقل متين الدين، كان يلازم الصلوات الخمس بالجماعة، ويكرم العلماء والمشائخ ويعظمهم تعظيمًا بالغًا(١).

٢- **محمد تغلق شاه [فترة الحكم:٧٢٥ﻫـ الموافق ١٣٢٥م إلى ٧٥٢ﻫـ الموافق ١٣٥١م]:** بعد وفاة أبيه تولى الملك باسم محمد تغلق، وكنيته أبو المجاهد، يقول عنه صاحب نزهة الخواطر: "إنه السلطان الجائر المشهور بالعادل، وكان من عجائب الزمن وسوانح الدهر، لم يُر مثلُه في الملوك والسلاطين في بذل الأموال الطائلة وسفك الدماء المعصومة"(٢)، وتذكر كتب التاريخ عنه أنه كان متدينًا لا يشرب الخمر، وقائدًا شجاعًا وإداريًا قديرًا، يُعتبر أحد القواد والإداريين العظام، غير أنه كان شديدًا في معاملة رعاياه إلى حد القسوة، يقتل أحدهم على الذنب الصغير(٣).

٣- **فيروز شاه التغلقي [فترة الحكم:٧٥٣ﻫ الموافق ١٣٥١م إلى ٧٩٠ﻫ الموافق ١٣٨٨م]:** كان ابن عم محمد تغلق شاه، وكان من كبار

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٢٨؛ وانظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٢، ص١٠١.

(٢) عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٢، ص١٢٩.

(٣) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٢٩.

رجال السياسة والتدبير ومن رجال البناء والتعمير؛ حيث أصلح ما أفسده ابن عمه، ووضع عن الشعب الضرائب الفادحة، وسهر على إراحته، فعاد إلى دلهي الهدوء والسكينة، وكان له ولعٌ خاصٌّ بالمشاريع العمرانية، فقد حفر كثيرًا من الحفر والآبار، وبنى كثيرًا من المساجد والمدارس والحمامات والمتشفيات والمقابر والقصور، وأقام كثيرًا من الجسور والقناطر وأنشأ الحدائق[1]، وهو الذي أسس مدينة بدهلي باسم فيروز آباد، توفي سنة ٧٩٠هـ الموافق ١٣٨٨م.

خلفاء فيروز شاه التغلقي: لم يكن من خلفائه جدير بالقيام بأعباء الخلافة، فتنازع أبناؤه وأحفاده، وتولوا الملك واحدًا بعد واحدٍ، ثم استقلت الولايات التابعة لدهلي، وأخذ سلطان دلهي يتضاءل؛ حتى داهم تيمور لنك دلهي سنة ٨٠١هـ الموافق ١٣٩٩م.

المبحث السادس: الأُسَرُ ا اكمة بعد الدولة التغلقية

في عام ٨٠١هـ دخل تيمور لنك دلهي، وقام هو وجنوده بفظائع وأعمال قتل ونهب وسلب مما لم يُشهد له نظير في دهلي قبله، ثم خرج من الهند حاملًا معه الغنائم والسبايا، وقد مكث تيمور في دلهي خمسة عشر يومًا، كانت في الواقع أقسى أيام عرفتْها، ثم تركها بعد ذلك تعاني آلام القتل والتدمير والفقر.

وبعده قامت حكومات بعض الأسر، كما أذكره بالتالي:

(١) المصدر السابق، ص١٣٥.

حكم السادات [٨١٧هـ الموافق ١٤١٤م إلى ٨٥٥هـ الموافق ١٤٥١م]:

أسس خضر خان أسرةً جلست على عرش دلهي نحو سبعة وثلاثين عامًا، كلها مليئةٌ بالفتن والثورات، وتقلص فيها نفوذ دلهي إلى حد كبير، وتعاقب على دلهي في هذه المدة خضر خان من سنة ٨١٧هـ الموافق ١٤١٤م – ٨٢٤ هـ الموافق ١٤٢١م، ثم ابنه مبارك شاه إلى سنة ٨٣٩هـ الموافق ١٤٣٥م، ثم محمد شاه ابن فريد خان بن خضر خان إلى سنة ٨٣٩هـ الموافق ١٤٤٥م، ثم ابنه علاء الدين إلى ربيع الأول سنة ٨٥٥هـ الموافق ١٤٥١م، وكان مشهورا بلقب عالم شاه، وقد انتهى ملك السادات في زمنه؛ حيث استولى على دلهي بهلول لودي، وهو من أسرة أفغانية، كانت تحكم لاهور، وبه بدأ حكم اللوديين في دلهي[1].

حكم أسرة لودي [٨٥٥هـ الموافق ١٤٥١م إلى٩٣٢هـ الموافق ١٥٢٦م]:

كان بهلول لودي حاكمًا على لاهور، ولما رأى ضعفَ العاصمة وتعرُّضَ نفوذ المسلمين فيها للضياع، وكثرةَ الفتن والأحداث زحف إلى دلهي، واستولى عليها، وبايعه جميع الأفغان في ربيع الأول سنة ٨٥٥هـ، قد مكث في الحكم نحو سبعة وثلاثين عامًا، حيث أعاد الروح إلى عرش دلهي، وجعل لاهور والولايات التي يحكمها تابعة لدلهي، توفي بهلول سنة ٨٩٤ هـ الموافق ١٤٨٨م، ثم خلفه ابنه السلطان عادل نظام الدين المشهور باسم اسكندر شاه اللودي، وقد وقع بينه وبين أخيه باربك حاكمِ جونبور نزاعٌ،

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٤٧-١٤٨.

انتهى بانتصاره على أخيه، وكان اسكندر شاه من خيرة السلاطين، تقيًا عالماً محسنًا متواضعًا، يحب العلماء ويكرمهم، توفي سنة ٩٢٣هـ الموافق ١٥١٧م.

وقام بعده ابنه إبراهيم اللودي فلم يحسن تدبير ملكه، فقامت ثورات في كل مكان كما قامت حروب بينه وبين أخيه جلال الدين حاكم جونبور؛ لكنه انتصر على أخيه، وثار عليه دولت خان حاكم لاهور أحد أفراد أسرته، وزحف بجيشه إلى دلهي، وكاد أن ينتصر على إبراهيم اللودي، لولا أن شُغل جيشه بالسلب والنهب، فهجم عليهم إبراهيم وهزمهم واضطر دولت خان للفرار من دلهي والاستنجاد بالحاكم التيموري بابر، الذي كان يسيطر على كابل وما حولها من غرب الهند، فانتهز بابر هذه الفرصة، فتم له النصر على إبراهيم اللودي، الذي قُتِلَ في معركة باني بت، سنة ٩٣٢هـ الموافق ١٥٢٦م، فدخل بابر دلهي واستولى على عرشها، وبدأ به حكم دولة إسلامية جديدة، هي دولة المغول.

وبعد انتهاء حكم أسرة لودي أراد الشيخ عبد المنعم النمر أن يذكر الدول الإسلامية الأخرى، وهي في الحقيقة ولايات تابعة لسلطنة دلهي، إذا كانت العاصمة قويةً ذات نفوذ وتاثير، وإذا ضعفت استقلت هذه الولايات، فذكر كلًّا من الدولة الإسلامية في كجرات التي استمر حكمها من سنة ٨١٠هـ الموافق ١٤٠٧م إلى سنة ٩٦٥هـ الموافق ١٥٧٢م، وسلاطين مالوا ومملكة الدكن البهمنية التي استمر حكمها من سنة ٧٤٨هـ الموافق ١٣٤٧م إلى سنة ٩٣٤هـ الموافق ١٥٢٧م، كما جاء ذكر ملوكها وآثارها بشكلٍ تفصيلي.

الفصل السادس:
الإمبراطورية المغولية في الهند
[٩٣٢هـ الموافق ١٥٢٦م إلى ١٢٧٣هـ الموافق ١٨٥٧م]

أسهب الشيخ عبد المنعم النمر في الحديث عن الدولة المغولية في الهند، مشيدًا بمجدها ومفاخرها ورجالها ومآثرها، فهو يقف في كتابه موقف تأمل وتدبر، كما يقف موقف دهشة وتحير، ولم يكن من السهل علي أن ألخصها تلخيصًا يعطي صورةً متكاملةً عن الدولة ورجالها وخدماتها، فاخترت الإيجاز الشديد، وذاك بالتالي:

المبحث الأول: ظهير الدين مُحَمَّد بابر شاه (مدة ا لحكم: ٣٠ أبريل ١٥٢٦م- ٢٦ ديسمبر ١٥٣٠م)

وهو محمد بابر بن عمر الشيخ ملك فرغانة بن أبي سعيد بن ميران شاه ابن تيمور، وأمه كذلك من أسرة جنكيز خان، فهو من جهة الأب والأم ينتسب إلى جنكيز خان[1]، ولد بابر في المحرم سنة ٨٨٨هـ الموافق ١٤٨٣م، وقد نشأ في بيت الملك، وحرص أبوه على تثقيفه، فتعلم العلوم المختلفة والفنون الحربية، وتوفي أبوه وهو صغير، فجلس على العرش، وسنه اثنا عشر عامًا سنة ٨٩٩هـ - ١٤٩٤م، وقد لقي كثيرًا من الشدائد منذ صغره، فبعد أن ضم إليه مملكة ما وراء النهر فقد ملكه، وسار إلى أفغانستان منهزمًا أمام ملك بخارى، ثم استطاع أن يوطد أقدامه في كابل بعد ذلك، ويؤسس مملكةً سنة ٩١٠هـ - ١٥٠٤م، وأخذ

(١) عبد المنعم النمبر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٧٥.

يوسع مملكته ويقوي حكمه؛ حتى استنجد به اللودي حاكم لاهور، ضد ابن عمه إبراهيم اللودي حاكم دلهي، فانتهزها فرصةً باعتباره أحد أحفاد تيمور أيضًا، فسار إلى الهند بجيش عظيم مزوَّد بالمدافع الحديثة التي لم يكن لحاكم دلهي بها سابقة عهد، والتقى الجيشان في باني بت، ودارت الدائرة على إبراهيم اللودي فَقُتِلَ وقتل كثير من جيشه وفرَّ الباقون، ودخل بابر دلهي ظافرًا؛ حيث نودي به ملكًا على الهند في يوم الجمعة ١٥من رجب ٩٣٢هـ – إبريل ١٥٢٦م[١].

ومن مآثره الغر انتصاراته المتوالية على ملوك الهندوس، وقمع المقاومات بقلبٍ ثابتٍ وتنظيمٍ دقيقٍ، والإصلاحات الداخلية المتمثلة في تمهيد الطرق للمسافرين والإكثار من حفر الترع، وغرس الأشجار والبساتين، وتنظيم الضرائب وتسهيلها على الشعب وإقامة محلات للبريد على الطريق من آغره إلى كابل، توفي هذا الملك العظيم في جمادى الأولى سنة ٩٣٧ه – الموافق ١٥٣٠م، وهو في السابعة والعشرين من عمره، ودفن في كابل[٢].

المبحث الثاني: همايون شاه بن بابر شاه [الفترة الأولى: ٢٦ ديسمبر ١٥٣٠م– ١٧ مايو ١٥٤٠م، الفترة الثانية: ٢٢ فبراير ١٥٥٥م.– ٢٧ يناير ١٥٥٦م].

كان همايون الملك المغولي الثاني لدولة المغول في كابل والهند، وقد تربى تربيةً حربيةً وسياسيةً بشكلٍ جيدٍ، وكان من كبار قواد أبيه، ولما

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٧٧

(٢) انر: المصدر السابق، ص١٧٧

مرض أبوه واشتد عليه المرض عهد له بالملك فجلس همايون على عرش دلهي؛ ولكن توالت عليه المصائب، حيث خذله أخواه وعاونَا الأعداء عليه، وانقسم المسلمون في الهند إلى فئتين: فئة الأفغان التي يقودها شيرخان، وفئة المغول التي يقودها همايون، فانشغل همايون بقمع الثورات والفتن؛ مما أحنى ظهره وأنهك قوته؛ حتى فاجأه شيرخان حاكم بيهار بمعركةٍ داميةٍ قرب كنكا، فانتصر شيرخان على همايون وغرق كثير من جنوده في نهر كنكا، وكاد هو أيضا أن يغرق فيه لولا أن أنقذه أحد السقائين الذي أعطاه قربته، عبر عليها النهر، ثم تلاقى الجيشان في مدينة قنوج؛ ولكن همايون أصيب بهزيمةٍ منكرةٍ، ونجا بنفسه إلى كابل ثم من هناك إلى ملك إيران طهماسب شاه الصفوي الذي أكرمه وأحسن وفادته. وعاد شيرخان ملكًا على دلهي باسم شير شاه السوري، فنترك الحديث عن همايون ونعود إليه عند ما عاد همايون إلى الهند، ونبدأ الكلام عن شيرشاه السوري تمشيًا مع الشيخ عبد المنعم النمر[١].

المبحث الثالث: شير شاه السوري [فترة الحكم: ١٥٤٠م- ١٥٤٥م]

اختصر الشيخ عبد المنعم النمر حياة وقصة شيرشاه السوري فقال: "صبي عادي فر من اضطهاد زوجة أبيه، فكان إمبراطورًا للهند كلها"[٢].

وقصته باختصار أن جده جاء إلى الهند من أفغانستان كرجل عادي لا شأن له، ثم كان أبوه حسن واليًا على خواص بور وشهرام من قبل الحكم اللودي، وتزوج أبوه زوجةً جديدةً، تكره شيرشاه غاية

---

(١) انظر: المصدر السابق،ص١٨٣-١٨٤.

(٢) المصدر السابق،ص١٨٤.

الكراهية، ففر إلى جونفور، ثم من هناك إلى إبراهيم اللودي بآكره، فعرف مكانته في الرجولة والشهامة، ولما مات أبوه جعله واليًا مكان أبيه، فأحسن الإدارة وأراح الزارعين والفلاحين، ولما صار بابر ملكًا على الهند، تقرب إلى والي بهار محمد خان، وخدمه بإخلاص؛ حتى أن أحد الأسود هجم على الوالي، وكاد يفتك به، فاندفع شيرشاه إلى الأسد وضربه ضربةً قاضيةً، فسماه الوالي شيرخان، ومن هنا اشتهر بشير شاه السوري، ثم فسدت العلاقة بينه وبين والي بهار، ففر إلى جونفور، وأراد التقرب إلى بابر، فأكرمه؛ ولكن بابر توجَّس منه خيفةً، فتركه وعاد إلى والي بهار الذي عفا عنه، ولما توفي محمد خان تولى الامر من بعده جلال خان القاصر، فكان شيرخان صاحبنا هو الحاكم الفعلي للبلاد؛ حتى فر جلال خان إلى بنغال تاركًا له بهار، فعظم فيها أمره وأخذ يوسع ملكه.

ولما توفي بابر سنة ١٥٣٠م، وتولى همايون، وشغل بالفتوح وإطفاء الفتن، مما أتاح لشيرشاه أن يوطد ملكه على حساب ملك همايون، وحدثت تلك المعركة التي خسر فيها همايون ملكه. وقد سبق ذكره بإيجاز.

من محاسن شيرشاه السوري:

- تخفيف الضرائب وتحديد المقدار المأخوذ من الزراع والفلاحين.
- شدته على المحصلين الرسمين في إقامة العدل والإنصاف.
- توفير الأمن للشعب في الرحلات والتنقلات.
- تقسيم المملكة إلى مديريات، وتعيين حاكمٍ قديرٍ قويٍّ لكل مديرية، وتحديد اختصاصاته.
- من عظيم أعماله أنه قام بتعبيد الطرق وغرس الأشجار المثمرة والمظلة على جوانبها، وبناء أماكن متقاربة على طول الطريق لينزل

فيها المسافرون فيجدوا ما يريدونه من راحة وطعام وأمن، وتمكن بذلك من تنظيم البريد ووصوله بسرعة بين أطراف المملكة، وكل ذلك بشكل نادر وتنظيم يدعو إلى الدهشة والاستغراب.

- تخصيص سفينتين كبيرتين لنقل الحجاج كل عام، من غير أن يدفعوا نظير ذلك شيئًا.
- إعادة بناء "باتلي بترا" التي أسسها أشوكا، وهي بتنا عاصمة ولاية بيهار الآن.
- نقل مدينة دلهي على شاطئ جمنا لما تعانيه من قلة الماء.
- وضع النظام الدقيق للجيش، واتخاذ إجراءاتٍ حاسمةٍ، من شأنها توطيد أمر الجيش وتوفير الأمن للبلاد.

وكتب الدكتور فيه ناقلًا عن مجلة ثقافة الهند: "كان الناس في غاية الطمأنينة في عهده، حتى كان المسافرون يتركون أمتعتهم في فناء البيت دون مراقبة، وينامون نومًا هادئًا لا يزعجهم خوف، وكان الأمن كذلك يسود القرى والفلوات القفر، فكان الرحالون ينصبون خيامهم متى شاءوا، ويتركون متاعهم ودوابهم ويغرقون في نوم عميق.

"وكان لهذا الامبراطور ميزة كبرى لم نرها في غيره، وهي عطفه على الضعفاء حيث خصص للشيوخ والمرضى والعميان والعجزة المقعدين رواتب تقوم بنفقاتهم من المطعم والملبس، يأخذونها من خزانة بلدهم لافرق بين مسلم وغير مسلم"(١).

---

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١٩٢.

كان شيرشاه يتأسف لأنه جاء إلى الحكم وهو كبير السن، وكان يخشى أن يعاجله الموت قبل أن يحقق مايريد للهند، وقد وقع سريعًا ماكان يخشاه، فتوفي في ربيع الأول سنة ٩٥٢هـ - ١٥٤٥م.

إن الحديث عن شير شاه السوري حديث شيق ماتع، وحفل التاريخ بمآثره الغر النبيلة، يقف أمامها المؤرخون حيارى مشدوهين.

خلفاء شيرشاه السوري:

خلَّف شيرشاه ابنين، هما عادل خان وهو ولي عهده، وجلال خان الصغير وكان معروفًا باسم إسلام خان، بعد وفاة شيرشاه جعل الأمراء جلال خان الصغير ملك الهند، وقد اعترف به أخوه عادل خان، فتولى جلال أمر الدولة بسياسةٍ حسنةٍ باسم سليم شاه، وسار مسير أبيه في إراحة الشعب وتنظيم الأمور؛ لكنه سرعان ما تغير الأمر بينه وبين أخيه، وقامت الحرب بينهما؛ لكن سليم تغلب على الفتنة، وتوفي في ٩٦١هـ - ١٥٥٤م.

وبعد وفاة سليم شاه تولى ابنه فيروز، وكان صغيرًا، فطمع خاله مبارز خان في الملك، فقتله بعد ثلاثة أيام، وتولى هو الملك باسم محمد عادل شاه، وكان مِتلافًا سيئ الخلق، وجعل رجلًا هندوسيًّا اسمه هيمو وزيرًا له، وكان في أحط درجات الإنسان، مما جعل الأمراء والشرفاء في الدولة ناقمين عليه، وخرج هيمو إلى بنغال لإخضاع ثورة، فانتهز هذه الفرصة أحد أقربائه، وهو إبراهيم سوري، وقبض على دلهي وآغرا، وفر عادل منهزمًا نحو الشرق، وهذا ما أثار طمع حاكم لاهور إسكندر سوري في الملك، فزحف إلى دلهي وآغرا، والتقى بجيش إبراهيم وانتصر عليه، وجلس على العرش،

وكان همايون يتابع ما يجري في الهند، ويستعد لإعادة ملكه، فزحف إليها بجيش عدده خمسة عشر ألف محارب، والتقى مع جيش إسكندر شاه، وأعاد التاريخ ذكرى موقعة بابر مع إبراهيم اللودي، وتم النصر لهمايون، ودخل دلهي وآغرا، واستعاد بذلك ملكه المفقود سنة ٩٦٢هـ - ١٥٥٥م.

عودة همايون شاه [سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م- ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م]:

قد مر أن همايون لما فر بنفسه لم يجد مأوى يأوي إليه، إلا عند طهماسب شاه الصفوي ملك إيران، ومكث هناك خمسة عشر عامًا، يفكر في استرداد ملكه، ويراقب أحوال أفغانستان حيث كان يحكمها إخوته هناك، كما كان يتابع بدقة وعناية الأوضاع الجارية في الهند، وكانت الهند مشغولةً بالحروب الداخلية بين خلفاء شيرشاه سوري الذين نسوا أن هناك عدوًا قويًا يتربص لهم، فطمع همايون أن يأخذ ملك إخوته أولًا، فاستعان بطهماسب شاه فأعانه بجيش صغير، زحف على قندهار، وكانت في حكم أخيه ميرزا كامران، فأخذها، وبعد سبع سنوات استطاع أن يستولي على كابل ويقبض على أخويه كامران وعسكري؛ ولكنه عفا عنهما.

ثم أراد أن يتوجه إلى الهند، فهجم أولًا على البنجاب بخمسة عشر ألف مقاتل، واستولى عليها وعلى لاهور، وهزم جيش أمير خان، ثم تابع سيره إلى دلهي، فالتقى بجيش اسكندر شاه سوري المكون من ثمانين ألف مقاتل وبضع مئات من الفيلة؛ ولكن همايون انتصر على هذا الجيش اللجب، واستعاد ملكه المفقود سنة ٩٦٢هـ - ١٥٥٥م.

ثم أراد همايون أن يدبر الدولة من جديد؛ لكن القدر لم يمهله طويلًا، فكأنه أراد له القدر أن يسترجع الملك الذي تسلمه من أبيه ليسلمه إلى ابنه من بعده. توفي في ربيع الأول ٩٦٣هـ الموافق ١٥٥٦م.

المبحث الرابع: جلال الدين مُحَمَّد أكبر [فترة ١ كم: ٢٧ يناير ١٥٥٦م – ٢٧ أكتوبر ١٦٠٥م]

قد تحدث الشيخ عبد المنعم النمر بإسهابٍ وتركيزٍ عن حياة وسياسة الملك المغولي العظيم جلال الدين محمد أكبر، محللا أقوال المؤرخين فيه سلبًا وإيجابا، ومشيدًا بسياسة أكبر فيما يتعلق بإقامة العدل وإرضاء الشعب، وناقدًا له على اتجاهاته الخرقاء فيما يتعلق بالدين الإسلامي ورجاله وأنصاره، فإني أذكر سيرته بإيجازٍ:

لما مات همايون وُلِّيَ الملك ابنُه أكبر شاه في الثالثة عشرة من عمره، وأجلسه على السرير بيرم خان خانخانان أحد كبار الأمراء، وأخذ عنان السلطنة بيده، وقام بإصلاح الأوضاع السياسية في البلاد وقمع الثورات والفتن التي تهدد الدولة المغولية في الهند؛ حتى عادت الهند آمنةً مطمئنةً، فلما صار أكبر مجرَّبًا محنكًا في الشؤون السياسية خرج من حضانته، وتولى الأمر بيده.

وكان أكبر –كما قال الشيخ عبد الحي الحسني- رحيمًا، لطيف المعاشرة، شجاعًا مقدامًا، وهو الذي دانت له البلاد وهو أول من أظهر بالهند هيبة الملك بسلوكه[(١)]، وأسس قواعد غير مسبوقة ثابتة للسياسة والتنظيم.

توفي سنة ١٠١٤هـ بعد حكم دام خمسين سنة.

من أعماله:

- إخضاع الفتن والثورات بقلبٍ ثابتٍ جريءٍ، وتأسيس دولةٍ قويةٍ واسعة الأطراف، تشمل كلا من ولايات كابل وقندهار والسند وملتان ولاهور

---

(١) انظر: عبد الحي الحسني، **الهند في العهد الإسلامي**، ص١٨٧.

وكشمير ودلهي وآغره وأجمير وإله آباد وأوده وبهار وبنغال وأوريسه على ساحل الخليج، ومالوا وغجرات وخانديس وبرار وأحمد نكر.

- إقامة الحكم على أساسٍ قوميٍ لا تفريق فيه بين جنس وجنس، وأهل دين ودين مضحيًا فيها بكل شيء حتى ببعض أوامر الدين.
- الاعتماد على الهندوس في شؤون السياسة وتوليتهم على الولايات والمناصب الحساسة.
- عقد المصاهرات بين الأسرة المغولية وبين الأسر البراهمية الحاكمة في كثيرٍ من الولايات الهندية، وقد بدأ بنفسه فتزوج بنت راجا جيبور بهارمل سنة ١٥٦٢م، فولدت له سليم الملقب بجهانكير.
- إزالة الفوارق بين المسلمين والهندوس في دفع الضرائب؛ بل رفعها عن الهندوس لدى زيارتهم لأماكنهم المقدسة.
- منع الزواج قبل سن الرشد، وإباحة الزواج للأرامل الهندوسيات، وفرض الحظر على إحراق النساء لدى موت أزواجهن.
- إنشاء مدينة فتح بور سيكري قرب مدينة آغره.
- الإساءة إلى الدين الإسلامي ورجاله، فكان في أول أمره ميالًا إلى الصلاح ومحترمًا للصوفية والعلماء؛ حتى كان يذهب إلى الشيخ عبد النبي الكنكوهي لاستماع الحديث، ثم تحول إلى رجلٍ ملأه الكبر والغرور، وسوَّل له شياطين الإنس كأمثال القاضي مبارك الناغوري وابنيه: أبي الفيض فيضي وأبي الفضل التحرر من قيود الشريعة، فحارب علماء الإسلام، وأنكر الوحي والجن والملائكة والحشر والنشر وسائر المغيبات

والمعجزات، وجوز التناسخ وحرم ذبح البقرة، وأحل الخمر والميسر والمحرمات الأخر.

- تأسيس الدين الإلهي: وهو مجموعة من الرسوم والتقاليد، معظمها مأخوذ من الهندوسية، وبعضها من المجوسية، كتعظيم النار وإيقادها والاحتفال بيوم النيروز، الحاصل أنه قد ترك الإسلام وأصبح تائهًا شريدًا بين الأديان، لايستقر على دين. فهو مختلط العقل بالإلهيات، والجنون – كما قيل– فنون(١).

المبحث الخامس: جهانكير بن أكبر [فترة ١ كم: ١٥ أكتوبر ١٦٠٥م – ٨ نوفمبر ١٦٢٧م]

نقل الشيخ عبد المنعم النمر من يوميات جهانكير التي كتبها بخطه ما يحكي قصة ولايته واعتلائه على عرش الحكم، فقال: "بفضل الله وعونه جلست على عرش الملك في دار الخلافة آغره يوم الخميس الثاني من جمادى الأخيرة سنة ١٠١٤هـ الموافق ١٧ أكتوبر سنة ١٦٠٥م، وأنا في الثامن والثلاثين من عمري"(٢).

وعند ماورث جهانكير الملك من أبيه، ورث ملكًا واسعًا ثابت الدعائم، موطد الأركان، ومع ذلك لم يخل من بعض المتاعب؛ حيث خرج عليه ابنه خسرو في البنجاب ورانا سنغ الراجبوتي في أودي بور وما إليها من الثورات والفتن؛ لكنه استطاع جهانكير بقوة جأشه وحسن سياسته التغلب على جميع الثورات، تزوج بنورجهان بيكم، وكانت عشيقته، فخطبها بعد ما قتل زوجها

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٢١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٨.

شير أفكن خان، فأبت ثم رضيت فتزوجها، وألقى بيدها زمام السلطة، وتصرفت فيها تصرفا أخرق، وألقت أبناء الملك في حروب ونزاعات، سببت ضعف الدولة، وقد فصل الشيخ عبد المنعم النمر هذه الأحداث والوقائع تفصيلًا لائقًا، أتركها توخيًا للإيجاز، مع أن نورجهان كانت من خيرة النساء حسنًا وجمالًا وعقلًا، واخترعت أمورا كثيرة في الزي واللباس والحلي والعطور. توفي جهانكير سنة ١٠٣٧هـ الموافق ١٦٢٧م، ودفن في لاهور.

من مآثره:

- إبطال الدين الإلهي، ورسومه وتقاليده، مما أثلج صدور المسلمين.
- كتابة يومياته باسم "توزك جهانكيري"، يدون فيها حوادثه وخواطره، وهي من أهم المراجع لمعرفة اتجاهات الملك ونفسيته.
- النهي عن أخذ الجباية على الشوارع والأنهار باسم "تمغه" و مير بحري، وذلك لضعف وفقر الناس.

المبحث السادس: شاهجهان بن جهانكير [فترة الحكم: ٣٠ ديسمبر ١٦٢٧م– ٨ مارس ١٦٥٨م]

"لما مات جهانكير، أجلست نورجهان بيكم شهريار بن جهانكير على سرير الملك، ودبر آصف جاه الوزير لختنه خرم بن جهانكير الحيلة، فأعلن بولاية داور بخش بن خسرو بن جهانكير، فوقع الحرب بينهما؛ حتى دخل خرم اكبرآباد، وجلس على سرير الملك، وقتل إخوته وأقعد نور جهان بيكم ووظف لها، ولقب نفسه بشهاب الدين محمد شاه جهان صاحب القران الثاني"(١).

---

(١) عبد الحي الحسني، **الهند في العهد الإسلامي**، ص١٨٨.

كانت الهند عند تولية شاهجهان الحكم يعمها الرخاء والرفاهية، إلا أنه كانت هناك متاعب ومصاعب اعترضت طريق شاهجهان، وهي الثورات الثائرة في جنوب الهند وغيرها من أطراف الهند؛ لكنه استطاع أن يخمد الفتن ويوطد الدولة، كان كثير الإحسان إلى السادة وأهل العلم، قصده الناس من جميع البلدان، فغمرهم بإحسانه، وكان عصره أحسن العصور، وزمانه أنضر الأزمنة.

شاهجهان في آخر أيامه:

إن هذا الملك السعيد كان سيئ الحظ في أواخر أيامه، فقد أصيب بمرض أقعده عن مباشرة أمور الحكم سنة ١٠٦٨هـ الموافق ١٦٥٧م، وكان له أربعة أولاد: دارا شكوه ومراد وشجاع وأورنك زيب، وكان لكل منهم ولاية يحكمها، فلما مرض استدعى ابنه دارا شكوه بجانبه ليباشر شؤون الحكم، وكان أكبر أبنائه، فأخفى نبأ المرض عنهم، وأخذ يصرِّف أمور الدولة، فظن شجاع ومراد أن أباهما توفي، واتهما دارا شكوه بقتله، وأراد شجاع أن يذهب إلى آغره بجيشه لينتقم؛ لكن أورنك زيب نصحه بالتريث وأكد له أن أباه حي، واتفق الإخوة الثلاثة على إبعاد دارا شكوه، والحيلولة بينه وبين الملك بحجة أنه يقوض عرش المغول، ولما أفاق شاهجهان من مرضه، ووقف على ثورة أبنائه على دارا شكوه، غضب عليهم وأرسل إليهم ينصحهم بالهدوء والخضوع، وكان دارا شكوه مغترا بقوته، فأراد قتال الجميع، وأرسل ابنه سلمان ليقاتل جيش شجاع، فقد التقى جيشه بجيشه عند بنارس، وانهزم شجاع وفر إلى بنغال، أما أورنك زيب ومراد فقد تلاقى جيشهما وجيش دارا شكوه في جنوب شرق آكرا على بعد ٣٠ ميلا، وانتهت

المعركة بانتصار أورنغ زيب، وفر دارا إلى دلهي، وكان شاهجهان يريد تولية دارا شكوه، فقبض أورنغ زيب على أبيه واعتقله في القلعة، وأحاطه بكل أنواع التكريم، وقد قضى الملك شاهجهان في هذا الاعتقال نحو ثماني سنوات حتى توفي سنة ١٩٧٨هـ – ١٦٦٦م.

من آثاره:

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "شاهجهان عملاق في التاريخ، وسيظل عملاقا؛ لا بحروبه وانتصاراته؛ ولكن بآثاره الفنية الرائعة التي ظلت وستظل عنوان صدق على الرقي الذوقي والفني والازدهار المالي في عهده، مما لم تره الهند من قبله ولا من بعده"[١].

- كان مولعا بالبناء والتعمير، فترك في هذه الناحية آثارا مدهشة للعقول حتى الآن، منها: القلعة المعلاة بدلهي، والجامع المسجد بدلهي، وتاج محل في مدينة آغره إحدى عجائب الدنيا، ومسجد اللؤلؤ في القلعة الحمراء بدلهي، وأبنية فاخرة في المدن المختلفة.
- المحافظة على تعاليم الإسلام، فقد ألغى عادة تقبيل الأرض أمام السلطان تحية له، وكانت هذه التحية المعتادة للملوك.

المبحث السابع: أورنك زيب عالمكير [فترة ١ كم: ٣١ يوليو ١٦٥٨م– ٣ مارس ١٧٠٧م]

هو أبو المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب الإمبراطور المغولي المسلم، الذي يعتبره المسلمون المثل الطيب للحاكم المسلم الزاهد المتمسك

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٢٤٨.

بالشريعة وآدابها، وُلد في إحدى ضواحي كجرات سنة ١٠٢٨هـ – الموافق ١٦١٩م، وأمه أرجمند بانو المشهورة باسم ممتاز محل.

وُلد في عهد جده جهانكير وتربى تربيةً دينيةً على يد كبار العلماء؛ حتى أصبح متبحرًا في العلوم الدينية، متعبدًا على نسق الصوفيين، برغم اشتغاله بأمور الملك.

حكم عالمكير نيفًا وخمسين سنةً لم تخل من المتاعب والحروب؛ بل كانت سلسلة متتابعة من الحروب هنا وهناك؛ ولكنه استطاع بشدة شكيمته وقوة جأشه أن يرد المحن ويتغلب على الفتن، ويقوي دولة المغول، توفي الملك أورنك زيب في ٢٨من ذي القعدة سنة ١١١٨هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٧٠٧م، ودفن في أورنغ أباد.

من أعماله ومآثره:

- محاولته أن يجعل من بلاد الهند وحدةً إسلاميةً، فتخلى عن سياسة جده، وفرض الجزية على غير المسلمين، وهذا لا يعنى أنه كان متعصبًا؛ بل كان يريد دولةً إسلاميةً لحمًا ودمًا، تتبع التعاليم الإسلامية في العدالة والمساواة دون تعصب يضر بمصلحة غير المسلمين.
- تنظيماته المالية والاقتصادية فيما يختص بالخراج والضرائب هادفا منها إلى تحقيق العدالة والرحمة.
- تعيين نائب له في كل ولايةٍ معلنًا: من كان له حق على السلطان فليرفعه إلى النائب، وأمر النائب أن يؤدي كل ما يثبت على السلطان من حقوق.
- إبطال عادة تقديم الهدايا للملوك كما كان يفعل من قبل، لا سيما من الأمراء وحكام الولايات.

- إلغاء كل المظاهر المنافية للإسلام.
- ازدهارٌ عظيمٌ للتعليم، فكان هو محبًا للعلم والعلماء.
- تدوين الأحكام الشرعية للعمل بها، فقد شكَّل لجنة من العلماء لتدوين الفقه الإسلامي، ففعلوا وجاء الكتاب الشهير باسم الفتاوى الهندية أو الفتاوي العالمكيرية.

المبحث الثامن: خلفاء أورنكزيب عالمكير

"كان عهد أورنك زيب هو القمة التي ارتقى إليها سلطان المغول في الهند، وكانت قمة شاهقة تحتاج إلى كثير من قوة الأعصاب وضبط النفس؛ لكي يظل ذلك السلطان محتفظًا بتوازنه فوقها؛ لكنه للأسف لم يجد ما يحتاج إليه فهوى، وأخذ يتدحرج في طريقه إلى الهاوية"(١).

بهذه الكلمات بدأ الشيخ عبد المنعم النمر حديثه عن خلفاء أورنك زيب؛ ولا شك أن خلفاء أورنك زيب لم يتمكنوا من النهوض بالأعباء الجسيمة، وفقدوا الشعور بما يحيط بهم من فتن ومحن وعدو يتربص بهم الدوائر، وعادت الدولة تنحدر من ضعف إلى ضعف أشد منه؛ حتى قُضي عليها نهائيا سنة ١٢٧٤هـ الموافق ١٨٥٧م، ولنمض في بعض تفاصيل تلك الفترة، وهي كما يلي:

شاه عالم بهادر شاه الأول [فترة الحكم: ١٩ يونيو ١٧٠٧م– ٢٧ فبراير ١٧١٢م]:

لما مات عالمكير وَلي الملكَ ابنُه محمد معظم، وكان وليًا للعهد من قبل أبيه، ولقب نفسه بشاه عالم بهادر شاه، فوقع الخلاف بينه وبين

---

(١) المصدر السابق،ص٢٨٩

إخوته محمد أعظم وكام بخش، فقامت معركة انتهت بانتصار بهادر شاه وقتل الأخوين.

ومن الأخطاء الفادحة للسلطان بهادر شاه أنه قرر أحد قواده الشيعة أمير الأمراء بمثابة رئيس الوزراء، وهو منعم خان، فبدأ بصبغ البلاد بصبغة شيعية، ومن محاسنه أن أخمد ثورة السيخ بحكمة وتدبير.

وعلى كل فكان هذا الملك عادلًا رحيمًا، إلا أنه سيئ التدبير والسياسة، شيعيًا في المذهب، غلب في عهده شأن المرهتة(Marathas)(١)، فاستولى على أكثر بلاد المسلمين، وسلم له بهادر شاه ربع الخراج في بلاد دكن، وهو أول وهن ظهر منه، فأدى إلى زوال شوكته، ثم انقراض ملكه من أولاده، وتوفي سنة ١١٢٤هـ الموافق ١٧١٢م.

جهان داربن بهادر شاه و فرخ سير بن عظيم الشان

[فترة الحكم لجهان دار: ٢٧ فبراير ١٧١٢م- ١١ يناير ١٧١٣م]

[فترة الحكم لفرخ سير: ٢٨ فبراير ١٧١٣م- ١١ يناير ١٧١٩م]

لما مات بهادر شاه ولي ابنه معز الدين، ولقب نفسه بـ جهاندارشاه، وقاتل إخوته، فقتل "عظيم الشان" و"رفيع القدر" و"جهان شاه"، وخرج عليه فرخ سير بن عظيم الشأن، وأعانه عبد الله خان وحسين علي خان من

(١) "المرهتة" قوم يسكنون غرب الهند وجنوبها في ولاية تسمى اليوم ولاية مهاراشترا وماجاورها من الولايات، وكانوا ثوارا، خرجوا على الدولة المغولية في القرن السابع عشر، ودبروا الحيل والإغارات على المناطق المغولية، ينطقون باللغة المراتهية، وكان لهم إسهام في القضاء على الدولة المغولية في الهند، ولهم قبائل عديدة، ومن أهم أمرائهم الأمير شيفاجي، والأمير بيشوا بالاجي باجي راؤ وغيرهما، وقد كسر شوكتهم أحمد شاه الأبدالي.

الأمراء الكبار، فانهزم معز الدين، وولي الملك فرخ سير بن عظيم الشان سنة ١١٢٤هـ، وكان أمر الملك بيد عبد الله خان وحسين علي خان، فشق على فرخ سير، فخلعا فرخ سير سنة ١١٣١هـ.

رفيع الدرجات بن رفيع القدر[فترة الحكم: ٢٨ فبراير ١٧١٩م- ٦ يونيو ١٧١٩م]

ما إن خلع فرخ سير حتى اتفقا(عبد الله خان وحسين علي خان) على رفيع الدرجات بن رفيع القدر بن بهادر شاه، وأخرجاه من المحبس، وأجلساه على سرير الملك، وكان مشلولًا، مات بعد أربعة أشهر، ولم يكن له من السلطة غير اسمها.

رفيع الدولة بن رفيع القدر[فترة الحكم: ٦ يونيو ١٧١٩م- ١٩ سبتمبر ١٧١٩م]

لما مات رفيع الدرجات أخرج عبد الله خان وحسين علي خان صنوه رفيع الدولة، فمات بالإسهال في زمن يسير، وكانت له من السلطة اسمها.

مُحَمَّد شاه بن جهان شاه[فترة الحكم: ٢٧ سبتمبر ١٧١٩م- ٢٦ أبريل ١٧٤٨م]:

لما مات رفيع الدولة اتفقا على محمد شاه بن جهان شاه، وأجلساه على سرير الملك، ووقع الخلاف بينه وبين الأخوين المذكورين، فنشأت حرب قتلا فيها، فاستقل محمد شاه بالملك، وانصرف إلى اللهو واللعب، والرقص والغناء، واشتهر ذكره في هذه الناحية في البلدان المجاورة، وكانت السلطة

بيد السادات، يتصرفون في الملك كيفما يشاءون؛ ولكن تم القضاء على نفوذ السادات بحكمة "قدسية بيكم" زوجة الملك محمد شاه بمساعدة نظام الملك، وكان أمر الدولة يتأرجح بين قوة وضعف؛ حتى داهم البلاد غزو نادر شاه ملك إيران للهند. كما يأتي ذكره[(١)].

المبحث التاسع: غزو نادر شاه للهند

يُعتبر نادر شاه ملك إيران مجددَ شباب الدولة الإيرانية بعد مارُزحت كثيرا تحت حكم الأفغان، فقد استطاع أن يرجع الحكم إلى أبناء إيران، وأن يزحف على ما جاورها من البلدان في العراق وأفغانستان وغيرهما ويضمها إلى إيران.

ولما رأى نادر شاه الملك الطماح ضعفَ الحكم الإسلامي في الهند واختلاف رجال الحكم راودته نفسُه في التغلب عليها، وضمِّها إلى دولتها، فبدأ بالهجوم على كابل وقندهار، فضمهما إلى ملكه، ثم تابع هجومه على الهند الشمالية؛ حتى وصل إلى لاهور وقبض عليها وعلى البنجاب، وظلت دلهي تغط في نوم عميق حتى صار على بعد ١٢٥ميلا منها، حيث أعد محمد شاه جيشًا سار نحو الشمال، ولم يكن الجيش المغولي قويًا، يدفع القوة بالقوة، فحاول بعض رجال الصلاح والتدبير أن يطفئوا نار الحرب، فرضي محمد شاه أن يدخل جنود نادر شاه دلهي، فعاثوا فيها الفساد حتى تركوا دلهي أثرًا تنعى، نهبوا وقتلوا ودمروا، وشهدت دلهي من البأساء ما لم تشهده من قبل، وبعد أخذ ما بالهند من أموال طائلة

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٣٠٥- ٣٠٧.

تتمثل في اللآلئ الثمينة والجواهر النفيسة وعرش الطاؤوس عاد نادر شاه إلى إيران، وترك الحكومة والدولة جثةً هامدةً لا حراك بها(١).

أحمد شاه الدراني الأبدالي الأمير الأفغاني [فترة الحكم: ١٧٤٧م-١٧٧٣م]

كانت الهند بعد غزو نادر جثة بلاروح، تفقد كل معنى من معاني الحياة، وفي هذه الأيام كانت سلطة المغول تتقاذفها أمواج الثورات ويتلاطمها الثائرون من كل جانب، فكان المراهتا والسيخ من جانب يريدون الانقضاض على الدولة، ومن جانب آخر كان أحمد شاه الأبدالي وهو رجل أفغاني، وكان أبوه في جنود نادر شاه، فقتل، فقام بأخذ الثأر من الهنود، فاستولى أولًا على لاهور، ثم على دلهي، وسلب من خزينة الدولة ما أعجبه وراق، ثم أراد الرجوع إلى أفغانستان، وعند العودة طلب منه عالمكير الثاني أن يساعده في تثبيت دولته ضد الثائرين عليه، فاستجاب له، وأبقى جزءًا من جيشه في دلهي بقيادة نجيب الدولة.

وفي هذه الأيام استفحل أمر الإنجليز الذين استولوا على البنغال كلها، كما أن أحد القواد الثائرين على الدولة غازي الدين استعان بالمراهتا الناقمين على الحكم الإسلامي في الهند، فكانوا خطرًا عظيمًا على الدولة، واستولوا أولًا على دلهي وفر نجيب الدولة مع ولي العهد شاه عالم الثاني إلى الشرق، ثم سيطر المراهتا على أكثر أجزاء الهند، وأرادوا إزالة الحكم الإسلامي من الدولة كلها، ولما سمع بذلك أحمد شاه الأبدالي جهز جيشه وسار إلى الهند ثانيًا، وحين علم غازي الدين بتحرك أحمد شاه

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٠٧-٣٠٨.

اتهم عالمكير الثاني بالتواطؤ مع أحمد شاه ونائبه، فقتله سنة ١١٧٣هـ الموافق سنة ١٧٥٩م.

وحدثت بين الأبدالي والمراهتا عدة معارك، انتصر فيها الأبدالي، وانهزم المراهتا شر هزيمة، فعادت روح جديدة للحكم الإسلامي في الهند.

شاه عالم الثاني [فترة ا كم: ٢٤ ديسمبر ١٧٥٩م– ١٩ نوفمبر ١٨٠٦م]

ولما انتصر الأبدالي نادى بشاه عالم الثاني سلطانًا على دلهي، وظل بعيدًا عن دلهي؛ حتى أعاده المراهتا إلى دلهي، وكان المراهتا هم الذين يديرون الأمر، ثم مالبث أن جعل الإنجليز شاه عالم الثاني تحت حمايتهم، ودفعوا له مرتبًا شهريًا، قيمته تسعون ألف روبية، على أن يتولوا إدارة شؤون البلاد نيابةً عنه، وكان ذلك في سنة ١٢١٩هـ الموافق ١٨٠٤م، ولم يمكث طويلًا حتى مات ١٩ نوفمبر ١٨٠٦م عن عمر يناهز٧٨ سنة.

مُحَمَّد أكبر الثاني [فترة ا كم: ١٩ نوفمبر ١٨٠٦م– ٢٨ سبتمبر ١٨٣٧م]

وتولى الملك من بعده ابنه محمد أكبر وعاش كوالده في كفالة الإنجليز الذين قد بلغوا من السيطرة الغاية؛ حتى شمل نفوذهم الهند كلها تقريبًا، ومكث مدةً طويلةً في الحكم حتى توفي سنة ١٢٥٣هـ الموافق ١٨٣٧م.

بهادر شاه ظفر [فترة ا كم: ١٢ سبتمبر ١٨٣٧م– ١٤ سبتمبر ١٨٥٧م]

وتولى بعده ابنه سراج الدين أبو ظفر بهادر شاه، وعين له الإنجليز مرتبًا سنويًا، قدره مليون ومائتا ألف روبية، وقد أعلن الإنجليز

أن بهادر "شاه ظفر" آخر ملك يسكن القلعة الحمراء، وهذا يعنى القضاء على دولة المغول، كما أن الهنود تبرموا من مظالم الإنجليز وضجوا من سوء قضاياهم؛ حتى استعد الأحرار من الهنود للثورة على الإنجليز بالقيادة الرسمية للملك المغولي بهادر شاه، وقادوا معارك ثورية، مما جعل الإنجليز لا يقر لهم قرار، فحاولوا جهدهم في إفشال الثورة، وقد نجحوا في ذلك، فلم يكن من الإنجليز إلا أنهم قبضوا على بهادر شاه ظفر ونفوه إلى رانكون في بورما مع زوجته "زينت محل" وبعض أولاده، وظل هناك حتى مات، فكان آخر ملك مسلم تولى ملك الهند[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٣١٣-٣١٤.

الفصل السابع:
الغرب يتحرك نحو الهند

وبعد سرد الدول الإسلامية في الهند انتصاراتها وانكساراتها تحدث الشيخ عبد المنعم النمر عن الجهات الغربية التي أدت إلى القضاء على الدولة الإسلامية الكبيرة المتمثلة في الإمبراطورية المغولية العظمى، وهو كعادته لم يطرق الموضوع طرقًا هامشيًا؛ بل تناوله من صميمه واحتواه من جميع جوانبه، فذكر العلاقة التجارية القديمة بين الهند والغرب، وكيف زاد هذا الأمر في عهد الحكم الإسلامي، وذلك لتطور الاقتصاد وتقدم البلاد وازدياد حاجات العالم إلى تجارة الهند.

فذكر أدوارًا، تناول فيها كلًا من البرتغال وكيرال وهولندا وإنجلترا وشركة الهند الشرقية، فإن لكل من هؤلاء دورًا كبيرًا في تطوير الصناعة والتجارة الهندية، وبالتالي في إثارة الفتن والقلاقل وعرقلة المسير الحكومي.

وتمشيًا مع المؤلف أذكر هذه الأدوار باختصارٍ فيما يلي:

المبحث الأول: البرتغال

الأندلس الإسلامية كانت تحتوي على ما تشتمل عليه البرتغال (Portugal) وإسبانيا (Spain) اليوم، وكانت البرتغال هي التي قادت الحملة الصليبية ضد المسلمين، فطردت المسلمين من الأندلس، فنشأت لدى البرتغال حالة نفسية ذات كراهية شديدة للمسلمين، فكانت البرتغال تعتبر نفسها حامية العالم المسيحي ومنقذة الأندلس من المسلمين، كما كانت تعتبر من الواجب المقدس عليها أن تعمل للقضاء على نفوذ الإسلام في كل مكان.

وقد بدأ تحقيق هذا المخطط الخطير الأمير هنري ابن الملك يوحنا الذي تولى طرد العرب من الأندلس والذي اشتهر فيما بعد باسم "هنري الملاح"، كان هذا الأمير متشبعا بكراهة المسلمين، والرغبة في نشر المسيحية والقضاء على الإسلام، وكان رئيسا لطائفة تدعى "فرسان يسوع المسيح".

وفي ٢٠ مايو سنة ١٤٩٩م الموافق ٩٠٥هـ وصل فاسكو دي جاما(Vasco da Gama) بواسطة أحد الهنود إلى كالي كوت، وكانت في حكم الزامورين الهندوسي، وكان للعرب عنده مكان ملحوظ، فنبهوا الملك على هذا الخطر البرتغالي، فقبض عليه الملك، ثم أطلق سراحه لما أظهر نوايا تجارية حسنة، واشترى كثيرًا من الأشياء والسلع والأحجار الكريمة، وعاد لبلاده سنة ١٤٩٩م – ٩٠٥هـ.

بعد فاسكودي جاما خرج كبرال سنة ٩٠٦هـ الموافق ١٥٠٠م متجهًا إلى الهند، من الطريق الجديد على رأس أسطول مسلح بالمدافع، فدمر بعض سفن العرب كما دمروا له المركز التجاري البرتغالي فيها، واستمر كبرال على إفساده في الهند، وقد ترك أثرًا كبيرًا على سياسة مصر فيما يتعلق بالبحارة وسيطرتها على البحار، كما أن البرتغاليين استطاعوا بمساعدة الهندوس المراهتا وفي مملكة فيجانكر أن يستولوا على "كوا" سنة ١٥١٠م، وبذلك وطد نفوذ البرتغال في الشرق، وأصبح مرهوب الجانب صاحب نفوذ واسع، وظلت البرتغال في الهند حوالي قرن، أصابها في نهايته الانهيار، حيث استولى عليها الملك فيلب الثاني ملك أسبانيا وضمها إلى أملاكه[١].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٣٥-٣٣٩.

المبحث الثاني: هولندا

كان الهولنديون في ذلك الوقت أمة بحرية، يتولون نقل التجارة الهندية من الموانئ الإسبانية والبرتغالية إلى أوربا الشمالية، وكانوا تابعين للبرتغال؛ ولكنهم قاموا بثورة أدت إلى إعلان استقلالهم سنة ١٥٨١م، وتوغلا في تحقيق مقاصدهم استولوا على سيلان(سري لانكا)، ثم عقدوا معاهدة مع الزامورين ضد البرتغال سنة ١٠١٣هـ الموافق ١٦٠٤م، وأنشأوا مراكز تجارية في سورت وأحمدآباد وآغرا، ولم تتوسع هولندا كثيرًا في الهند، إذ لم تستطع منافسة الإنجليز، وفي سنة ١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٤م تنازلت عن أملاكها في الهند لإنجلترا مقابل استيلائهم على أملاكها في "سومطرة"[(١)].

المبحث الثالث: إنجلترا وشركة الهند الشرقية

كانت البرتغال هي التي تصدِّر البضائع والمنتوجات الشرقية إلى العالم الغربي كله، وكانت البلاد الشمالية الأوربية تشكو شكاية مرة ارتفاع أسعار التوابل التي تستوردها البرتغال وأسبانيا من الشرق، فكانوا يفكرون بجدية في طريق التخلص من هذه البلية، ثم اطلعوا على نفائس المنتوجات الشرقية المحمَّلة بسفن هولندا، فسال لعابهم، ونشأت فكرة تأليف شركة تجارية، فصدر المرسوم الملكي بإنشائها سنة ١٠٠٩هـ الموافق ١٦٠٠م.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٤٠-٣٤١.

بدأت الشركة ضعيفة في أول الأمر ككل مولود جديد، واعتمد الإنجليز على الحيلة والتودد إلى حكام الهند، وتقديم الهدايا المختلفة لهم، وكان الحكام متضايقين من البرتغال، فتقبلوا الإنجليز بقبول حسن، وتقرب الإنجليز إلى الملك جلال الدين محمد الأكبر، الذي كان يفتح بابه لكل طارق، وماكان أحد يظن أن هؤلاء الذين جاءوا يلتمسون الرزق ويقفون بباب الأمراء والحكام وأصحاب التجارات ينقلبون يوما من الأيام إلى سادة يتحكمون، فلم يكونوا في نظر الحكام إلا تجارا مرتزقين.

حصل رجال الشركة على السماح بإنشاء المراكز التجارية، التي يقوم بحراستها حراس وطنيون، ثم تدرجوا فجعلوا الحراس من أبناء جنسهم، وأخذوا يسلحونهم بحجة الحراسة، ومن هنا نبت الجيش الإنجليزي، ثم أراد رجال الشركة أن يعينوا ممثلًا لهم في بلاط الملك، فعين الملك "جيمس الأول" ممثلا له في بلاط الملك المغولي جهانكير، ثم تغير السفير وأصبح توماس رو (Thomas Roe) سفيرًا جديدًا، فتقرب إلى الملك واختلط بحاشيته، وحصل على السماح بمعافاة التجارة الإنجليزية من الضرائب، فاستطاع إنشاء محطات تجارية للشركة في سورت سنة ١٠٢١هـ الموافق ١٦١٢م، ثم في برهان بور وأجمير وآغرا بعد سنوات قليلة، وحصلت الشركة على إذن بإنشاء مركز تجاري في بنغال سنة ١٠٤٣هـ – ١٦٣٣م، وفي سنة ١٠٤٩هـ – ١٦٣٩م أقامت أول حصن لها في الهند، وهو حصن سنت جورج (Fort St.George) في مدراس، ومضت الشركة بدهائها في طريق تثبيت أقدامها وترسيخ جذورها

مستغلة كل وسيلة، وباذلة كل الجهد، فظهر الإنجليز في الهند بمظهر القوي النفوذ المتفوق على منافسيه(١).

المبحث الرابع: موقعة بلاسي ١١٧٠هـ – ١٧٥٧م

ولما رأى حاكم البنغال الأمير سراج الدولة أن الإنجليز أصبحوا لايكفون عن التدخل في شؤون الحكم، ففكر أن يوقف التدخل ويقضي على الشر قبل أن يستفحل، فهاجم حصن وليم(Fort William) في كلكتا، واستولى عليه من الإنجليز؛ ولكن الإنجليز سرعان ما استردوا الحصن من جديد، وعقدوا الصلح مع الأمير.

ولما قوي نفوذ الإنجليز اتصلوا ببعض الخونة في البلاط، وعلى رأسهم مير جعفر، نقضوا الصلح وهاجموا سراج الدولة بجيش عدته ثلاثة آلاف تقريبا، وجيش سراج الدولة مكون من ستين ألفا، وتلاقى الجيشان قرب بلاسي سنة ١١٧٠هـ – ١٧٥٧م، وكانت المعركة داميةً، وكادت تنتهي بانتصار سراج الدولة؛ ولكن خيانة مير جعفر ومن معه من الأنذال غيرت مجرى الحرب، وقلبها ظهرا لبطن، وقتل سراج الدولة في مرشدآباد.

كانت هذه المعركة مفتاح تحول في تاريخ الهند، فبدأ النفوذ الإنجليزي يسيطر على البنغال، وبالتالي على الولايات المجاورة كلها، وقد حاول مير قاسم أن يسترد النفوذ الوطني، ويطرد الإنجليز بمساعدة شاه عالم الذي ولاه أحمد نادر شاه ملك المغول وشجاع الدولة؛ ولكنهم هُزِمُوْا

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٣٤١-٣٤٧.

جميعا في موقعة بكسر سنة ١١٧٨هـ – ١٧٦٤م، واضطر شاه عالم أن يتنازل للإنجليز عن حق الإشراف المالي على البنغال وأريسة وبيهار، على أن يأخذ منهم مليونين و٦٠٠ألف روبية، وبذلك توطد نفوذ الإنجليز أكثر مما كان وأقاموا حكاما وطنيين، يتلاعبون بهم كما يريدون[1].

المبحث الخامس: تيبو سلـ ـان

بعد موقعة بلاسي من المناسب أن أذكر ما قام به حيدر علي وابنه تيبو سلطان من دورٍ مشكورٍ في صد الإنجليز ونفيهم عن البلاد، فقد خاض حيدر على - وكان حاكم ميسور- في عدة معارك مع الإنجليز، وأظهر بأسه الشديد لكنه لم يمهله القدر، فتوفي سنة ١١٩٦هـ – ١٧٨٢م.

ثم قام تيبو سلطان (Tipu Sultan) باتخاذ مواقف جريئة ضد الإنجليز والحكام الموالين لهم، وأبدى استبسالا منقطع القرين؛ مما جعل الإنجليز يحسبون له ألف حساب، ويستعدون للقضاء على هذا العدو القوي، حتى وقعت موقعة سرنكا بتنم، التي استبسل فيها تيبو سلطان في الدفاع عن الشرف والدولة، وحارب الإنجليز ومن معهم بكل شجاعة، وفي الوقت الذي كان فيه مستبسلًا في الدفاع تقدم أحد قواده الذي كان يعتمد عليهم، وهو مير صادق، ففتح القلعة للإنجليز، فتمكنوا من الاستيلاء عليها، وخرَّ تيبو سلطان المجاهد شهيدًا في ساحة المعركة، ودفن في سرنكا بتنم.

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٣٥١.

وبذلك انطوت صفحة حياة هذا المجاهد، بينما بدأ التاريخ ينشر له صفحةً مشرقةً، لن تنطوي على مر الأيام، وسيبقى هو وأبوه حيدر علي مثلين حيين على الجهاد والاستبسال في سبيل الدفاع عن الحرية والكرامة(١).

من الممكن أن نقول بسهولة: إنه بعد القضاء على حاكم ميسور القوي تنفس الإنجليز الصعداء، فقد تخلصوا من حاكمٍ قويٍ عنيدٍ، وانفتح أمامهم المجال للسيطرة على باقي أجزاء الهند حسب الخطة التي وضعوها، واستطاعوا التسلط على الهند والتغلب على سكانها، وذلك في سنة ١٢٧٤هـ – ١٨٥٧م.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٥٣- ٣٥٨.

الفصل الثامن:
الثورة الهندية أسبابها - حوادثها - نتائجها

تحدث الشيخ عبد المنعم النمر -رحمه الله- تحت هذا العنوان عن الثورة الهندية وأسبابها وحوادثها ونتائجها، مسجلًا أبرز الحوادث والدوافع، ومسهبًا في البيان، فأردت الإشارة إلى ماجاء في الكتاب تحت هذا العنوان، وذاك بالتالي:

المبحث الأول: أسباب الثورة

بعد الاستيلاء على الهند كلها استولى على الإنجليز غرورُ الحكم ونشوةُ السلطة، فأطلقوا الرصاصات على أهل البلد الذي احتلوه ونهبوه وغصبوه، فقام أحرار القوم يمنعونهم من السلب والنهب والاغتصاب، مطالبين إياهم بالعودة إلى جزرهم، وترك البلاد لأصحابها الشرعيين؛ ولكن الإنجليز بالغوا في إهانتهم وإذلالهم؛ حتى قال الشيخ عبد المنعم النمر:

"ويلاحظ أنهم بعد أن تمكنوا في الهند وفرضوا سيطرتهم عليها، وأخذوا في تنظيم شؤونها بقوانين يصدرونها، كان هدفهم تنظيم سيطرتهم ونهبهم، وإفقار أهل الهند وإذلالهم، وتحويل البلاد إلى بقرة حلوب لأهل بريطانيا لا لأهل الهنود، فالهنود في نظرهم أراذل متأخرون، لايصلحون لعمل، إلا أن يكون تافهًا وحقيرا، وهم لا يعاشَرون، ولا يُختلَط بهم"[1].

وحين نظر الشعب بمختلف أديانه إلى يد المستعمر الدخيل الذي أفقرهم وأذلهم تمتد إلى أقدس شيء لديه، وهو عقيدته، مستعملًا في ذلك كل

---

(١) عبدالمنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٣٩٥.

إمكانياته، ازداد غضبه وحنقه لاسيما العلماء الذين ازدادت ثورتهم واشتد حنقهم على الإنجليز، ويُعتبر الإمام شاه ولي الله الدهلوي رأس هؤلاء العلماء، وذلك لما قام به من مجهود عظيم في تنبيه المسلمين والحكام منهم كذلك إلى الخطر المقبل عليهم وإلى التمسك بدينهم، فقام هو وتلامذته لينقذ ما يمكن إنقاذه، وركز جهاده في التدريس والتاليف، والنصح لعامة الناس وملوكهم، وقد هبَّ الشاه عبد العزيز يستثير الشعب لحماية سلطانه، والجهاد في سبيل إبقاء الحكم الإسلامي في يد أصحابه، فأصدر فتواه المشهورة بأن "الهند الآن أصبحت دار حرب لا دار إسلام، وعلى المسلمين أن يهبوا للجهاد"(١).

وعلى أساس هذه الفتوى انتشرت الدعوة في طول البلاد وعرضها بأن واجب المسلمين الآن أن يهبوا للدفاع عن بلادهم ذكورًا وإناثًا، وأخذ العلماء يطوفون بالمدن والقرى يفهِّمون الناس ذلك، ويستثيرونهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء أبناء الإمام الشاه ولي الله الدهلوي وتلامذته.

وكان السيد أحمد عرفان البريلوي أحد تلامذة مدرسة شاه ولي الله، الذي قام بإنقاذ المسلمين من يد السيخ في إقدام جريء، لم يُسمع مثله، ولذا يُعتبر الشيخ من أبرز العلماء في حركة الجهاد التي قامت في الهند(٢).

المبحث الثاني: حوادث الثورة

أما قصة الثورة التي اندلعت وأثارت حفيظة الشعب الهندي كله فمن المصادفات العجيبة أنها بدأت من الجنود الهنود في ثكناتهم العسكرية في

(١) المصدر السابق، ص٤١٦.

(٢) للاطلاع علي بطولات الإمام السيد أحمد الشهيد راجع كتاب "إذا هبت ريح الإيمان" لأبي الحسن علي الحسني الندوي.

ميرت، وبيانها أن الإنجليز جلبوا خراطيش، كانوا يدهنونها بشحم الخنازير والبقر، وكان يتعين على الجنود قطع هذا الشحم المتجمد قبل استعمال هذه الخراطيش، ولتعنت الإنجليز واستهتارهم كانوا يأمرون الجنود بقطعها بأسنانهم، وكان فيهم كثرة من الهندوس وقلة من المسلمين، والبقر محرم أكلُه على الهندوس تحريم الخنزير عند المسلمين، فتذمر الجنود وعصوا الأوامر الصادرة لهم في هذا الشأن استجابةً لعقائدهم الدينية، وطلبوا إعفاءهم من هذه العملية؛ ولكن الإنجليز في نوبات غرورهم أخذتهم العزة بالإثم، ورأوا في عمل الجنود ذنبًا لا يُغتفر، وعصيانًا لا بد أن يقابَل بالقمع؛ حتى لا تحدث نفسه بالخروج على أوامرهم، وحتى يُذِلُّوا الجنود، وبالتالي من كان وراءهم من الأهالي في ناحيةٍ حساسةٍ، وهي عقائدهم، واستمروا في غرورهم، وأنزلوا بالجنود العصاة عقابًا قاسيًا؛ حيث حكموا على ٨٥منهم بالسجن عشر مرات، وتفننوا في إذلالهم بشتى الوسائل[(١)].

وهكذا كانت قلعة ميرت بركانًا يغلي بالغضب على الإنجليز جزاء تعنتهم وظلمهم الذي لم يستطيعوا التبرؤ منه، وزحف الجنود الثائرون إلى دلهي في صباح الحادي عشر من مايو، وصدهم عن الدخول جنود الإنجليز بدلهي؛ لكنهم عبروا جسر نهر جمنا ودخلوا دلهي وقتلوا من هناك من الإنجليز، فداخل قلوب الإنجليز كثيرٌ من الخوف والذعر.

وفي هذه الأيام دعا العلماءُ لاجتماعٍ عامٍ في المسجد الجامع بدلهي، وأعدوا فتوى بإعلان الجهاد، وقَّعها كثير من العلماء البارزين، ولما

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٤٢٦.

شاعت هذه الفتوى في هذا الوقت ثار كثيرٌ من الناس وتجمع في دلهي عشرات الآلاف من الجنود الثائرين، وفي الوقت نفسه أصدر الثائرون من المسلمين والهندوس إعلانًا مشتركًا، يقضي باختيار الملك المغولي المسن"بهادر شاه" قائدًا أعلى للثوار، وانضوى المراهتا –الذين كانوا دائما محاربين لملوك المغول- انضووا تحت حكمه راضين مختارين في سبيل جهادٍ مشتركٍ لإخراج الإنجليز، فانقض الأهالي مع الجنود على الإنجليز، وكانت ثورة النفس جارفةً، وسيطر الثوار على الموقف في دهلي، وجرت دماء الإنجليز أنهارًا في الشوارع والبيوت، وكان من الممكن أن تنجح الثورة في دلهي وفي غيرها لو وجدت القيادة الرشيدة الحازمة، والتنظيم الذي يعرف كيف يستغل العواطف المشتعلة، والإخلاص الذي ينفي خبث الخبثاء والخائنين الجبناء.

ولكن الثورات كانت تحمل كثيرًا من عوامل الضعف وعدم الاستعداد لمجابهة القوة المنظمة بمثلها، كما أن كثيرًا من المحيطين بالملك كانوا على صلةٍ بالإنجليز، وبعد ما ظهرت بوادر الفشل ترك الملك –الذي جعله الثوار قائدًا عامًا لهم- قلعته مع أهله وأولاده، والتجأ إلى مقبرة همايون خارج البلد بعيدًا عن مركز الخطر، فكان لهذه الخطوة أثرها السيئ جدًا في نفوس الثوار، حيث بعثت في قلوبهم الذعر والخوف، وتفاعل هذا العامل مع العوامل الأخرى، فلم يلبث الإنجليز أن سيطروا على الموقف في دلهي بعد أن استمرت الثورة أربعة شهور، أي في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٧م.

وهكذا قامت الثورات في المناطق الهندية الأخرى، في كل من دلهي وجهانسي وكانبور ولكناؤ وتهانه بهون والبنغال وغيرها؛ لكنها أُخمدت بسرعة.

المبحث الثالث: موقعة شاملي وتهانه بهون

وفي نهاية الكتاب ذكر الشيخ عبد المنعم النمر إحدى المعارك الثورية بعناية، وهي معركة شاملي وتهانه بهون، يقول الشيخ:

"عند ما قامت الثورة شارك العلماء فيها مشاركةً فعالةً في كل ناحية، وحملوا السيف والبندقية مع إخوانهم؛ ولكن هناك موقعة يستحق أن نفرد لها مكانًا خاصًا، وهذه هي الموقعة التي دارت رحاها في هذه المدن التابعة لمديرية مظفرنغر شمال ميرت بين العلماء والإنجليز"[١].

وخلاصة هذه الثورة الباسلة أنها عندما قامت الثورة في دلهي كان تلامذة شاه ولي الله وأتباع السيد أحمد الشهيد المسترشدين بطريقته يفكرون في القيام بعملٍ إيجابيٍ، وأتباع السيد أحمد الشهيد لم يكفوا عن الحرب والجهاد منذ استُشهد، فلا عجب أن ينتهزوا هذه الثورة العامة ويخوضوا في غمارها.

اجتمع من هؤلاء العلماء الكبار الحافظ ضامن والحاج إمداد الله ومولانا محمد قاسم النانوتوي ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي وغيرهم، وكانوا محل اعتقادٍ من العامة، فتجمع المجاهدون حولهم من كل ناحيةٍ، وأتوا بأسلحتهم، وكانت كلها من الطراز القديم حتى البنادق، وكانوا يُعْنَون بالتدريب من قبل.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٤٠.

بدأوا ثورتهم في تهانه بهون حيث استولوا عليها وعلى ماحولها، وأقاموا الحكم الإسلامي، وأخرجوا منها الحكام الإنجليز، فلما وصلت هذه الأنباء إلى الإنجليز تحركوا من سهارنفور ومعهم مدافعهم، متجهين إلى بلدة شاملي، فقبض العلماء على أسلحتهم بحيلةٍ عجيبةٍ، واستولوا على بلدة شاملي بعد معركةٍ حاميةٍ بينهم وبين الإنجليز، استُشهد فيها الحافظ ضامن الشهيد، وبرغم استشهاده كان العلماء الثوار يواصلون كفاحهم ويطاردون الإنجليز بالعصي والحجارة؛ ولكن بعد فترة جاءت الأخبار المؤسفة من دلهي، وحينها خمدت فيهم روح الحماس في المجاهدين، فلم يعد مفرٌّ أمامهم من إلقاء السلاح، والنجاة من أيدي أعدائهم الذين أخذوا يطاردونهم لينتقموا منهم، فهاجر مولانا الحاج إمداد الله إلى مكة، وقُبض على الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، واختفى الإمام محمد قاسم النانوتوي؛ حتى صدر قانون العفو العام فسلم من السجن، وهؤلاء العلماء هم الذين اشتركوا في تأسيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، التي صارت أكبر معقل ديني وأعظم قلعة إسلامية منيعة في آسيا(١).

❖ ❖ ❖

(١) انظر: المصدر السابق، ص٤٤٠-٤٤٣.

الفصل التاسع:

كتاب "تاريخ الإسلام في الهند" كما يراه الإعلام:

المبحث الأول: استقبال الا حف والمجلات العربية للكتاب

يقول الدكتور عبد المنعم النمر بدوره في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب: "وخرج الكتاب واستقبلته الصحافة، والهيئات العلمية والجماعات الثقافية والقراء في مصر وخارجها استقبالًا كريمًا، جعلني أزداد إيمانًا بأن العمل الجاد المدروس يجد صداه في النفوس وشجعني على أن أواصل جهودي لأكمل عرض تاريخ المسلمين في هذه البلاد... فقد أقامت رابطة الأدب الحديث بالاشتراك مع رابطة موظفي الجمهورية حفل تكريم بمناسبة صدور الكتاب، وذلك في السادس والعشرين من مارس سنة ١٩٥٩م"[١].

ومما جاء في جريد الشعب بتاريخ ٠١-٠٣-١٩٥٩م: "البث الأستاذ عبد المنعم النمر أكثر من عامين في الهند، وأتيح له أن يدرس تاريخ الإسلام فيها واستطاع أن يجمع كثيرًا من الوثائق والصور التي دعم بها بحثه، ثم قدم للمكتبة العربية كتابًا حافلًا شاملًا لتاريخ الحكم الإسلامي في الهند، فسدَّ به نقصًا كبيرًا، وشغل به فراغًا كان يجب أن يملأ منذ عدة قرون، وبذلك حقق أمل الأزهر والمؤتمر الإسلامي فيه، وحقق للقراء أملًا كانوا يتطلعون إليه"[٢]

وهكذا ذكر كل من جريدة الأهرام، وجريدة الأخبار وجريدة الجمهورية وجريدة المساء ومجلة الشبان المسلمين ومجلة الأزهر ومجلة الحج الكتاب وصاحبه، وفاضت بثناءٍ عاطرٍ على صاحب الكتاب وما بذله من مجهودٍ علميٍ قيمٍ، وتلقى قراء العربية الكتاب قبولا حسنا.

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٨.

(٢) المصدر السابق، ص٨.

المبحث الثاني: الكتاب في نظر أعلام ومؤرخي الهند

أما الهند فكان للكتاب صدى بالغ في الأوساط العلمية الهندية، وأبدى كبار العلماء والمؤرخين في الهند آرائهم عن الكتاب، وكان في طليعتهم مؤرخ الهند الكبير سيد محمد ميان الدهلوي رئيس جمعية علماء الهند سابقا والمفكر الإسلامي الكبير سيد أبو الحسن علي الحسني الندوي.

أما الشيخ سيد محمد ميان الدهلوي فقد كتب مقالًا تحليليًا طويلًا في جريدة الجمعية التي تصدر في دلهي باللغة الأردية، وذلك في عدد ٢٢ نوفمبر ٥٩، نقل منه الشيخ عبد المنعم النمر فقراتٍ مترجمةً:

"كتاب جديد صدر في القاهرة عن تاريخ الإسلام في الهند باللغة العربية لمؤلفه الأستاذ عبد المنعم النمر، وهو يحتوي على تاريخ الهند من بدايتها إلى ماقبل مائة سنة أي إلى الانقلاب التاريخي العظيم سنة ١٨٥٧م...ومراجع هذا الكتاب كلها مراجع علمية تاريخية موثوق بها، ولم يقتصر على تاريخ الملوك وأصحاب التيجان فحسب؛ بل ترى فيه أيضًا ما لابد منه لباحثٍ تاريخي لأمة ما...وقد لفت نظري وأثار إعجابي – وقد أخرجت كثيرًا من كتب التاريخ- أن المؤلف لم يقتصر على سرد حوادث التاريخ؛ بل علل لها وحلل الحوافز والدوافع عليها وأصدر أحكامًا منصفةً، خفيت على كثير من المؤرخين الهنود، وأخفاها المؤرخون غير المسلمين عمدًا، وترى هذا بشكلٍ واضحٍ فيما كتبه عن أكبر وأورنك زيب، وعن الغرب يتحرك نحو الشرق...وهذه الناحية التي بينت فلسفة التاريخ أهم عندي من التاريخ نفسه، وأننا هنا في الهند، لانملك إلا أن نقدم الشكر للمؤلف الجليل، ناصحين أبناءنا من طلاب المدارس العربية الإسلامية والجامعات المختلفة، أن يُعْنوا بمطالعته، راجين من المسؤولين فيها أن يقرروه في مناهجهم الدراسية"[(١)].

---

(١) المصدر السابق، ص١٢-١٣.

الباب الثالث

كتاب "كفاح المسلمين في تحرير الهند":

دراسة تحليلية

تعريف موجز بالكتاب:

هذا ثاني الكتب الثلاثة التي ألفها الشيخ عبد المنعم النمر - رحمه الله - في تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند، اشتمل الكتاب على نحو ٣٥٠ صفحة، بالقطع المتوسط، طبعته مكتبة وهبة بالقاهرة في عام ١٩٦٤م، وهي طبعة أولى للكتاب، ألفه الشيخ بعد خمس سنوات من صدور كتابه "تاريخ الإسلام في الهند"، وهو يتناول تاريخ الحقبة الممتدة من ثورة ١٨٥٧م إلى استقلال البلاد عام ١٩٤٧م وما صاحبها من أحداث وتقلبات، فبدئ الكتاب بتقديمٍ ضافٍ من المؤلف، ذكر فيه دواعي التاليف وما لقيه كتابه السابق "تاريخ الإسلام في الهند" في العالم العربي والإسلامي من قبولٍ عامٍ وثناء عاطر، مما أسعد المؤلف وجعله يواصل عمله بمزيد من الشوق والنهم.

يقول المؤلف في التقديم: "فلا أريد أن أترك القلم دون أن أسجل هنا كلمة شكر وعرفان لكل الذين استقبلوا كتابي الأول عن الهند بالترحيب والتقدير الذي عوَّضني ما بذلته فيه من جهد وسهر، وجعلني أزداد إيمانا بأن العمل الجاد المدروسَ يجد صداه حتى في النفوس...فقد طوَّقَتْني الصحافة والهيئات العلمية والجماعات الثقافية في مصر وخارج مصر بفضلها، حين استقلبتْ الكتابَ استقبالًا كريمًا، دل على وعي وتقدير وإنصاف"[1].

---

(1) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**(القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٦٤م)، ص ٧.

وتبعته كلمة تمهيدية، تناول فيها المؤلف التاريخ الموجز لفترة ما قبل ١٨٥٧م، فذكر صلة الإسلام بالهند ودخوله فيها، وما قام فيها من إمارات إسلامية، ثم سقوط الحكومة المغولية بيد الاحتلال الانجليزي عام ١٨٥٧م.

وبعدذلك تناول تاريخ مابعد ١٨٥٧م، وهو صلب موضوع الكتاب، فتحدث أولا عن الإنجليز والمسلمين بعد الثورة، وشرح فكرة الجهاد وموقف العلماء من الاحتلال، ملمًّــا بمراكز الإشعاع والمقاومة، كما سلط الضوء الساطع في ضمن بيان مراكز الإشعاع على دور دار العلوم ديوبند وعلمائها في الكفاح التحريري للبلاد.

والمؤلف مع إلمامه بموقف علماء الإسلام والإشادة به يذكر المواقف الأخرى التي وقفها بعض الزعماء المسلمين كالسير سيد أحمد خان، الذي تقرَّب إلى الحكومة الإنجليزية بأكثر من سبب، وسعى لتعليم أبناء المسلمين العلوم العصرية، لكي يكون لهم نصيب أوفر في بناء الدولة والوطن في قادم الأيام، وقد تحدث الشيخ عن هذا الموقف بتركيز وعناية، مع تحليل عادل للموقف وما يحمله من معانٍ إيجابية وسلبية، ثم أخذ يبين خلفية تأليف حزب المؤتمر، الذي لعب دورًا بارزًا في تحرير البلاد، كما ذكر بعض الخطوات الهامة التي اتخذتها الحكومة في بداية القرن العشرين، ومنها تقسيم البنغال، كما ذكر باهتمام تشكيل الرابطة الإسلامية(Muslim League)، التي صارت جبهةً إسلاميةً قويةً في تلك الفترة، كما اهتم المؤلف اهتمامًا بالغًا بالحركات الثورية التي أقامها

الهنود في سبيل تحرير البلاد من براثن الاحتلال، ومنها حركة العصيان المدني أو حركة عدم التعاون والولاء للاحتلال، وحركة الخلافة الإسلامية وحركة الرسائل الحريرية وما إليها، وأخذ تقسيمُ الهند إلى دولتين: الهند وباكستان مساحةً واسعةً في الكتاب؛ حيث استغرق أكثرَ من ١٥٠ صفحة، فتناول القضية من البداية، حتى ذكر أول صوت عن باكستان وتطور القضية وتداولها بين القادة الهنود والحكومة الإنجليزية، مشيرًا إلى المواقف الأخرى التي كانت تخالِف بقوة تقسيمَ البلاد، كما ذكر الشيخ رأيه الشخصي تجاه القضية تحت عنوان "هل كان التقسيم ضروريا؟". وبما أن التقسيم كان على أساس الدين فقد جرَّ على الهند وشعبها ويلات كثيرة، لا سيما المسلمين وإماراتهم التي كانت تابعةً للاحتلال كإمارة دكن وإمارة جونا كره وكشمير، فقد قامت مذابح ومجازر بصورها البشعة من أعمال سلب وحرق وغصب ونهب وفتك.

فالكتاب كله متعة تاريخية، يسرد الوقائع والأحداث والتطورات السياسية بتفصيل مناسب ودقة وأمانة، مشوبةً بتحليل المؤلف البعيد النظر، الواسع الأفق.

هذا تعريف موجز بالكتاب. أما الدراسة التفصيلية فسأقوم بها في الصفحات القادمة إن شاء الله، وسأتحدث عن الأبحاث الأساسية للكتاب. وإن أردنا انتقاء الأبحاث الأساسية في الكتاب ذكرنا ما يلي:

- تقديم قيم من المؤلف.
- تمهيد

- المسلمون والإنجليز بعد الثورة
- مراكز الإشعاع والمقاومة
- تأليف حزب المؤتمر الوطني
- تأليف الرابطة الإسلامية (Muslim League)
- حركة العصيان المدني عند المسلمين
- تقسيم الهند إلى دولتين وما يتعلق به من سياق تاريخي وتعدد وجهات النظر وتطورات القضية.

ومن أجل ذلك وزَّعتُ دراسة الكتاب في سبعة فصول، اختص كل فصل بأهم المباحث المذكورة أعلاه.

الفصل الأول:
تقديم وتمهيد

المبحث الأول: تقديم

كتب المؤلف في بداية الكتاب تقديمًا ضافيًا، يتحدث فيه عن الكتاب وعوامل تأليفه وضرورة وضعه، كما ذكر أقوال العلماء والمفكرين في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند"، وقد نقلت بعضها في الباب السابق، يقول الأستاذ في تقديمه للكتاب:

"أخي القارئ! يسرني أن أضع أمامك الآن كتابي الثاني عن تاريخ إخواننا المسلمين في الهند الكبرى قبل التقسيم، وذلك بعد مضي خمس سنوات من صدور كتابي الأول عنهم: "تاريخ الإسلام في الهند"، الذي وقفتُ فيه حيث وقفتْ عجلة الحكم الإسلامي سنة ١٨٥٧م، وأعلنت إنجلترا ضم الهند لمستعمرات التاج، ونفت آخر إمبراطور مسلم لها، حيث وافته منيته في سجنه، بعيدا عن أرض وطنه، هناك في رانجون عاصمة بورما"[(١)].

بعد إخراج كتاب "تاريخ الإسلام في الهند" كان الشيخ عبد المنعم النمر يريد نشر مذكرات له عن الهند، حيث أقام هناك أكثر من سنتين، وزار مدنها وقراها والأمكنة التاريخية والآثار الإسلامية، واطلع على تاريخها عن كثب، فتجمعت لديه معلومات ممتعة؛ لكنه سرعان ما أدرك حاجةً ماسَّةً إلى وضع كتاب آخر يتحدث عن عهد الاحتلال الإنجليزي وما حدث فيه من محاولات لتحرير البلاد ومراحل الصعود والهبوط التي اجتازتها البلاد في هذه الفترة، فكانت نتيجته هذا الكتاب.

---

(١) عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، (القاهرة: مكتبة وهبه، ط١، ١٩٦٤م)، ص٣.

يقول الشيخ بدوره:

"كانت نيتي متجهةً بعد ذلك إلى أن أقدم لك مذكراتي الحية التي كتبت أصولها عن الهند بعد التقسيم، خلال سبعة وعشرين شهرا، أقمتها هناك، من سنة ١٩٥٦م - ١٩٥٨م، وزرت فيها أكثر مدنها، ووقفت على الكثير من أحوالها في مدنها وريفها، وتتبعت ظروف المسلمين فيها بوجه خاص بعد قيام باكستان؛ ولكني وجدت -حين بدأت في كتابتها- أن هناك فترةً هامةً من تاريخ الإسلام في هذه البلاد، تحتاج إلى أن أؤرخ لها، وأزيل عنها كثيرًا من الغبار الذي علق بها، وتراكم عليها، وهي الفترة التي تبدأ من ضم الهند لمستعمرات التاج البريطاني سنة ١٨٥٧م، وتنتهي بإعلان استقلالها وتقسيمها إلى دولتين كبيرتين: الهند وباكستان في ١٥ أغسطس ١٩٤٧م".

"وحفزني للكتابة عن هذه الفترة ما لمستُه لدى قراء العربية من معلومات متناثرة عن تاريخ المسلمين هناك، أكثرها لايمت للحقيقة بصلة؛ بل يُهدِر كثيرًا من جهودهم، ومواقفهم الجريئة ضد الاستعمار، وتضحياتهم العظيمة من أجل تحرير الهند"(١).

المبحث الثاني: تصحيح التصورات الخاطئة لدى العرب عن المسلمين في الهند

إن من أهم حوافز تأليف هذا الكتاب هو تصحيح التصورات الخاطئة لدى عامة العرب عن المسلمين في الهند ومواقفهم من الاحتلال،

(١) المصدر السابق، ص٣-٤.

فكان إخواننا العرب لايعرفون عن المسلمين في الهند شيئا؛ بل يحكمون عليهم بأحكام قاسية بعيدة عن الحقائق، فكانوا يتهمونهم بالولاء للاحتلال وزرع الاختلاف والتفرقة بين المواطنين، وليس هذا إلا نوعًا من التصور الخاطئ الذي لا يمت إلى الواقع بصلة، فجاء هذا الكتاب ليصحح المفاهيم الخاطئة، ويبين للعرب ما للمسلمين في الهند من دور طليعي في تحرير البلاد.

يقول الشيخ في هذا: "فقد هالني ما سمعته من أحكام ظالمه قاسية، يصدرها بعض المثقفين- الذين لهم نصيب ومشاركة إيجابية في توجيه الجيل الحاضر- على المسلمين الهنود وموقفهم من الاستعمار، ويصورونهم بأنهم كانوا ضالعين مع الإنجليز ضد الحركة القومية، ويودون أن تبقى للاستعمار سيطرته على البلاد".

"في الوقت الذي كان فيه هؤلاء أسبق مواطنيهم إلى مقاومة الإنجليز والعمل على طردهم والقضاء عليهم، منذ وضعوا أقدامهم على أرض الهند، كانوا يعيشون لمبدئهم الذي تلقوه عن أسلافهم: مبدأ الجهاد لإخراج الإنجليز من الهند ومن كافة البلاد الإسلامية بالتالي، إذ أنهم كانوا يعتقدون أن احتلال الإنجليز للهند كان السبب الأول لطمعهم في استعمار البلاد العربية الإسلامية التي تقع في طريقهم إليها، فاحتلوها لتأمين هذا الطريق، وكان هذا المعنى يؤرقهم، ويقض مضاجعهم، بالإضافة إلى مصيبتهم الكبرى باستعمار بلادهم وانتزاع الحكم من أيديهم".

"لهذا كان الهدف من جهادهم مزدوجا: تحرير الهند وبالتالي تحرير البلاد الإسلامية، فإن إنجلترا سوف لاتتمسك باحتلالها لهذه البلاد-ولاسيما مصر وقناته- بعد أن ينفضوا أيديهم من الهند".

"ومن الواجب أيضا أن نعرف الحقيقة الواقعة، تلك الحقيقة التي تنطق بأن بعض المسلمين الأمجاد في الهند، سبقوا الكثيرين ممن يحتلون المكان الأول في حركة تحرير الهند، سبقوهم إلى الجهاد والتضحية، لا لنيل الاستقلال الذاتي أو تحريرها لتعيش مستقلة في كتلة دول الكومنولث، كما كان ينادى حزب المؤتمر، بل إلى طرد الإنجليز نهائيًا، وتحقيق الحرية التامة للبلاد، ونفض يدها من كل صلة لها بهم، لقد مر وقت كان فيه هؤلاء يعملون داخل الهند وخارجها، ويجندون كل قواهم لتحرير البلاد، فيساقون إلى السجون والمعتقلات في بلادهم، وخارج بلادهم في معتقلات مصر ومالطا وغيرهما".

"لقد عزَّ على نفسي كثيرا أن يهدَر تاريخ هؤلاء، وتُطمَس معالمه، وتشوَّه حقائقه، ونظل نحن هنا نظلم إخوانًا لنا كان لهم شرف الجهاد والاستشهاد في سبيل وطنهم، لا لشيءٍ إلا لأننا لم نجد المادة التاريخية التي تصور لنا موقف هؤلاء على حقيقته، ولم نتعب أنفسنا للبحث عن هذه الحقيقة"(١).

لماذا هذا التصوير القاتم للمسلمين في الهند؟

كان العرب لاسيما المصريون ينظرون إلى المسلمين نظرة احتقار، فكانوا يرون أن المسلمين في الهند اقتنعوا بالعبودية، وفقدوا الشعور

(١) المصدر السابق، ص٣-٦.

بضرورة الحرية وبالتالي ضرورة الكفاح والنضال، فلم يكن منهم إلا أنهم استنكروا المسلمين الهنود ومواقفهم، بينما أشادوا بجهود الهندوس في تحرير البلاد، وسبب هذا التصور المغلوط أولا قلة المادة التاريخية التي تصحِّح الفكرة، وتقوِّم النظرة، وثانيًا: الشرح الخاطئ لبعض الأحداث المهمة، ومنها قضية باكستان، فلندع الكلام هنا للشيخ عبد المنعم النمر، فهو يقول:

"ولعل مما ساعد على تشويه موقف هؤلاء الإخوان أننا كنا –نحن وهم–خلال عشرات من السنين الماضية، نرزح تحت حكم مستعمر واحد، لم يكن من مصلحته أن نتابع حركة التحرير هناك، ونلم بتفاصيلها في إبانها، مما كان سببا في خفاء كثير من الحقائق عنا".

"كما أن غاندي استطاع بمذهبه أن يجذب القلوب إليه، ويركز الأضواء حوله، فبقي غيره –ولاسيما من خالفوه- خارجين عن إطار الرؤية العابرة".

"وبعد ما تخلصنا معًا من كابوس الاستعمار هبطت على المكتبة العربية كتب عن غاندي ونهرو، ومذكرات خاصة لهما ولغيرهما، قدموا لنا فيها ذكرياتهم عن حركة التحرير الهندية من وجهة نظرهم الخاصة، دون أن يُّعْنَوا بغيرهم، وكانت هذه الكتب والمذكرات الخاصة هي النافذة الوحيدة التي أمكن أن نطل منها على شيء من تاريخ الحركة الاستقلالية في الهند".

"كما أن تقسيم الهند الكبرى بعد الاستقلال إلى دولتين: الهند وباكستان على أساس ديني، كان مما ساعد كذلك على تشويه موقف

مسلمي الهند عندنا، نحن الذين رفضنا أن تطل الطائفية بيننا برأسها، وسرنا في حركتنا الاستقلالية متحدين، باعتبارنا جميعا مصريين، لا مسلمين ومسيحيين.

"واستطعنا بذلك أن نقضي على ألاعيب الاستعمار لتفرقة صفوفنا، ليمد في عمره بيننا، وبهذه الروح حكمنا على مواقف المسلمين هناك، ومطالبتهم بإقامة دولة خاصة بهم، دون أن نتعمق ونعرف الظروف والبواعث التي حدت بالمسلمين هناك، إلى اتخاذ هذا الموقف أخيرًا على كره منهم، ونعرف المسؤول عن ذلك، كل هذا دفعنى إلى أن أضع أمام قراء العربية ما عرفته من حقائق عن تاريخ إخواننا هناك، قيامًا بواجبي نحو الحق والإنصاف، ونحو القارئ العربي، حتى أرد لهؤلاء المظلومين شيئًا من حقهم بقدر ما أستطيع، وأكشف للقارئ بعض نواحيهم التي يجب معرفتها، تصحيحًا للصورة المشوهة أو الناقصة التي عرفها عنهم وعن حركة التحرير الهندية"[1].

مكانة المسلمين الفدائيين في الهند:

إن الشيخ عبد المنعم النمر حريص على إزالة الغبار الذي علق بتاريخ المسلمين في الهند ودورهم البطولي في بناء الدين والدولة، فأراد الشيخ أن يقوم بتقييم مكانة المسلمين الثوار الأحرار، الذين نسيهم التاريخ والمسلمون أيضًا، فلم يسع الشيخَ إلا أنه قال: "إن بعضًا من هؤلاء الفدائيين الأُول من المسلمين الذين كرسوا حياتهم لتحرير بلادهم، في وقتٍ خفتت فيه

(١) المصدر السابق، ص٦-٨.

الأصوات لَيُشبِهون عندي تماما الرواد الأُوَل للحركة الوطنية في مصر: مصطفى كامل ومحمد فريد وزملاءهما، الذين عرفنا فضلهم وجندنا كثيرا من قوانا الآن للإشادة بذكرهم واعتبارهم مثلا عليا، وروادا أُوَلَ في الجهاد والتضحية من أجل استقلال البلاد".

"وإذا كان هؤلاء عندنا قد وجدوا من يشيدون بذكرهم وفضلهم حين تحققت مُثُلُهم التي وهبوا أنفسهم لها مبكرين، فإن أولئك هناك لم يجدوا من يُعْنى بذكرهم والإشادة بهم، ووضعهم في الرعيل الأول من المجاهدين حين تحققت مُثُلُهم ولم يحظوا بما حظي به غيرهم من تكريم".

"فهل نرانا نهمل واجبنا نحو إخوان لنا، أو نستجمع ما فينا من إيمان بالحق والعدل ومعرفة بالحقائق لنرد الحقوق-أو حتى بعضها- إلى أصحابها"(١).

المبحث الثالث: هل يمكن أن يتحقق الهدف الحقيقي للكتاب؟

الكتاب يرمي - كما ذكر الشيخ- إلى كتابة تاريخ الفترة الهامة التي عقبت ثورة ١٨٥٧هـ، والتي علق بها كثير من المفاهيم والتصورات الخاطئة، وذلك لغياب المصادر التاريخية الموثوق بها، فالهدف الحقيقي للكتاب أن يوضع تاريخ هذه الفترة بدقةٍ وأمانةٍ، ويُعدَّ مرجعٌ تاريخيٌ هامٌ، يقدِّر الأمور بأقدارها، ويعطي كل ذي حق حقه، وينصف كل مجهود، ويشيد بكل سعيٍ مشكورٍ، ويكشف الستار عن الحقائق المجهولة، ويصقل الحقائق التاريخيةً، مبرزًا جهود المسلمين في تحرير البلاد الهندية، والتي قد غفل عنها كثير من المثقفين العصريين في البلاد العربية.

---

(١) المصدر السابق، ص٤-٥.

فالهدف عظيم، وليست مهمة الكتاب هو تسويد صفحات وتجميع معلومات؛ بل تصحيح المفاهيم وتقديم الحقائق كماهي، وكان المؤلف يعرف جيدا صعوبة عمله ووعورة طريقه، إلا أنه كرجل ثابت الجنان رابط الجأش، كثير التفاؤل، يأمل أن يكون الكتاب رائدًا على الطريق لكل قارئ مخلص.

يقول الشيخ بدوره:

"إنني أعرف أن تحويل الركب عن مسيره وزحزحته عن مواقعه ومفاجأة الناس بغير ما أَلِفوه أمر صعب؛ ولكني سأترك الوقائع تتحدث، وأترك القارئ معها يكون فكرته لنفسه، وأعتقد أنه سيتلاقى معي في النهاية، ويضع معلوماتٍ جديدةً مكان معلوماتٍ قديمةٍ خاطئةٍ، سيحرص على التخلص منها، وما على الآخرين من عيب أو نقص، فهم في مكانهم من الركب-ركب العظماء المجاهدين-، ولابأس عليهم أن يأخذ إخوانهم المجاهدون الآخرون مكانهم كذلك من الركب للحق وللإنصاف".

"وأحب مع هذا أن أصارحك بأنني لا أدعي أن ما ستقرؤه هنا هو التاريخ الجامع المفصل للمسلمين في هذه الفترة، وإن كنت قد تمنيت أن أُلِم بتفاصيله، فليس كلُّ مايتمنى المرء يدركه".

"لكني لا أكون مدعيًا ولا مغاليًا إذا قلت: إن الحقائق والمعلومات التي أقدمها في هذا الكتاب مع تواضعها، ستجعله -كسابقه- هو الأول من نوعه أيضا باللغة العربية".

"وحسبي أن يكون رائدًا على الطريق لكل من أراد أن يتابع السير فيه، وأن يجد فيه القراء مادةً جديدةً لم يُسبق لهم دراستها، وأن يكون

إنصافًا لتاريخٍ مجهولٍ مظلومٍ، هيأ الله لي بفضله أن أنصفه وأرد إليه اعتباره، ولا أريد بعد ذلك أن أستطرد فأقدم إليك مباحث الكتاب؛ ولكني أريد أن أتركه بين يديك، يقدم نفسه إليك، ويكشف لك في كل صفحة من صفحاته عن جديد من التاريخ المجهول المظلوم".

"وأعتقد أنني بهذا الكتاب الثاني عن الهند الكبرى أكون قد أودعتُ المكتبة العربية مرجعَين وافيين عن تاريخ الهند والمسلمين فيها، منذ فجر التاريخ حتى تحررت من الاستعمار الإنجليزي، وقامت على رقعتها الواسعة الدولتان الكبيرتان: الهند وباكستان"(١).

هذه بعض الإلمامات الواقعية التي طرقها المؤلف في تقديمه للكتاب، مما يكشف عن مدى حرص المؤلف على سرد الوقائع والأحداث بشكل صحيح، وإبراز الجانب الوضاء من دور المسلمين الهنود في سبيل الدفاع عن الدين والدولة.

المبحث الرابع: تمهيد

أراد الشيخ أن يذكر قبل الخوض في صميم الموضوع كلمة تمهيدية قيمة، تتناول تاريخ الإسلام في الهند والمؤامرة الغربية على الحكم الإسلامي الهندي وصنائع الإنجليز في الهند باختصار شديد، وذلك ليكون القارئ على بصيرة، ومطلعا على سلسلة تاريخية متصلة الحلقات، فكل ثورةٍ سياسيةٍ وأخلاقيةٍ ترفدها بعض العوامل التي سبقتها،

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص١٦.

فالأحداث والتقلبات لا تنشأ دفعةً واحدةً؛ وإنما لها عوامل وخلفيات تبدو في أول أمرها صغيرة، ثم تتطور مع الأيام، حتى تحدث ثورة عظيمة.

ومن ثم بدأ الشيخ عبد المنعم النمر الكتاب بذكر تاريخ موجز للإسلام في الهند، وبما أني في الباب الثاني ألمت بقدر كبير من هذا التاريخ، فلا أرى من حاجة إلى إعادته؛ اللهم إلا بعض المعلومات اليسيرة التي تؤثر في فهم الأبحاث القادمة، وربط الحلقات التاريخية المتصلة.

إشارةٌ سريعةٌ إلى تاريخ الإسلام في الهند:

يقول الشيخ: "بدأ الإسلام يطرق أبواب الهند يقينًا، منذ عهد الخلفاء الراشدين، سواء أكان ذلك بوساطة التجار، أم بالحملات العسكرية الصغيرة، التي كانت برعاية الخلفاء وتوجيههم، ثم أخذت هذه الحملات شكلًا جِدِّيًّا في عهد بني أمية، وكان أشهرها حملة محمد بن قاسم، الذي وجهه عمه "الحجاج بن يوسف الثقفي" والي العراق، وقد نجحت هذه الحملة أيما نجاحٍ، وفتحت الطريق لسيطرة الدولة الأموية على جزءٍ كبيرٍ من الهند، ومن بعدها الدولة العباسية، ثم أخذ نفوذ العباسيين يتقلص عن الهند، بضعف دولة الخلافة، فاستقل بحكمها بعض الأمراء، وكان هذا النفوذ غالبًا في غرب الهند، أو إن شئنا التحديد قلنا: في أرض السند، وهي المنطقة التي تكون باكستان الغربية اليوم.

وهكذا انحسرت الحملات الإسلامية من الغرب على أرض الهند مدةً، حتى جاء محمود الغزنوي، فبدأ يتجه للجهاد في سبيل الله، في الأرض التي تشيع فيها عبادة الأصنام، ووجَّه أولى حملاته إليها من

غزنة، سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠١م، وتابع حملاته وانتصاراته بعد ذلك، حتى ضم إلى حكمه جزءًا كبيرًا من أرض الهند، من الغرب ومن الشمال ومن الجنوب الغربي.

ثم قامت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية، فسارت على خطتها في فتح الهند وحكمها؛ حتى جاء أحد قوادها المماليك، وهو قطب الدين أيبك، ففتح دهلي سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م، ثم استقل بالملك فيها واتخذها عاصمةً له.

ومنذ ذلك الوقت تتابعت على حكم الهند إماراتٌ إسلاميةٌ، واحدةٌ بعد أخرى، واتخذت من دهلي عاصمةً لها؛ حتى جاءت الدولة التيمورية، أو الدولة المغولية سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٦م، فكان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامي للهند، وبلغت من القوة والاتساع حدا لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند، شهدت البلاد في عهدها حضارة من أرقى الحضارات الإسلامية، التي عرفناها في عواصم البلاد العربية، يوم أن كانت هذه العواصم تصنع التاريخ، وتصنع الحضارات؛ بل إن حكم هؤلاء المسلمين الأمجاد قد وصل من القوة والمجد إلى الحد الذي ظل فيه رسول جيمس الأول ملك إنجلترا أكثر من سنتين في الهند، يحاول مقابلة الإمبراطور جهانكير، فلم يظفر بما يريد، فتضرع أن يأخذ كتابًا منه يحمله إلى إنجلترا، فرد عليه الوزير الأول قائلا: "إن مما لايناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة، يسكنها صيادون بائسون"، وكان هذا في أوائل القرن السابع عشر، بعد ما تأسست الشركة الإنجليزية لتباشر تجارتها في الهند والبلاد الشرقية.

وقد بلغ الحكم الإسلامي للهند أوجَه بعد ذلك، في حكم الإمبراطور أورنجزيب، الذي وحَّد الهند كلها تقريبا تحت حكمه، مما لم يُسبق له مثيل من قبل، وحكم البلاد حكما إسلاميًا حازمًا، لم تُحكم به من قبل ولا من بعد، وكان لذلك هدفا لغارة نقد مغرضة، من المؤرخين غير المسلمين.

ومما يؤسف له أن هذا الإمبراطور كان آخر إمبراطور قوي، في أباطرة المغول المسلمين، فقد جاء بعده خلفاء ضعاف، لم يكونوا في مثل قوته وحزمه وتدبيره، فأخذت الدولة الإسلامية تتهاوى من فوق القمة التي أقعدها فوقها، وبدأت رقعتها الواسعة تتفتت شيئًا فشيئًا، ويستقل هنا أو هناك أمير بحكم ولايته، وتتاح الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ ليجمعوا الجيوش ويشنوا حروبًا على الدولة الإسلامية، ويقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها، والملوك المسلمون في دهلي يضعفون شيئًا فشيئًا، وينحسر نفوذهم وينكمش؛ حتى لم يعد لهم مع الأسف سلطان ولانفوذ[1].

المبحث الخامس: الشركة الإنجليزية: نواياها الخبيثة وأفاعيلها البشعة

كانت الشركة الإنجليزية متسترةً بستار التجارة المحضة، هادفةً إلى بسط سيطرتها ونفوذها على البلاد، والقضاء على الحكم الإسلامي في الهند، فبعد أن ذكر الشيخ تاريخ الدول الإسلامية في الهند باختصار، ذكر الشركة الإنجليزية ودورها الشنيع في تفتيت البلاد واستغلال الحروب الأهلية بين أبناء البلاد، وفي الحقيقة أن اختلاف أبناء البلاد

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٩-٢١.

وسعيهم وراء المصالح الشخصية هو الذي شجَّع الشركة الإنجليزية على تحقيق ما تصبو إليه، وابتلاع هذه البلاد جزءًا جزءًا كلقمة سائغة، ففعلت أفاعيل بشعة، امتصَّت خيرات هذه البلاد، وسلبت ثرواتها، ونقلت نفائس الهند وكريماتها إلى الغرب، وعملت على إضعاف الدولة وتركها جثةً هامدةً فاقدةً الروح.

يقول الشيخ: "ومن خلال هذا التفتت والضعف، أخذت البرتغال وشركة الهند الشرقية الإنجليزية والشركات الهولاندية والفرنسية تتصارع على بسط نفوذها على التركة الإسلامية"[1].

"وقد بدأت هذه الشركات عملها التجاري في أرض الهند، إبان قوة الحكم الإسلامي وازدهاره، مما رأينا مثلًا له فيما ذكرناه من قبل، حين رد الوزير الأول لجهانكير على القنصل الإنجليزي، وكانت الشركات تسعى ما أمكنها السعي حينذاك، لتحظى بالمقام الأول في الحصول على مركز تجاري، يتيح لها مكسبًا تجاريًا في محصولات الهند، التي كانت تصدِّرها إلى أوربا، وكان الأباطرة في أوج قوتهم، لاينظرون إلى هؤلاء إلا نظرتهم لتاجرٍ يريد أن يكسب مالًا من تجارته، لا أن يكسب أرضًا ويبسط نفوذًا، ولذلك تركوهم يتاجرون، وربما منحوهم بعض التسهيلات التجارية.

"ولكن هؤلاء كانوا كالمرابي الذي لاينظر إلى فائدته الربوية بقدر مايرمي من بعيد للحصول على الأرض والاستيلاء عليها، وكانت هذه الشركات تعمل، ومن ورائها حكوماتها، التي تسعى إلى التوسع

---

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٢١.

والاستعمار، وواتتها الفرصة، حين ضعف الحكم الإسلامي، وتفتَّتْ وحدة البلاد، وانشغلت بحرب بعضها بعضًا، فبدأت في دورٍ جديدٍ، وهو دور بسط النفوذ على البلاد، وأخذت هذه الشركات تتصارع على القمة الدسمة الكبيرة التي أمامها.

"واستطاعت شركة الهند الإنجليزية أن تحظى أخيرًا بالمقام الأول في الهند، وتقضي على النفوذ البرتغالي والهولندي والفرنسي فيها، ويخلو لها الجو لتفعل ما تريد، فأخذت تضرب الأمراء بعضهم ببعض، وتعين بعضهم بالمال والرجال ضد البعض الآخر، لتكسب مكانةً ونفوذًا عنده، ثم تنقلب إلى الآخر، فتمثل معه نفس الدور الذي مثلته مع الأول، ومن خلال ذلك تضع يدها على دخل الولايات، وتبسط سلطانها عليها؛ حتى وصل نفوذها إلى القلب: إلى الإمبراطور المسلم القابع على عرشه في دهلي، فشلَّت كل نفوذٍ له؛ حتى تحكمت في زُواره، واستمالت إليها مَن حوله من حاشيته الخاصة، حتى زوجته، فأصبح مجرد صورةٍ لا روح فيها ولا نفوذ لها، والمسلمون الغيورون يحاولون خلال ذلك كله أن يوقفوا هذا السرطان، الذي يسري في جسم البلاد دون جدوى.

المبحث السادس: المسلمون الأحرار يتصدون للزحف الإنجليزي

ولما رأى المسلمون لا سيما حكام الولايات التابعة لدلهي أن الشركة الإنجليزية ما زالت في توسيع رقعتها وبسط نفوذها على البلاد، وأخذت تتحكم في شؤون الولايات الخاصة، قام عدد من حكام الولايات بثورةٍ عارمةٍ ضد الشركة، وكان منهم سراج الدولة حاكم البنغال في

الشرق، والسلطان حيدر علي وابنه الشهيد تيبو سلطان في الجنوب؛ ولكن بخيانةٍ من بعض المسلمين فشلت هذه الثورات العارمة التي كادت تقضي تمامًا على الكيان الغربي في الهند.

يسرد الشيخ هذا التاريخ باختصارٍ فيقول: "قام الأمير سراج الدولة في البنغال بالهجوم على حصونهم ليقضى عليهم، ويريح البلاد من شرورهم سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م، وكان من الممكن أن يحقق للبلاد ما تصبو إليه، ويرمي بهم في البحر، لولا خيانة بعض قُوَّاده، وخُطَطُ الإنجليز الملوثة دائما بالغدر، فكانت نهايته الفشل والقبض عليه وقتله، وأتاحت هذه النهاية المؤلمة للنفوذ الإنجليزي أن يزداد في البنغال، ويتخذوا منها قاعدة للسيطرة على البلاد كلها، وفي الجنوب قام حيدر علي سنة ١١٩٥هـ / ١٧٨١م للقضاء على النفوذ الإنجليزي، مستغلًا ما بين الفرنسيين والإنجليز من عداء، ثم جاء من بعده ابنه الشجاع الباسل السلطان تيبو (Tipu Sultan) وأخذ على عاتقه هذه المهمة، ودخل مع الإنجليز في حروب عديدة، كاد يتم له فيها النصر، ويتم للبلاد على يديه التخلص من الإنجليز نهائيًا، لولا الخيانة أيضا من بعض قواده، وضعف نفوس بعض أمراء الولايات، الذي استمالهم الإنجليز فهُزِمَ القائد الشجاع، وخرَّ شهيدًا في المعركة، وتنفس الإنجليز الصُّعَداء، واستراحوا من أقوى خصم لهم في الهند، كاد يقضى على كل آمالهم فيها، وانطلقوا بعد ذلك ينفذون المخطَّط الذي رسموه، ويستعجلون التهام اللقمة الناضجة، بعد أن خلا لهم الجوُّ ليفعلوا ما يريدون.

"وعُبِّئَتِ البلاد بالغيظ، ووَضَحَ أمام العيون صورةُ الاستعمار الشرير القادم من الغرب، ليفتِّت كل معنويات البلاد وإمكانياتها.

"فقامت ثورة جامحة سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م لإنقاذ البلاد من هذا الدمار، وتزعَّمها المسلمون، وبعض الهندوس الذين نكبهم الإنجليز؛ ولكنها جاءت متأخرةً، بعد أن بسط الإنجليز نفوذهم على كل البلاد تقريبًا، ففشلت، وتحمَّل المسلمون وحدهم نتائج هذا الفشل أمام العدو المنتصر، فمثَّل بهم الإنجليز شر تمثيل، وعملوا على إذلالهم ومطاردتهم والقضاء على كل حيويةٍ فيهم، وقبضوا على الإمبراطور المسلم سراج الدين أبو ظفر شاه[١]، الذي كان يهدف الثوار إلى إرجاع سلطته ونفوذه إليه، فحاكموه، وحكموا عليه بالإعدام، ثم خففوا الحكم عليه بنفيه إلى "رانكون" عاصمة بورما، وظل حبيسًا هناك؛ حتى لقي ربه ودفن بأرضها.

"وأعلنت الملكة فيكتوريا[٢] ضم الهند بعد ذلك لمستعمرات التاج، وانفرد العدو المنتصر الحاقد بالمسلمين –أصحاب الحكم السابق- يفعل بهم ما يشاء له حقده، وتسوِّله له قوته، وتسلم البلادَ التي كانت تسري فيها الثقافة والحضارة الإسلامية ليطبعها بطابعه، ويقضي على كل أثر فيها للحكم الإسلامي السابق، ليفتح الطريق لثقافته ونفوذه[٣].

---

(١) هو أبو الظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر، المعروف بـ "بهادر شاه ظفر" (٢٤ أكتوبر ١٧٧٥ – ٧ نوفمبر ١٨٦٢)، آخر أباطرة المغول في الهند، وقد مرذكره في الباب السابق.

(٢) هي السيدة أليكسندرا فيكتوريا(Alexandrina Victoria)، ملكة المملكة المتحدة التي حكمت أطول فترة في تاريخ المملكة المتحدة منذ ٢٠ يناير١٨٣٧م إلى ١٩٠١م، شهدت البلاد خلال حكمها ازدهارًا وتوسعًا كبيرًا، وفي عهدها احتل البريطانيون الهند.

(٣) انظر: عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٢٣-٢٦.

المبحث السابع: سياسة ا حتلال تجاه المسلمين

كان الإنجليز يعرفون جيدًّا أن عدوهم الحقيقي هم المسلمون لاغير؛ فإن الإنجليز سلبوا ملكهم المجيد وعزهم التليد، فعاملوهم معاملة العنف والشدة، عذَّبوهم أشد تعذيب، وقتلوهم شر قتلة، ونفوا كثيرًا من العلماء الأحرار إلى بلادٍ قاسية لا تصلح للحياة البشرية، فأصبح الذين كانوا يديرون دفة الأمر بالأمس أصبحوا يسعون إلى لقمة يأكلونها، أو رقعة من الثياب يلبسونها: قتل وتعذيب وتشريد، ونفي وجلاء، وصلب، ثم جدب وذلة وحسرة، ثم جهل وبطالة وعار، كل هذه حدثت بيد الشياطين الإنجليز البيض الوافدين من الغرب.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر في ضوء الوثائق التاريخية: "أرسل اللورد النبرو حاكم الهند العام إلى "دوق ولنجتن" سنة ١٢٥٩هـ – ١٨٤٣م كتابًا جاء فيه: "إنه لا يمكن الإغضاء عن حقيقة جلية، وهي أن الأمة المسلمة معادية لنا بعقيدتها، فالبرنامج الحقيقي عندنا أن نبتغي مرضاة الهنادك"[١].

يقول الشيخ: "فعلى أساس هذه الحقيقة تصرف الإنجليز مع المسلمين تصرف العدو الحانق القادر على عدوه، فعملوا بكل ما يمكنهم على خنق أنفاس عدوهم، بينما عملوا على استرضاء الهنادك؛ لأنهم في رأيهم ليسوا أعداء لهم بحسب عقيدتهم كالمسلمين، ولأمرٍ آخرَ تيقنه

---

(١) عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٤٠٦، نقلا عن كتاب "Unhappy India" لصاحبه لاله لاجبت راي، ص٣٩٩.

الإنجليز، وهو العمل المتقن على التفرقة بين السكان، وإرضاء الكثرة الهندوسية على حساب المسلمين، وكثيرا ما كانوا يستولون على أملاك المسلمين ويعطونها للهنادك، وكثيرا ما كانوا يعزلون الموظفين المسلمين، ويعينون بدلا منهم الهنادك، وهكذا كانوا يحققون هدفين بعملٍ واحدٍ، أو يضربون عصفورين بحجرٍ واحدٍ كما يقال"[1].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق، ص٤٠٦-٤٠٧.

الفصل الثاني:

المسلمون والإنجليز بعد الثورة

المبحث الأول: تعنت الإنجليز مع المسلمين:

فشلت ثورة ١٨٥٧م، التي نفخ روحها المسلمون الأحرار، وانتصر الإنجليز على هذه المحاولة الأخيرة، وبعد هذا الانتصار التاريخي الفاصل خلا لهم الجو ليفعلوا بالبلاد وأهلها ما يريدون، فهل فعلوا كما تفعل الأمم المتحضرة، أو كما يدعون هم أنهم أصحاب تمدن وحضارة، كلا! بل تعدوا في الهمجية والوحشية كل مقياس، وتفننوا في أنواع التنكيل حتى فاقوا أشد المجرمين إجرامًا، وأتوا من الأفعال البشعة ما لا يمكن أن يفعله حتى إنسان لا يعرف مسؤوليةً، ولا يحمل ضميرًا.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "فهل سار الإنجليز –وهم القوم المتمدنون المتحضرون الذين تعالوا على الشعوب بما يدعونه من تمدن وحضارة– هل ساروا بعد انتصارهم سيرة الحكومة المتمدنة؟ وماذا فعلوا في الشعب الذي ظلموه أولًا ثم كبتوا أنفاسه حين قام يريد التنفس الحر؟

"لقد فعل الإنجليز بالثائرين بل وبغيرهم ما لا يمكن لعقل أن يتصوره، ولا لضمير أن يتحمله، حتى وجد التاريخ من عقلاء الإنجليز أنفسهم من يتبرؤون من أفعال بني قومهم الوحشية، ويصِمُونَها بأبشع ما يمكن أن يوصم به عملٌ في التاريخ.

"ولقد كتب المؤرخون – ولا سيما الإنجليز كثيرًا – عنها، وكانوا في جملة كتاباتهم متحاملين على الهند بالطبع، فسموا أهل الوطن

المطالبين بحقهم بُغاةً، ووصفوهم أوصافًا قبيحةً، وأخذوا يبررون أفعال بني قومهم، ويعللون الحوادث تعليلًا مناسبًا لأفكارهم ومصالحهم، ويشوهون كل وجهٍ جميلٍ لهذه الثورة، وساعدهم انتصارُهم وحكمهم للبلاد مدةً طويلةً على أن يكتبوا ما يشاؤون، ويقلبوا الحقائق كما يريدون، وأن يحولوا بين الكتاب الآخرين وما يريدونه من إظهار الحقائق"[1].

فالإنجليز بعد انتصارهم في ثورة ١٨٥٧م تملك على عقولهم نشوة الفتح والانتصار، وعادوا يفعلون من الأفاعيل ما يستحيي له جبين الإنسانية، وقصدوا إخفاء الحقائق كثيرًا؛ لكن هيأ الله تعالى من المؤرخين المنصفين من مسلمين وغير مسلمين من أبدَوا الحقائق وكشفوا ستار الخفاء والإبهام، مما دل على الجانب الآخر لصورة الإنجليز المتحضرين، وهي صورة قوم أولي بلطجية ووحشية، كما كتب المؤرخ الإنجليزي مستر -إدوارد تومس- كتابًا عن تاريخ الهند، سماه " The Other Side Of Medal"، ومعناه الجانب الآخر للميدالية، صوّر فيها الناحية الأخرى التي حرص الإنجليز على إخفائها في الهند.

فكان نصيب المسلمين بعد فشل الثورة هو تحمل كل أنواع الظلم والفتك والقتل، فقد تحملوا من ضروب الانتقام والتنكيل ما لم يتحمله غيرهم.

---

(١) عبدالمنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٤٤٩.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "ففي دهلي قبضوا على الملك ومن كانوا معه في مقبرة همايون من زوجه وأولاده وحاشيته، وساقوهم إلى البلد مقيَّدين في ذلةٍ وانكسارٍ، وفي الطريق أطلق الضابط "هيدسن" بندقيته على أبناء الملك وأحفاده، فقتل ثلاثة منهم، هم ميرزا مغل، وميرزا خضر، وميرزا أبوبكر، وقطعوا رؤوسهم، وتركوا جثثهم في الطريق مدةً، ثم سولت لهم نفوسُهم المتحضرة المتمدنة أن يتجاوزوا في التمثيل بالقتلى والتنكيل بأبيهم الشيخ المتهدم إلى حدٍ تشمئز منه النفوس، فعندما قدموا الطعام للملك في سجنه وضعوا رؤوس الثلاثة في إناء، وغطوه وجعلوه على المائدة أمامه، وكانت مفاجأةً مذهلةً؛ بل قاتِلةً حين كشف الغطاء، فلم يجد طعامًا؛ بل وجد بدله رؤوس أبنائه الثلاثة، وقد غُطيت وجوهُهم بالدم الأحمر القاني، وهنا يتمالك الشيخ الضعيف نفسَه، وتظهر فيه طبيعته الملكية المغولية: طبيعة الأنفة والعزة، ويقول في رباطة جأش غريبة: إن أولاد التيموريين البواسل يأتون هكذا إلى آبائهم محمرَّةً وجوهُهم، وبعد ذلك أخذوا هذه الرؤوس وعلقوها على بوَّابةٍ كبيرةٍ تُسمَّى الآن في نيودلهي باسم "خوني دروازه"، أي بوابة الدم"[(١)].

"ومما يثير العجب والدهشة أن هذا العمل مع منافاته لأبسط قواعد الإنسانية والمروءة، أرسل القائد الإنجليزي العام في بنجاب "مونتجمري" إلى القاتل "هيدسن"، ليهنئه بهذه العملية الوقِحة قائلا: عزيزي هيدسن! أهنئك بما قمت به من القبض على الملك وقتل أولاده، وأرجو أن تقتل كذلك أبناء الأسرة المالكة الآخرين"[(٢)].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٥١.

(٢) المصدر السابق، ص٤٥١.

وبهذه الروح الخبيثة روح الانتقام والتشفي انهالوا على دلهي وأهلها، يدمرون ويقتلون وينهبون؛ حتى بلغ عدد قتلاهم سبعةً وعشرين ألفًا، وحتى هدموا أكثر أحياء دهلي، فتحوَّلت إلى أنقاض، وقد احتلوا المسجد الجامع بخيولهم، وعطلوا الصلاة فيه لعدة سنين، وكانوا لا يجدون إنسانًا يظنون أنه مسلم بلحيته أو قصر ملابسه إلا قتلوه؛ حتى تكدَّست الجثث في الشوارع، وجرت الدماء أنهارًا، وقد كتب بعض الإنجليز أنهم كانوا يتحاشون الخروج إلى الشوارع، حتى لا تؤذي هذه المناظر نفوسهم.

وقد كتب العلماء والكتاب كثيرًا عن الفظائع التي حدثت في ما بعد الثورة، ولا أريد التطويل، فلأدع الكلام للشيخ عبد المنعم النمر، ليقول:

"نعم! لقد فقد الإنجليز بعد انتصارهم كل إحساس بمعاني الإنسانية، وتجاوزوا في انتقامهم كل ما يتصوره الإنسان، رأوا أن القتل بالرصاص سهل على المقتولين، فاستعملوا المشنقة، وكانوا يشنقون في كل مكان، ويقفون حول المشنقة يضحكون ويصفِّقون، وكانوا يشدون ضحاياهم على فم المدافع، ثم يطلقونها فتتناثر أشلاؤهم في كل مكان، وكانوا يلُفُّون أجساد الضحايا المسلمين بجلود الخنازير، ويخيطونها عليهم، أو يدهنونهم بشحومها، ثم يحرقونها، وكانوا يجبرونهم على فعل الفاحشة بعضهم ببعض، وكانوا يحشرون الناس في البيوت ثم يشعلون النار فيها، فيتحول المساكين إلى رمادً رجالًا ونساءً وأطفالًا، وكانوا... وكانوا... وكانوا... لم يتركوا وسيلةً للتنكيل والتعذيب يتفنن العقل في إخراجها إلا فعلوها بضحاياهم، ولم يفرقوا بين ثائرٍ ومهادنٍ، فالكل

عندهم ثائر، وأي جندي هندي بالمشرق يسأل عما فعله أي جندي بالمغرب، صور مخزية تمت على يد مدعي الحضارة، ستظل في التاريخ وصمة عار على جبينهم، وكم على جبينهم من وصمات"[(١)].

المبحث الثاني: إزهاق الروح المعنوية لدى المسلمين

لما فرغ الإنجليز من شفاء غليلهم وهدأت حدة الانتقام، وتم ضم الهند إلى مستعمرات التاج، وتولت الحكومة الإنجليزية مسؤولية الحكم، بدلًا من الشركة، وأعلنت الملكة فكتوريا ما سموه عفوًا عامًا، بدأ الحكم الإنجليزي ينفذ سياسة تجويع وتخويف المسلمين وقتلهم معنويًا في قوانين مدروسة وخُطَطٍ مرسومة.

فبعد النهل من دماء المسلمين اعتنى الإنجليز بإزهاق الروح المعنوية للمسلمين، وتقليم أظافرهم، وقتل كل أمل يراود نفوسهم فيما يتعلق باسترداد أيامهم الماضية، فأضعفوا المسلمين اقتصاديًا، سلبوا عقاراتهم، وصادروا أوقافهم التي تمد كثيرًا من المشاريع الإسلامية، وشجعوا الهنادك على انتزاع أملاكهم، ولم يتركوا لهم مكانًا للوظائف الحكومية، ووضعوا عراقيل كثيرة في تجارة المسلمين، فباءت تجارتهم بالفشل الذريع والكساد العجيب.

كما أنهم حاولوا تجهيل المسلمين، وذهبوا في ذلك كل مذهب، قتلوا العلماء، وشنقوهم، وعطلوا المدارس التي كانت في الهند كثيرة، ومنبع العلم والثقافة، وصادروا الأوقاف التي كانت روح المشاريع الإسلامية،

(١) المصدر السابق، ص٤٥٥-٤٥٦.

وحرضوا الأغنياء من المسلمين على ترك مساعدة المدارس والعلماء، فذهب العلم مع أهله، وبقي الجهل يمرح في المجتمع الإسلامي في الهند، الذي كان بالأمس من أرقى المجتمعات فكرًا وثقافةً، كما أن المسلمين حوربوا مرات في دينهم، فقد أقيمت لجان ومنظمات تبشيرية، تزرع الشكوك في قلوب المسلمين فيما يتعلق بالدين الإسلامي.

وعلى كل كانت هناك مساعي منظمة لسلخ الهوية الإسلامية، وإضعاف المسلمين دينيًا واقتصاديًا وثقافيًا واجتماعيًا، ليكونوا في البلاد طريدين شريدين، يعيشون على التسول والمهانة، ولايشاركون غيرهم في الحياة الإنسانية الطيبة، ولا في بناء الدولة التي عمروها وطوروها لدرجةٍ عظيمةٍ.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "اتجهوا إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية، فأفقروهم، وضاعفوا ديونهم، وساعدوا المرابين من الهندوس على انتزاع املاكهم، وسدوا في وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة، التي كانوا سابقًا يفوزون بأكثرها، وضعوا العراقيل المادية في سبيل الذين يحترفون التجارة منهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحُبت.

"واتجهوا إلى قتلهم بالجهل، وكانوا -حين دخل الإنجليز الهند- أرقى السكان عقلًا وعلمًا، كما قال مؤرخهم المستر "هنتر"، فحاربوا مدارسهم، وكانت منبع الثقافة والعلم في الهند، ونزعوا الأوقاف الإسلامية التي كانت توفر لها الأموال، وعمدوا إلى الأغنياء الذين كانت تدفعهم حميتُهم لمساعدة هذه المدارس، فأخافوهم أو منعوهم وأغروهم؛ حتى كفوا عن مساعدتهم، فأغلق كثير منها أبوابها"[(١)].

---

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٢٧-٢٨.

ويبدي الشيخ عبد المنعم النمر هنا وجهة نظره فيما يتعلق بموقف العلماء من العلم المدني الحديث الذي جاء به الإنجليز، فإن علماء المسلمين في هذه الأيام منعوا المسلمين من إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية، وذلك أولًا: لما ترسخ في قلوبهم من عداوةٍ شديدةٍ للإنجليز، وثانيًا: لإبعاد المسلمين عن الردة الفكرية، التي كانت الحكومة ساعيةً لنشرها بين أبناء المسلمين بصفةٍ خاصةٍ، عن طريق البعثات التبشيرية، وكانت هذه الفكرة قائمةً على الإخلاص والبراء من الإنجليز وثقافتهم، إلا أنها –حسب ما يقول الشيخ– تلاقت مع أغراض الإنجليز في تجهيل أبناء المسلمين.

يقول الشيخ: "وتلاقت مع أغراضهم الخبيثة هذه فكرة المسلمين السيئة عن المدارس الحديثة التي أنشأها الإنجليز على النظام الغربي، فأحجموا عن إرسال أولادهم إليها، بينما أقبل عليها غيرهم من طوائف الهند الأخرى، لتكون وسيلتهم إلى الوظائف الصغيرة، التي كان الإنجليز يتصدقون بها عليهم، لحاجتهم إلى هذا الصنف الصغير من الموظفين أبناء الهند".

"فمن هذا وذلك تأخر المسلمون تأخرًا واضحًا في التعليم، عن زملائهم في الوطن، مما لانزال –إلى الآن– نلمح آثاره، وهكذا أصيب المسلمون بنكسةٍ ظاهرةٍ في كل نواحي حياتهم، وأحسوا الخيبة، وشعروا بروح الاضطهاد من الحاكم القوي، أو قل: بروح انتقامه منهم، وتتبعهم، حتى لاتقوم لهم قائمةٌ، وهم الذين كانوا بالأمس القريب حكامَ البلاد وسادتَها".

"وكان على العكس منهم تمامًا سكان البلاد الآخرون، من الهندوس وغيرهم، فقد أقبلوا على الإنجليز وساعدوهم، وبادلهم الإنجليز هذه الروح، ومدوا لهم أيديهم، وعملوا في خبثٍ معروفٍ عنهم على احتضانهم؛ بما كانوا يلقون إليهم من فُتَاتٍ ضئيل، أو من نظرات العطف المصطنَعة، أو قل: من أساليب الاصطناع الماكرة، حتى يضربوا بهم أعداءهم الحقيقيين المسلمين، ووجد الهندوسُ إخوانَهم الذين كانوا يحكمونهم بالأمس، يئنون تحت سياط الجلاد الوافد من الغرب، فلم يأبهوا كثيرًا، وربما شَمِتُوا، ووجدوا أن الوقت يساعدهم على أن يشبعوا ما قد يكون في نفوسهم من غِل أو حقد على الحكام القدماء الذين أصبحوا اليوم طريدي الحاكم الجديد"[1].

المبحث الثالث: الجبهات العملية التي اختارها المسلمون في هذه الفترة إبقاءً على كيانهم ومعارضةً للإنجليز

لاشك أن الفترة التي تبِعت هزيمة الثورة الهندية ضد الإنجليز كانت فترة يأس وقنوط، وفترة إحباطٍ نفسيٍ قاتلٍ، وضعت المسلمين أمام مخرجٍ ضيقٍ، يصعب الخروج منه، فقد أحاطت بهم أنواعٌ من التحديات الصعبة التي تستهدف كيان الإسلام والمسلمين، وتقتل معنويات المسلمين، وتزرع في نفوسهم الاستسلام والركود والخوف مما يخبِّئه الدهر لهم في قادم الأيام.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٨-٢٩.

إلا أنه في هذه الفترة الحرجة كانت هناك ومضاتٌ قليلةٌ لامعةٌ وسط الظلام الحالك، ومضاتٌ يثيرها بعض العلماء الغيورين على الدين والثقافة الإسلامية، فمع كل الإشكاليات والتحديات لم يركنوا للخنوع والاستسلام، ومضوا في سبيل الحرية والكفاح، وتجنيب البلاد شرور الاحتلال، وتسليح المسلمين علميًا وفكريًا، فقد كانت هناك جبهاتٌ عمليةٌ، اتخذها علماء المسلمين قاعدة لهم، يصدرون عنها، ويرجعون إليها، وأخص بالذكر هنا جبهتين: جبهة الجهاد الإسلامي وجبهة المدارس الإسلامية، كما ذكر الشيخ عبد المنعم النمر.

جبهة الجهاد:

من المعلوم أن المقاومة الثورية ضد الإنجليز التي حدثت في مختلف الفترات التاريخية الهندية لم تكن لتحدث لولا فتاوى علماء الدين الإسلامي بوجوب مقاومة الاحتلال والدفاع عن الدين والدولة، وتحريم موالاة الإنجليز ومن والاهم، فقد كان الشاه عبد العزيز بن الإمام الشاه ولي الله الدهلوي أول عالمٍ حرٍ ثائرٍ، أصدر فتوى، أقامت الهند ولم تقعدها، وبعثت في نفوس المسلمين حب الجهاد والتضحية في سبيل الدين والدولة، ثم كان من تلاميذ الشاه عبد العزيز وأولاده وأحفاده من حملوا لواء الجهاد والكفاح، وحاولوا الرد على القوة بالقوة المادية والقوة المعنوية، وعدد هؤلاء العلماء كثير، واشتهر من بينهم السيد أحمد بن عرفان الشهيد والشاه إسماعيل الشهيد.

فقد كان هؤلاء المجاهدون بارقة أمل وشعلة بعثٍ جديدٍ، في وسط اليأس القاتل الذي استولى على سكان الهند لا سيما المسلمين، وكان هؤلاء

المجاهدون امتلأت نفوسهم بالإيمان بالله والإخلاص لدينهم وبلادهم، قد خُلِقُوْا من تراب الأنفة والحمية، ورُزِقُوْا همة وثابة متوهجة، لاتعرف الفتور، وعزيمة قوية لا تسلسلم للظلم والعبودية.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "كان هؤلاء المؤمنون المجاهدون برغم قلتهم شوكةً في جنب المستعمر، الذي كان يتخيلها دائمًا أكبر وأقوى من شوكة، ويخشى أن تزداد وتكبر وتقوى حتى تأتي على حياته"(١).

"هؤلاء المخلصون من أتباع فكرة سيد أحمد الشهيد، لم يركنوا للخنوع؛ بل جمعوا أنفسهم، وظلوا شوكةً في جنب الإنجليز، ولاسيما في الحدود الغربية الجبلية، فلم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند قائمين على الحق، باذلين في ذلك النفس والنفيس، والإنجليز يطاردونهم، ويضطهدونهم، ويصادرون أملاكهم وأموالهم، ويحاكمونهم محاكماتٍ طويلةً عريضةً، وهم محتسبون صابرون، لايضطربون ولا يتزعزعون، ولا يلينون، ولايستكينون"(٢).

نموذج حي نادر لعاطفة النضال والكفاح:

وأود أن أذكر مثالًا حيًا نادرًا لعاطفة الجهاد التي كانت تثور في قلوب المجاهدين، ذكره الشيخ عبد المنعم النمر نقلًا عن كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي، يقول الشيخ النمر: "وإليك صورة من هؤلاء المجاهدين، قدمها الأستاذ الندوي مفصلةً في مقالة، أقدم لك منها هنا خطوطًا عريضةً،

(١) المصدر السابق، ص٢٩-٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢.

تعطيك فكرةً عن هؤلاء الذين لم تخل منهم الهند؛ حتى في أشد أيامها ظلامًا، وإن لم يحظ بهم مكانٌ آخر على ما أظن، قال:

"في اليوم الثاني من مايو سنة ١٦٨٤م جلس القاضي الإنجليزي في محكمة أنباله، ومعه أربعة من وجهاء البلد، ليروا رأيهم في القضية ، ووقف أمام هؤلاء أحد عشر رجلًا، تنطق وجوههم وملامحهم بشرفهم وبراءتهم؛ ولكنهم اعتُبروا من كبار المجرمين الجناة، لأنهم –كما يقال– دبروا مؤامرةً ضد الحكومة الإنجليزية في الهند، وكانوا يساندون أنصار السيد الإمام المرحوم أحمد بن عرفان الشهيد، والمجاهد الجليل المرحوم الشيخ إسماعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال والرجال، يرسلونها سرًا من داخل البلاد بحكمةٍ عجيبةٍ، وقد وضعوا لمراسلاتهم لغةً رمزيةً، وكانوا يجمعون المعونة من رعايا الإنجليز أنفسهم، ويرسلونها سرًا إلى مركز الثوار، وعثرت على ذلك الحكومة بوشاية جنديٍ مسلمٍ في جنود الإنجليز، وقبضت عليهم من مدن بتنا وتهانيسر ولاهور، وحاكمتهم، وكان هذا هو يوم صدور الحكم عليهم".

"وتكلم القاضي، وهو يصدر حكمه، وخاطب شابًا جميلًا قويًا، يظهر أنه ربيب نعمةٍ وسليل شرفٍ، وقال له: إنك يا جعفر رجل عاقل متعلم، ولك معرفة حسنة بقانون الدولة، وأنت عمدة بلدك ومن سراته؛ ولكنك بذلك بذلت عقلك وعلمك في المؤامرة على الحكومة، وكنت واسطةً في انتقال المال والرجال من الهند، إلى مركز الثوار، إلى أن قال له: وها أنذا أحكم عليك بالإعدام، ومصادرة جميع ماتملك، من مال وعقار، ولايسلم جسدك بعد إلى ورثتك؛ وبل يُدْفن في مقابر الأشقياء بكل مهانةٍ، وسأكون

سعيدًا مسرورًا حين أراك معلقًا مشنوقًا، ولما انتهى القاضي من كلامه، قال الشاب بكل وقارٍ واتزانٍ: إن الأرواح بيد الله تعالى، يحيي ويميت، وإنك أيها القاضي لا تملك حياةً أو موتًا، ولا تدري من السابق منا إلى منهل الموت؟

فَوَ اللهِ مَا أَدْرِيْ وَإِنِّيْ لَأَوْجَلُ * عَلٰى أَيِّنَـا تَعْـدُوْ الْمَنِيَّـةَ أَوَّلُ

"وتعجب الناس من موقف الشاب المؤمن، الذي ظهرت عليه علائم السرور والاستبشار، وحين تقدم إليه الضابط الإنجليزي بارسن، وقال له: لم أر كاليوم يحكم عليك بالإعدام، وأنت مسرور مستبشر؟ قال له جعفر: ومالي لا أفرح ولا أستبشر، وقد رزقني الله الشهادة في سبيله، وأنت مسكين لا تدري حلاوتها، وحكم على اثنين آخرين بالإعدام، أحدهما شيخ مسن كبير، هو مولانا يحيى الصادق بوري أمير الجماعة، وثانيهما شاب ثري من بنجاب، هو الحاج محمد شفيع، وحكم على الباقين –وهم ثمانية– بالنفي المؤبد، كان مولانا يحيى يتمثل بقول سيدنا خبيب رضي الله عنه:

ولست أبالي حين أُقتَل مسلمًا * عـلى أي جنبٍ كان في الله مصـرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشـأ * يُبـارِك عـلى أوصـال شِلـو ممـزَّع

"وحين أحس الحكام الإنجليز أن الذين في السجن ينتظرون حكم الإعدام، فرحين بهذا الحكم، جُنَّ جنونهم، وفكروا في الحيلولة بينهم وبين مايرغبون فيه من الشهادة، فدخل عليهم حاكم المدينة يومًا، وهم في سجنهم، وتلا على الثلاثة حكم محكمة الاستئناف:

"إنكم أيها الثوار تحبون الشنق، وتعدونه شهادةً في سبيل الله، ولا نريد أن نبلِّغكم أملكم، ونُدخِل عليكم السرور، ولذلك نلغي حكم الإعدام، ونحكم عليكم بالنفي المؤبد إلى جزائر سيلان".

"وسيقوا إلى الأشغال الشاقة، ونُقِلوا من سجنٍ إلى سجنٍ؛ حتى وصلوا أخيرًا إلى جزائر أندمان أقسى منفى، ومات الشيخ يحيى في فبراير سنة ١٨٦٨م، أما زميله الشيخ جعفر فقد صدر العفو عنه بعد ثمانية عشر عامًا في السجن، وذلك في سنة ١٨٨٣م"(١).

وهذا مثال واضح للعزيمة المثالية التي كان يتحلى بها المجاهدون الأحرار، وقد ظلت هذه الهمة والعزيمة شعار المجاهدين الأبطال في الهند، وهم الذين تصدوا للإنجليز في معارك ثورية عديدة.

جبهة المدارس الإسلامية:

من أهم الجبهات العملية والدفاعية التي صنعها المسلمون حفاظًا على دينهم وثقافتهم، ودفاعًا عن كرامتهم ووطنهم، هي جبهة المدارس الإسلامية، التي أُسست لأهدافٍ نبيلةٍ بعيدة المدى، فكان العلماء الذين أسسوا هذه المدارس اشتركوا فعليًّا في ميدان الحرب، وخسروا المعركة، فَتَنَحَّوْا الطريق، وفتحوا جبهةً جديدةً للمقاومة المقدسة، أسسوا المدارس لدفاعٍ شاملٍ وتعويض عادل عن جميع الخسائر الفادحة التي أنزلها الإنجليز بالمسلمين، وكان الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله(٢) رائد

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٣٢-٣٥.

(٢) للاطلاع علي مآثره راجع: محمد نوشاد النوري القاسمي، **موقف الإمام النانوتوي من الشيعة** (الهند: مجمع حجة الإسلام ديوبند، ط١، ٢٠٢٠م).

هذه الجبهة الفكرية والعملية ومؤسس أول مدرسة إسلامية كبيرة في شبه القارة الهندية، وهي الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، لتكون قلعةً منيعةً، يلتجئ إليها المسلمون، ليتربوا فيها تربيةً دينيةً وثقافيةً.

فكانت المدارس الإسلامية تولت زعامة الإسلام والمسلمين، وظلت تشق طريقها إلى الأمام، تحيي السنة وتلغي البدع والمنكرات، وتنشر نور العلم، وتبدد ظلام الجهل، وتتحدى الباطل وتدمغ الافتراءات على الإسلام.

ما كانت طريق المدارس الإسلامية سهلةً ممهدةً؛ بل كانت شديدة الوعورة، كثيرة الالتواء، فكانت من جانبٍ سهامُ الافتراءات والأكاذيب من قبل المبتدعين وضعاف المسلمين موجَّهةً نحوها، ومن جانبٍ آخر كان أعداء الإسلام وقفوا ضد الإسلام وقفةَ رجلٍ واحدٍ، يتداعَون عليه من كل صوبٍ وحدبٍ، ويتألبون لزرع العراقيل في سبيله، وغرسِ الشبهات في قلوب أبنائه، وترسيخِ جذور النصرانية والهندوسية وتعريضِهم للجهل والأمية والبطالة والولعِ بالمنكرات والمحدثات وما إليها.

ولكن يالها من قلاعٍ عظيمةٍ بقيت رابطة الجأش، شديدة الشكيمة، ثابتة البنيان، قوية الأركان، أقامت جبهاتٍ، وأعدَّت كتائب، وسيَّرت الجيوش، وتصدّت للكل؛ حتى استقام الأمر بعد اضطراب، وانتشرت السنة بعد اندحار، وازدهر العلم بعد ذبول، ونفقت سوق العمل الإسلامي بجميع صوره بعد كساد.

ونظرًا لما تقوم به المدارس من خدمات عظيمة كان الإنجليز يخشون هذه المدراس ويزرعون العراقيل في سبيلها، يقول الشيخ عبد المنعم النمر:

"وكانت المدارس الدينية التي أنشأها العلماء بعد فشل الثورة، مراكز إشعاع هذه الفكرة -فكرة الجهاد- وتجديدها في النفوس؛ حتى كان الإنجليز ينظرون إليها نظرتهم إلى شبحٍ مخيفٍ، يعملون ما وسعهم الجهد للقضاء عليه وإبادته"(١).

وهنا يذكر الشيخ قصة عجيبة حدثت له قائلًا:

"دعيتُ مرة للمشاركة في الحفل السنوي، الذي تقيمه المدرسة الدينية "منبع العلوم" في بلدة قريبة من مدينة ميرت، تسمى "كلاوتهي" في فبراير سنة ١٩٥٧م، ودعاني السيد ممتاز من أثرياء البلدة لزيارته في بيته، وبدا لي من مظهر البيت أنه بيت مجد قديم، وكان معي مولانا بشير أحمد من كبار أساتذة دار العلوم ديوبند، وكان يدرِّس قبل ذلك في منبع العلوم هذه، فحدثني عن ظروف إنشاء المدرسة والمسجد المجاور لها، وقال: إن الذي بناهما هو والد السيد ممتاز، وبعد أن أتم بناءهما اعترض عليه الحاكم الإنجليزي للمنطقة، ولامه على بناء مدرسة، يدرس فيها المسلمون الجهاد وأحكامه، وكان الإنجليز يرتعدون من اعتناق المسلمين لفكرة الجهاد؛ بل من مجرد ذكر كلمة الجهاد، فكانت نتيجة ضغط الحاكم الإنجليزي أن تخلى هذا الغني عن المدرسة والإنفاق عليها.

"ولكن الشعب المسلم حين أحس هذا، نهض على الفور، واحتضن المدرسة، وتعاون أفراده في الإنفاق عليها، حتى بقيت قائمةً تؤدي رسالتها.

---

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٣٥.

"وكان هذا الغني قد استقدم أحد أبناء مولانا قاسم نانوتوي قائد جيش العلماء في الثورة الهندية ومؤسس دار العلوم في ديوبند، ليدرِّس في منبع العلوم، فأثار هذا فزع الحاكم الإنجليزي، وعمل على إبعاده عن المدرسة، ومع ذلك استمرت المدرسة، يحمل أعباءها الشعبُ المسلمُ الفقيرُ، الذي لم يستطع الحاكم الإنجليزي أن ينفذ إليه بتهديده، كما كان ينفذ إلى الأغنياء والأمراء.

"وهكذا كان الإنجليز يخافون المسلمين، ويخشون أن يرفعوا رؤوسهم من جديدٍ، ويستعيدوا ملكهم، وكان يبدو في صفوف المسلمين ما يشجِّع على خوف الإنجليز، وينميه في قلوبهم، ولذلك كانوا يميلون عليهم بكل قواهم.

"وكان أهم شيء يُقِضُّ مضاجع المسلمين بعد انتصار الإنجليز وضمهم الهند لمستعمرات التاج، هو خوفهم على دينهم من المتسلط الجديد، وقد رأوه يركِّز حربته ضد هذا الدين؛ حين أكثر من فتح المدارس الحديثة، وساند المبشرين بقوته، في الوقت الذي حارب فيه المدارسَ الإسلامية، ونزع أوقافها حتى أغلقها.

"فرأى بعض المفكرين من المسلمين أن سلطانهم وإن ضاع منهم حين لم يقدروا على الدفاع عنه بالسلاح، فإنهم يستطيعون أن يبذلوا من نفوسهم، ومن أموالهم ما يحفظون به دينهم؛ حتى لا تكون نكبتهم في سلطانهم ودينهم معًا.

"وإذا كان الإنجليز قد قضوا على كثيرٍ من الأوقاف، التي كانت تغذي هذه المدارس، بقصد القضاء عليها، فإنه من الممكن أن تقوم

مدارس جديدة، لاتعتمد على أوقاف؛ بل تعتمد على عامة الشعب الذين لاتمتد إليهم يد الحاكم وسطوته، بمثل ماتمتد إلى الأوقاف أو إلى الأمراء أو الأغنياء الكبار من المسلمين، فليعملوا إذن على الجهاد في هذا الميدان لكي يحفظوا على أنفسهم دينهم، وكانت الفكرة التي تستولي عليهم أن يربوا شبابهم تربيةً بعيدةً عن التيار الاستعماري الجديد تربيةً مستقلةً، تغرس فيهم روح الدين وكراهية المستعمر، وتحفظهم من الانحلال والذوبان في الغرب وشخصيته.

"ولا سبيل لذلك إلا مدارس دينية مستقلة في كل شيء عن الحكومة وكل من له صلة بها من الأمراء والأغنياء، وقام بعض العلماء الذين اشتركوا اشتراكًا فعليًا في حرب الإنجليز، وحمل السلاح ضدهم، قاموا للجهاد في هذا الميدان العلمي، بعد أن فشلوا في ميدان السلاح والحرب، فأنشأوا كثيرًا من هذه المدارس"[1].

الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند:

في صدد الحديث عن مراكز الإشعاع والمقاومة ذكر الشيخ عبد المنعم النمر أول مدرسةٍ إسلاميةٍ قامت بعد الثورة وسقوط الحكم الإسلامي في الهند، والتي أقامها العلماء المخلصون الذين تصدوا فعليًا للإنجليز في معركة شاملي الشهيرة، وهي الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، وهذا بيان في موضعه؛ فإنه لا يمكن لأي مؤرخ يؤرِّخ لتاريخ المدارس الإسلامية أو تاريخ الجهاد والمقاومة في سبيل تحرير البلاد

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٦-٣٧.

الهندية أن يتغاضى عن ذكر هذه الجامعة؛ فإن إغفالها ظلم للتاريخ وغمط للحق، ونكران للجميل.

يقول الشيخ في هذه الجامعة:

"وكانت أول مدرسة قامت على هدى هذه الأسس مدرسة دار العلوم في ديوبند، وهي بلدة تقع شمال دهلي، بنحو تسعين ميلًا، من بلاد مديرية سهارنبور، سكانها الآن نحو ثلاثين ألفًا، نصفهم مسلمون. وكان لمولانا محمد قاسم النانوتوي(مؤسس هذه الجامعة) صلة بإحدى أُسَرها، إذ تزوج منها، فالتجأ إليها، حين فشلت جيوش العلماء، وانتصر الإنجليز، واختفى فيها وفيما حولها؛ حتى أعلن الإنجليز العفو العام عن الذين اشتركوا في الثورة، فعاد لمباشرة نشاطه، واتخذ ديوبند مركزًا لهذا النشاط العلمي، واتفق مع أهل الخير فيها على إنشاء هذه المدرسة الدينية، التي جعلوا من أهم مبادئها عدم قبول أية منحةٍ من الحكومة، أو ممن يتصل بها، والاعتماد الكلي في ميزانيتها على عامة الشعب، على الآنة والروبية، وحُفْنَةِ القمح التي يتبرع بها الفقراء المسلمون المخلصون؛ حتى لا تكون عليها أية سيطرة مباشرة، أو غير مباشرة للحكومة.

"وبدأت الدراسة بها في مسجد صغير، لا زال قائما للآن يسمى مسجد "تشتة"(Chatta Masjid) بطالبٍ واحدٍ، هو محمود الحسن، وأستاذ واحد هو ملا قاري محمود، تحت شجرة رمانٍ في فنائه، وذلك في المحرم سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م، وتحت إشراف العارف بالله مولانا محمد قاسم النانوتوي.

"وشاء الله أن يكون أول تلميذ في هذه الدار محمود الحسن زعيمًا من زعماء الهند، في جهادها ضد الإنجليز لطردهم من بلاده، حتى اعتقلوه في مالطا أثناء الحرب العالمية الأولى، بعد أن قبضوا عليه وعلى بعض زملائه في الحجاز، وظل معتقلًا حتى سنة ١٩٢٠م، وعاد إلى الهند يهتف الشعب باسمه، ويخلع عليه لقب "شيخ الهند".

"وقد درجت المدرسة مع الزمان، ونمت وترعرعت بجانب المسجد الصغير، حتى صارت -كما رأيتها- تشغل مباني متعددة ضخمة، تقوم على مساحات واسعة، وتضم كثيرًا من الطلاب والموظفين والعلماء، واشتهرت بجهادها الديني والوطني، حتى أصبحت أكبر مدرسة دينية عربية في وسط آسيا بالهند وما حولها، يأتي إليها الطلاب من جميع البلاد الإسلامية، التي تحيط بالهند، فيجدون فيها العلم والغذاء والكساء والسكنى والكتب والعلاج؛ حتى أطلق عليها لشهرتها اسم "أزهر آسيا".

"ونحن لا يعنينا الآن أن نتكلم عن هذه المدرسة وما لمستُه فيها، فلذلك مكانه إن شاء الله، من الكتاب الذي سأضعه عن مشاهداتي في الهند؛ ولكن الذي يعنينا هو الأساس الذي قامت عليه هذه المدرسة وكل المدارس الدينية التي أنشئت على غرارها، وأثَّر ذلك في حياة المسلمين هناك.

كان الأساس الذي قامت عليه هي وزميلاتها أساسًا فكريًا خالصًا، يتمثل في الاحتفاظ بالثقافة الإسلامية ولغتها – اللغة العربية- ومحاربة الثقافة الإنجليزية والحيلولة بينها وبين الغزو الفكري والخلقي للمسلمين في الهند، وقد كوَّن هذا الاتجاهُ مدرسةً فكريةً خاصةً في الهند، كان لها أثرها البعيد المدى في حياة المسلمين الخاصة والعامة هناك.

يقول العالم الهندي أبو الحسن الندوي في كتابه: موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية: "حين احتل الإنجليز الهند برز في الميدان الإسلامي نوعان من القيادة: القيادة الدينية التي يتزعمها علماء الدين، والقيادة الثانية يتزعمها سير سيد أحمد خان.

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الإسلامي نفوذًا ورسوخًا في الدين، وزهدًا في الحياة، وغيرةً على الإسلام، وجهادًا في سبيله؛ لكن جوَّهم الخاص الذي عاشوا فيه، وثقافتهم القديمة لم تمكنهم من السيطرة على الحضارة الغربية، ثم إن الهمجية التي ظهرت من الحكومة الإنجليزية والقسوة النادرة التي عاملت بها المسلمين بعد الثورة الفاشلة عام ١٨٥٧م، وتحمس الحكام الإنجليز لنشر المسيحية، والسرعة في نشر الحضارة الغربية، كل ذلك جعل العلماء يقفون موقف الدفاع لا الهجوم، وجعلهم يفكرون في الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية والروح الإسلامية، والدعوة إلى تجنب هذه الحضارة، والابتعاد عنها ما أمكن، وجعلهم يفكرون في بناء معاقل الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وتخريج العلماء والدعاة من هذه المعاقل، التي سُمِّيَت بعد بالمدارس العربية"[(١)].

وأضاف الدكتور عبد المنعم النمر قائلًا:"وقد استطاع العلماء الداعون لهذه الفكرة بمالهم من تأثير روحي في الوسط الشعبي، وبمالهم من ماضٍ مجيدٍ في محاربة الإنجليز أن يؤثروا على المسلمين، ويجذبوهم

(١) المصدر السابق، ص٤١.

إلى صفوفهم في حرب الثقافة الإنجليزية؛ بل وكل ما أتى به الإنجليز إلى الهند من مظاهر، حتى ملابسهم وطريقة حياتهم في بيوتهم ومآدبهم، ووصلوا كل ذلك بتعاليم الدين، فإن الدين ينهى عن التشبه بالكفار وتقليدهم قائلا: من تشبه بقوم فهو منهم.

"وساعدتهم الروح العدائية التي يُكَنُّها الشعب المسلم للإنجليز، في تدعيم فكرتهم ودعوتهم لمقاطعة الثقافة الإنجليزية، والمدارس التي تحمل طابع هذه الثقافة، والتي أصبحت في نظر المسلمين المخلصين لدينهم مكانًا مسمومًا، ينفث سمومه في طلابه ضد الإسلام.

"وقد رأيت آثار ذلك في الوسط الديني هناك، فإن المدارس الدينية لا تعلم الإنجليزية لطلابها، برغم أنها اللغة الرسمية الضرورية لاتصال الشعب بالحكومة، ويكره العلماء هناك أن يلبس الطالب الديني القميص بالياقة، لأنه يشبه القميص الذي يلبسه الإنجليز، وفيه مخالفة لظاهر حديث من الأحاديث؛ بل يكرهون الحذاء ذي الرباط، لأن الإنجليز يلبسونه، إلى هذا الحد وصل العلماء في تعصبهم ضد الثقافة والمظاهر الإنجليزية احتفاظًا منهم بتقاليدهم وآدابهم.

"وقد نتج عن هذه الروح أنْ قاطَعَ المسلمون المتأثرون بالعلماء – وكثير ماهم- مدارس الحكومة، بينما انصرف إليها غيرهم، من الطوائف الأخرى، وتعلموا فيها وتخرجوا ليتولوا الوظائف الحكومية الصغيرة، التي منَّ الإنجليز بها عليهم، وإن كانت صغيرةً وتافهةً، إلا أنها على كل حال تمثل رقيًا جديدًا في مستوى هؤلاء الموظفين العلمي والمادي والنفوذي عن زملائهم المسلمين.

"وسار ركب الحياة في الهند إبان العهد الأول من الاحتلال الإنجليزي على هذا الأساس: أكثريةٌ غير مسلمة تتعاون مع المحتل، وتُقْبِل على مدارسه ووظائفه، وأقليةٌ كبيرة مسلمة تحجم عن هذا التعاون؛ بل تحاربه، وتنزوي بعيدًا عن الركب، عاكفةً على ثقافتها الخاصة، فرِحةً بها، عاملةً على تنميتها.

"وتلاقت نتائج هذه الفكرة-التي حملها العلماء- من غير قصد منهم طبعًا- مع فكرة الإنجليز العدائية للمسلمين، ورغبتهم في قتلهم علميًا وماليًا، وإبعادهم عن الحياة العامة"[١].

المبحث الرابع: الجبهة الإسلامية الموالية للإنجليز

وكانت هناك جبهةٌ إسلاميةٌ أخرى، قد لايكون شكٌّ في حسن نيتها وإخلاصها، إلا أنها حُفَّتْ بملابساتٍ أثارت كثيرًا من التساؤلات في سلوكها ونيتها، وهي جبهة السير سيد أحمد خان، الذي أقبل على التعليم المدني الوافد من الغرب مع الإنجليز، وأخلص للاحتلال، وأراد إزالة الجفوة بين الاحتلال والإنجليز، واتُّهم السيد أحمد خان مرارًا بالولاء للاحتلال وعُمالته له، وقد كان في مواقفه تجاه الاحتلال دليلٌ صادقٌ على هذا؛ ولكن عزاؤه أنه أراد أن لا يتأخر المسلمون عن الركب الثقافي الذي أتى به المستعمر، وعن بناء الدولة، الذي لايمكن لأحد أن يشارك فيه إلا أن يكون متسلحًا بالعلوم المدنية الحديثة.

---

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند،** ص٤١.

فقد أقام السير سيد أحمد خان مدرسةً في مدينة عليكراه، تُعلِّم التعليم المدني، وسط سُخطٍ شعبيٍّ عارمٍ، وقد كان السير سيد أحمد خان يرى آراء إلحادية فيما يتعلق ببعض الثوابت الإسلامية، مما زاد كراهية المسلمين لمشروعه التعليمي.

اللافت للنظر أن الشيخ عبد المنعم النمر قد أولىَ هذه الجبهة الموالية للإنجليز عنايةً كبيرةً، فتحدث عن معطياتها الإيجابية، وآثارها السيئة، وعن شخصية السير سيد أحمد خان، إلا أنه كان أقرب إلى الاعتدال والإنصاف.

وسأترك له الكلام عن هذه الجبهة، فهو يقول تحت عنوان "سرسيد أحمد خان ومدرسة عليكراه":

"وقد هالت هذه الحالةَ[1] نفرًا من المسلمين، لا ينظرون إلى الإنجليز وثقافتهم النظرةَ العدائية، التي يحملها العلماء المجاهدون، ومن سار على فكرتهم، ورأوا أن النتيجة الطبيعية لنظرية العلماء هذه أن يتأخر المسلمون عن ركب الثقافة الحديثة الوافدة مع المستعمر الجديد، بينما يتقدم غيرهم من أبناء البلاد، الذين أقبلوا على هذه الثقافة، ويسيطرون شيئًا فشيئًا على مقاليد الأمور في بلادهم، فوق أن النظرة العدائية المتبادلة بين المسلمين وبين أسياد البلاد الجدد لا تؤدي في نهايتها إلا إلى حرمان المسلمين من المشاركة في خيرات البلاد ووظائفها الهامة، وهذا وذاك يجتمعان ليلقيا ظلالًا كثيفةً على مستقبلهم في الهند.

(١) أي حالة التخلف والانزواء.

"من أجل هذا قام هؤلاء النفر وعلى رأسهم سير سيد أحمد خان يدعون إلى إزالة الجفوة بين الإنجليز والمسلمين، وإلى غرس الثقة في نفوس الفريقين، حتى يُقبل كل منهما على الآخر، فيستفيد و يفيد، كما دعوا المسلمين إلى الإقبال على التعليم المدني، الذي أدخله المستعمر للبلاد.

"وحين رأوا أنه من العسير إقناعهم بتسليم أبنائهم لهذه المدارس التي تديرها الحكومة، دعوا إلى إنشاء مؤسسةٍ علميةٍ إسلاميةٍ، يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث، مع تعاليم دينهم في جوٍّ مأمونٍ موثوقٍ به؛ حتى يستطيع أبناء المسلمين أن يغترفوا من معين الثقافة الغربية، ويشاركوا في نهضة البلاد، مع زملائهم الهندوس.

"وقد ولد السيد أحمد خان سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م، وتلقى التعليم الديني في صغره؛ حيث عُنِي والده متقي خان به وبتربيته تربيةً دينيةً، على عادة أهل زمانه، ونال حظًا من الثقافة العامة، ودفعه إلى الالتحاق بخدمة الحكومة، مخالفًا بذلك عادة أسرته، من التحرج والبعد عن الاشتراك في وظائف الحكومة، وتدرج في هذه الوظائف حتى عُيِّن قاضيًا في محكمة بجنور شمال الهند، وقامت الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م وهو في هذه البلدة، ولم يكن على اتفاقٍ في الرأي مع الثوار المسلمين، إذ كان يرى ألا فائدة من هذه الثورة، مادام التكافؤ بين القوتين معدومًا، واستطاع –وهو في هذه البلدة- أن ينقذ كثيرًا من الأسر الإنجليزية، ويحميها من فتك الثائرين بها.

"وكان رأيه هذا مع حمايته للأسر الإنجليزية سببًا في إثارة السُخط عليه من الثوار، ومحاولة الفتك به والتخلص منه؛ ولكنه كان من ناحيةٍ أخرى سببًا في كسب صداقة الإنجليز وثقتهم به واحتضانهم إياه.

"وفي هذه الظروف التي تحيط به أعلن دعوته إلى تأسيس مدرسةٍ حديثةٍ، تُعلِّم أبناء المسلمين العلوم المدنية، وكان قد انتقل إلى بلدة علي كراه، وهي بلدة صغيرة، تشبه بلدة ديوبند، وتقع على بُعْدِ نحو سنتين ميلًا في الجنوب الشرقي لدهلي، فدعا أغنياء المسلمين الذين يشاركونه فكرته، إلى التبرع لإنشاء هذه المدرسة التي نمت على مر الزمن، وصارت جامعة عليكره، واعترفت بها الحكومة سنة ١٩١٢م.

"وهكذا وُلد هذا المشروع في جوٍّ من الشك بصاحبه، والعداء الشديد من جمهرة المسلمين، -وكان هذا من سوء حظ المشروع مع الأسف"[١].

المبحث الخامس: عوامل نفَّرت المسلمين من مشروع السير سيد أحمد خان

وأخيرًا ذكر الشيخ بعض الأسباب التي نفَّرت المسلمين من هذا المشروع التعليمي، فقال:

"ولقد زاد في الشكوك التي تحوم حول مشروعه اعتماده في قيامه على الأساتذة والمديرين الإنجليز، الذين اتخذوا من عملهم أوكارًا لدعايتهم، والترويج لحكمهم، مما أعطى خصومه أسلحةً يُشهِرونها في وجهه، وقذائف يرمونه بها هو ومشروعه.

"فبدأ من أول لحظةٍ روح العداء بين المدرستين الفكريتين: مدرسة سيد أحمد خان وتمثلها المؤسسة العلمية التي أنشأها في عليكراه، ومدرسة العلماء المجاهدين المعادين للإنجليز وثقافتهم وتمثلها مدرسة دار العلوم في ديوبند والمدارس الدينية التي أنشئت على غرارها.

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٤١.

"واقتسمت هاتان المدرستان الفكريتان المسلمين، ولاتزال، وإن خفت الحدة بينهما الآن قليلا.

"ولقد كان من الممكن في رأيي –لو وقفت الأمور بين المدرستين عند هذا الحد من الاختلاف حول مصادقة الإنجليز وثقافتهم، أو معاداتهم مع ثقافتهم- أن تتقارب الفكرتان بمرور الزمن، وتطور الأحداث، التي كثيرًا ما تكون فيصلًا حاسمًا في مثل هذا الاختلاف؛ ولكن السيد أحمد خان أدخل في المعركة عاملًا جديدًا هامًا وحساسًا، أو إن شئنا الدقة قلنا: إنه أعطى خصومه سلاحًا جديدًا ماضيًا، شهروه في وجهه، و استطاعوا بسهولة أن يظهروا أمام عامة المسلمين رجلًا مارقًا من دينه، خارجًا عليه، هادمًا لأسسه المجمع عليها، فوق ممالأته ومعاونته للإنجليز-أعداء الدين والوطن-، وذلك حين تحدث في الدين بما يخالف ما عليه جمهرة المسلمين.

"ويظهر- في رأيي أيضًا- أن الجدل الحامي الذي ثار بينه وبين العلماء حول موقفه السلمي المعاون للإنجليز، ودعوته إلى الاغتراف من ثقافتهم، جرَّه إلى هذا الموقف الحرج، فقد برم بالعلماء وآرائهم في الدين، فأخذ هو الآخر يبدي فيه آراء حديثةً له، تتفق وعقليته واتجاهه، وزاد فأقدم على تفسير القرآن، متخذًا من عقله هو أساسًا لهذا التفسير، غير ملتزم للألفاظ ودلالتها، ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مر الزمن، فأنكر الجنة والنار، والملائكة والجن، وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء، ويستهزئ بالمحدثين، وبالشعائر الإسلامية(١)، فيهيج الرأي العام ضده،

---

(١) كما يقول المؤرخ الهندي العليكري السيد طفيل أحمد في كتابه "**هندستان كا روشن مستقبل**"، ص ١٧٣، برغم تعصبه لجامعته ومؤسسها.

وزاد في هياج الرأي العام المسلم، وتشديد النكير عليه من العلماء؛ حتى حكموا بكفره ما قرَّره في تفسيره، من أن القرآن نزل على الرسول عليه السلام، بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده[(١)].

"وهذا قول جريء، يهدم الأساس الذي قامت عليه معجزة الرسول، وتحديه للناس أجمعين بالقرآن باعتباره لفظا ومعنى من كلام الله، لا من كلام الرسول.

"وانضم إلى هذا كله أن السيد أحمد خان حين زار إنجلترا سنة ١٨٦٩م، حيث كان ابنه يدرس هناك، احتفل به كبار الإنجليز الرسميين، وهيأوا له زيارة الجامعات والمعاهد العلمية، وحظي بمقابلة الملكة فكتوريا، ونال حظًا وافرًا من إكرامها، وإكرام الصحافة الإنجليزية وثنائها عليه، مما زاده حماسًا في الدعوة إلى السير على الطريقة الإنجليزية في الحياة، والاغتراف من ثقافتهم في الوقت الذي كان الشعب يبغض فيه ذلك ولاسيما المسلمون"[(٢)].

وقال في إحدى مقالاته في مجلة تهذيب الأخلاق: "لا بد أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة الغربية، بكمالها حتى لاتعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها، ويُعتَبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة"[(٣)].

---

(١) انظر: أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٢م) ص ١٣١، ومما يؤسف له أن الأستاذ أحمد أمين تعصب لأحمد خان وهاجم العلماء الهنود بلا تحفظ، واعتبره في الهند شبيها بمحمد عبده في مصر في تجديده الديني، وفي هذا جناية على الحق، وعلى محمد عبده معا.(النمر)

(٢) عبد المنعم النمر، **كتاب كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٤٢-٤٤.

(٣) الندوي، أبو الحسن، **موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية**، (الهند: المجمع العلمي الإسلامي لكناؤ، ط١، ١٩٦٣م)، ص٤٠؛ السيد سير أحمد خان، **مقالات السيرسيد**، ترتيب: محمد إسماعيل الباني بتي (باكستان: مجلس ادب لاهور، ط٢، ١٩٨٤م)، ج٢، ص١.

ويضييف الدكتور عبد المنعم النمر قائلًا:

"كل ذلك دفع الرأي العام المسلم للثورة عليه ومحاولة قتله، وكان هذا كله من سوء حظ الجامعة أو المدرسة الوليدة التي أنشأها، إذ فهم المسلمون -ولهم العذر- أن مثل هذه الأفكار الخارجة عن الدين والوطن، سيلقِّنها السيد أحمد ومعاونوه في مدرسته من الإنجليز للطلاب، فيخرج منها جيلٌ على شاكلته، مارقٌ من دينه، ثائرٌ عليه.

"ومع كل هذه الصعاب سار السيد أحمد في طريقه بمعاونة الإنجليز وبعض الشخصيات الإسلامية الموالين لهم، والمعتنقين لفكرته، وعلى رأسهم آغا خان، وكان قد أسس مدرسته سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م، أي بعد تأسيس مدرسة دار العلوم في ديوبند بنحو عشر سنوات، فأخذت هذه المدرسة تنمو وسط الأشواك والصعاب، وتصير جامعةً مشهورةً على مر الزمن، تخرج فيها كثير من المسلمين المثقفين، الذين كان لهم أثرٌ كبيرٌ في حياة الهند السياسية والاجتماعية.

"ويقصدها كثيرٌ من كبار الزوار المسلمين للهند، زارها جلالة الملك سعود سنة ١٩٥٥م، وزارها السيد الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته للهند سنة ١٩٦٠م، ومنحته الجامعةُ الدكتوراه الفخرية تكريمًا لجهاده وجهوده، وقد أصبحت جامعةً حكوميةً تنفق عليها الدولة، وتستقبل الطلاب على مختلف أديانهم، برغم أن اسمها "جامعة عليكره الإسلامية".

"وقد أتيح لي زيارة هذه الجامعة في فبراير سنة ١٩٥٧م بدعوة منها، لحضور حفلتها السنوية لتوزيع الشهادات والجوائز على متخرجيها، ولذلك حديثٌ يطول، ويأتي إن شاء الله في مناسبته؛ حتى يظل حديثنا هنا قاصرًا على ظروف قيام هذه المدرسة وأثرها وملابساتها"[١].

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٤٥-٤٧.

الفصل الثالث:

تأليف حزب المؤتمر

إن حزب المؤتمر الوطني(National Congress Party) حزب وطني عريق في الهند، تأسس في عام ١٨٨٣م، وكان موقفه في البداية تجاه الإنجليز موقفًا لينًا جدًا، ثم انضم إليه طائفة من القادة المخلصين، فاشتد مع الأيام موقفه، وظل أكبر حزب وطني، يجاهد في سبيل الوطن، ويحارب المستعمر، ويحول دون تحقيق مراده، وينطق بلسان الشعب الهندي، ويضع العراقيل في مسير الاحتلال المشؤوم، وبالغ في جهوده وجهاده؛ حتى نالت الهند استقلالها عام ١٩٤٧م.

المبحث الأول: خلفية تشكيل حزب المؤتمر الوطني

قد اهتم الشيخ عبد المنعم النمر بذكر حزب المؤتمر وما حفَّه من ملابسات وأوضاع، وما دعا إلى تأسيسه من خلفية مثيرة.

يبدو من كلام الشيخ أن تأليف هذا الحزب نتيجةٌ مزدوجةٌ من إحساس الشباب الهندي المثقف بضرورة الجماعات الإصلاحية، ومن مكر الإنجليز وصيده في الماء العكر، حيث أفسح الإنجليز الطريق لتأليف هذا الحزب، ليمكن له التلاعب بعقل الشعب الهندي وتوجيه حزبه في غير الوجهة.

يقول الشيخ: "كانت الفترة التي أعقبت فشل ثورة الهند ضد الإنجليز سنة ١٨٥٧م فترة يأسٍ وخوفٍ وانطواءٍ بصفةٍ عامةٍ، كما عرفنا، وتمثلت فيها القبضة الإنجليزية القوية على عنق البلاد، بأجلى صورها وعلى أشدها، ولا سيما على المسلمين، ولم يكن من الطبيعي أن تستمر هذه القبضة القوية.

"فالإنجليز قوم ينظرون إلى المستقبل بعينٍ بعيدة المدى، ويعرفون نتيجة البطش المستمر، فربما يتولد عنه اتحاد قوي بين أبناء الوطن الواحد، ويفور كالبركان، فيقذفهم بحُمَمِه، وهم قوم مرنوا على سياسة الشعوب وملاعبتها، ولهم أساليب ملتوية في إلهائها، وتحويل تياراتها، وفي جعبتهم كثير من اللُّعَب، التي يعطونها للشعوب المنكودة الحظ باستعمارهم، فتشغل بها.

"وكان كثيرٌ من الطلاب الهندوس، وقليلٌ من المسلمين الذين تعلموا في مدارس الحكومة بالهند، قد أتموا تعليمهم في إنجلترا، وما لبث الشباب المثقف بالثقافة البريطانية، والذي اطلع على مجريات الأمور الدستورية في بريطانيا وغيرها من الدول التي أخذت بالأساليب الدستورية الحديثة، ما لبث هذا الشباب أن تكتَّل، وأخذ يتحدث ويقارن بين الإنجليز في بلادهم وبين ما يفعلونه في الهند من بطشٍ واستبدادٍ.

"وبهذا ظهرت الحركات الاجتماعية التي تهدف إلى تحسين حال الهند، من النواحي السياسية والاقتصادية، فتأسست الجمعيات الإصلاحية في بومباي وكلكتا ومدراس وطافت المظاهرات الشعبية الصاخبة بالاحتجاج على تقييد حرية الصحافة الناشئة.

"وبجوار هذا وجد الإنجليز كثيرًا من الأنين والشكوى، من حكمهم المستبد الجائر، وكانوا قد هدأت ثائرتهم، بعد مضي مدةٍ على الثورة وأحداثها، فرأوا أن يُلهُوا الشعبَ بلُعْبةٍ، يُنَفِّسُ بها عن نفسه تحت إشرافهم، فعملوا على تأسيس جمعيةٍ وطنيةٍ من أبناء الهند، يحمل

أعضاؤها المظالمَ إلى الحاكم، وينظمونها حين عرضها، حتى يمكن البحث فيها، فكانت هذه الجمعية هي نواة حزب المؤتمر الوطني الذي نعرفه الآن"[١].

وهل كان الإنجليز وراء تأسيس الحزب الوطني؟ إن هذا سؤال، يثير كثيرًا من التساؤلات، كما يثير الدهشة البالغة، أكبرُ حزب قومي يعتمد عليه الشعب اعتمادًا أعمى، لايتم تأليفه إلا بعد إشارةٍ من الاحتلال! معلومة قيمة؛ لكنها في نفس الوقت عجيبة، تزلزل الأقدام، وجاء الشيخ بإجابةٍ مقنعةٍ عن هذا السؤال نقلًا عن كتاب "بين الهند والباكستان"، فيقول:

"وقد يستغرب الإنسان لأول وهلة عندما يعلم أن هذا الحزب قد شق طريقه إلى الوجود بفضل تحمس رجلٍ إنجليزيٍ، هو مستر "ألن هيوم" من موظفي حكومة الهند المتقاعدين، وتزداد دهشته عندما يعلم أن "اللورد دوفرين" نائب الملك في الهند وقتذاك، هو الذي ابتكر الفكرة؛ ولكن الدهشة لا تلبث أن تزول، عند مايدرك أن ترحيب الحكومة بإنشاء هذه الهيئة؛ بل ابتكار الحكومة للفكرة قصد به أن تكون هيئة المؤتمر بمثابة صمام أمن، وأن تكون جلساته معرضًا تتبين فيه الحكومة الموالين لها من المتطرفين عليها"[٢].

---

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند** ، ص٥١-٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص٥٢.

صرَّح الشيخ بكل قوةٍ بأن حزب المؤتمر الهندي الوطني إذن لم ينشأ نتيجة قوةٍ وطنيةٍ، ولم يدفع إلى تأليفه رغبةً في استقلال، ولو ذاتيًا؛ ولكنه كان من تأليف وإصدار الإنجليز أنفسهم لحاجاتٍ في نفوسهم أولًا، ولإلهاء بعض النفوس المتعلمة بلعبةٍ صغيرةٍ، ينفسون بها عن أنفسهم، بالتحدث في بعض المصالح الفرعية ثانيًا، ولإيجاد أشياء يختلف عليها الشعب ويستنفد فيها قوته ثالثًا.

المبحث الثاني: إعلان المؤتمر في سنواته الأولى الو ء التام للحكومة:

ولعله بعد الاطلاع على عناصر وخلفياتٍ عاملةٍ في تأليف الحزب لا ينشأ هنا تعجبٌ مما فعله أعضاء المؤتمر من إعلان الولاء التام للحكومة، والإشادة بأعمالها البشعة وأفاعيلها المنكرة، فحين اجتمع المؤتمر الأول لأول مرة في ممباي سنة ١٨٨٥م أعلن أحد زعمائه مستر "بونارجي" أن بريطانيا قد فعلت الكثير لخير الهند وصالحها، وأطرى ما قامت به من جهودٍ في سبل إقرار النظام وتحسين المواصلات، وإدخالها التعليم الغربي في البلاد، كما صرح أحد زعمائه مستر "جوبال كرشنا جوكهل" بأن من الخير للهند أن تظل مرتبطةً بالحكم الإنجليزي"[١].

يقول الشيخ معلقًا على هذا: "ما أسعد الإنجليز بمثل هذه التصريحات، التي يعلنها أولئك الذين اصطنعوهم، ليعبروا عن رأي الهند

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص ٥٣.

فيهم، وما كان لهم أن يحصلوا على مثل هذا، لو لم ينتجوا ويخرجوا مثل هذا المؤتمر أو هذه التمثيلية"(١).

المبحث الثالث: المسلمون يتوجسون خيفةً من ا نضمام إلى حزب المؤتمر

كان المسلمون هم الهدف الحقيقي لاضطهاد الاستعمار، فكانوا يخافون من التورط في الأعمال التي تسبب لهم نوعًا من المشكلات، ومن جانبٍ آخر كانوا يعرفون أن الانجليز هم الذين يديرون دفة أمر الحزب الوطني، فقابلوا الحزب بمعارضةٍ شديدةٍ؛ ولكن الإنجليز حرصوا على أن يكون فيه مسلمون ليدل على أن الحزب ناطق بلسان الشعب الهندي بجميع أطيافه، فكسب الحزبُ بعض القلوب الإسلامية الغافلة، يقول الشيخ عبد المنعم النمر:

"قد حرص الذين اصطنعوه على أن يجعلوا فيه ممثلين للمسلمين؛ حتى يأخذ الصبغة العامة للبلاد وسكانها، وإن كان هذا قد لقي معارضةً شديدةً من جانب من المسلمين، في الوقت الذي لقي فيه تأييدًا من جانبٍ آخر منهم، ولأمر ما كان رئيسُ الجلسة الأولى التي عُقِدَت في بومباي، السيد رحمة الله أحدُ التجار المسلمين المعروفين في بومباي مع مستر بونارجي الهندوسي.

"وكان أعضاؤه في هذه الجلسة ٧٨ثمانيةً وسبعين؛ لأن الشعب كان يستولي عليه الخوف واليأس من كل عملٍ جماعيٍ، ولا سيما المسلمين منه، لشدة ما وقع عليهم من المظالم، ولعدم معرفتهم تمامًا بأصل تكوينه.

---

(١) المصدر السابق، ص٥٣.

"فلما لم يترتب على الجلسة الأولى أي إجراءٍ حكومي ضد أعضائها، وقام المؤتمر بالسعي لتحقيق بعض المصالح للأهالي، متمتعًا برضا الإنجليز وتأييدهم، ازداد عدد المنتسبين إليه، حيث صاروا في الجلسة الثانية، التي عقدت في كلكتا- العاصمة وقتئذ- سنة ١٨٨٦م برئاسة مستر بونارجي: ٤٣٦(أربع مائةٍ وست وثلاثين) عضوًا، منهم ٨٣(ثلاثة وثمانون) مسلمًا، وفي الجلسة الثالثة التي عقدت في مدراس برئاسة بدر الدين طيب زاد عدد الأعضاء إلى ٦٠٤(ستمائة وأربعة)؛ ولكن المسلمين ظلوا كما هم : ٨٣ (ثلاثة وثمانين) عضوًا"[١].

المبحث الرابع: إنشاء العصبة الهندوسية المتطرفة

إن حزب المؤتمر الوطني وإن جاء تأسيسُه بإشارةٍ من الإنجليز إلا أنه حاول أن يثبت وجوده ويفرض نفسه على الشعب الهندي، ويدافع عما يوجَّه إليه من تهمةٍ، فاختار بعض المبادئ التي تظهر فيها استقلاليته، وطالب الحكومةَ ببعض الحقوق والمصالح التي تخدم الشعب الهندي، وكان هذا تغييرًا بدائيًا في موقف الحزب؛ لكنه أثار حفيظة الإنجليز، وجعلهم يتوجسون خيفةً من الحزب وازدياد نفوذه في الشعب، فأراد كبح الحزب بسياسةٍ ماكرةٍ، وزرع العراقيل في طريقه.

ولم يكن هناك أنفع من إنشاء عصبةٍ متطرفةٍ، تتعصب لفكرتها، وتتهم غيرها بأنواع من التهم والشتائم، فأعدَّ الاحتلالُ جماعةً من أشد الجماعات تطرفًا، انقطعت إلى التنكيل بالمسلمين، وتشويه صورة الحكم الإسلامي في الهند، فقامت دعواتٌ منكراتٌ، تدعو المسلمين إلى الخروج من

---

(١) المصدر السابق، ص٥٣-٥٤.

الهند، وتريد إعادة الهند إلى ما قبل الإسلام، فحدثت اضطراباتٌ طائفيةٌ، وصراعاتٌ داخليةٌ، ومواجهاتٌ داميةٌ في عدة مواضع، وتفرقت كلمة الشعب الهندي، ولم تتفق آراؤه على رأيٍ وقرارٍ.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر:

"وكانت الأقلية الكبيرة المسلمة قد طال العهد عليها وهي ترزخ تحت عنت الإنجليز وتعسفهم، وإثارة أحقاد الهندوس عليهم، بواسطة المؤلفات التاريخية التي كانوا يكتبونها للمدارس وللشعب عن تاريخ الحكم الإسلامي، ويصورون المسلمين فيها حكامًا جزَّارين متعنتين متعصبين، ضد الأكثرية الهندوسية، فأداروا الدفة وأخذوا يعملون على بث الروح في الجسد الهامد كي يتحرك، ويقف أمام القوة النامية في المؤتمر، الذي صنعوه بأيديهم كذلك".

"وهذه هي عادة الإنجليز وسياستهم في كل البلاد التي حكموها: إثارة التفرقة بين المواطنين، وضربهم بعضهم ببعض؛ حتى يضمنوا لأنفسهم البقاء والهدوء، وهذه خطة لم يتورعوا عن إعلانها وإثباتها في تقاريرهم، كمبادئ وتعليمات وإرشادات للموظفين والحكام منهم".

"وهذه خطتهم في كل مستعمراتهم، ساروا عليها في الهند وغيرها، فاحتضنوا الهندوس أولًا، وعملوا على إثارة نفوسهم وأحقادهم على المسلمين بمختلف الوسائل، في الوقت الذي اضطهدوا فيه المسلمين، وضغطوا عليهم بكل قواهم؛ حتى أضعفوهم وأذلوهم خوفًا منهم أن يرفعوا رؤوسهم - وهم الحكام السابقون للهند- فيستردوا ملكهم المسلوب"[(١)].

---

(١) المصدر السابق، ص٥٥.

وهذه المعاملة القاسية أدت إلى صراعٍ طائفيٍ بشكلٍ كبيرٍ، ذهب ضحاياه المسلمون، فنكَّل الهندوسُ كما شاؤوا بالمسلمين، بإيعازٍ وإشرافٍ من الحاكم الغاشم.

ولم يكتف المستعمر بالتفرقة بين الهندوس والمسلمين؛ بل عملوا على أن يقسموا المسلمين إلى فرقٍ متعددةٍ، كعادتهم وخطتهم، فاحتضنوا السيد أحمد خان وجماعته، الذين يسيرون في اتجاه التيار الإنجليزي، وكان لا بد أن يقاومهم جماعةٌ أخرى من المسلمين، على رأسهم علماء جامعة ديوبند الدينية، وبذلك تفرق المسلمون، وحارب بعضهم بعضًا محاربةً فكريةً عنيفةً زادت فرقتهم، وأضعفتهم، بينما أعداؤهم من الهندوس والإنجليز يتفرجون، مع أنهم كانوا يعانون من عنت الحاكم ما أرهقهم وأضعفهم، في الوقت الذي انتهز فيه الهندوس هذه الفرصة، فكالوا لهم الضربات، بين وقتٍ وآخر، مستغلين الروح العدائية التي يكنها الحاكم الإنجليزي لهم[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المصدر السابق، ص٥٦.

الفصل الرابع:

تأليف الرابطة الإسلامية (Muslim League)

قد مرَّ أنه بعد الثورة الكبرى التي قام بها أهل الهند ضد الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٥٧م، أخذ الإنجليز في التفكير في كيفية إدارة هذه البلاد الشاسعة المتباينة في المستقبل، وفي كيفية احتواء ثورات المسلمين المتكررة، حيث كان المسلمون هم وقودَ وأساسَ أي ثورةٍ ضد المحتل، وبما أن الإنجليز المحتلين ظلوا أساتذة المكر والكيد ففكروا في إنشاء حزبٍ علماني قومي يجمع بين الهندوس والمسلمين، يكون هذا الحزب مسايرًا للإنجليز ومسالماً لهم، يقوم بدوره في امتصاص غضب الناس ويظهر بصورة الساعي نحو رقيِّ البلاد واستقلالها، ومن هذا المنطلق تأسَّس حزب المؤتمر الهندي الوطني على يد مستر «ألن هيوم» ونائب الملك الإنجليزي «اللورد دوفرين» سنة ١٨٨٣م، وعمل الإنجليز على الدعاية له بأساليبهم المعروفة والترويج له في صفوف المسلمين؛ حتى ارتفعت شعبية هذا الحزب، وانضم إليه كثير من الناس؛ ولكن غالبية من انضم إليه الهندوس والبقية من المسلمين.

المبحث الأول: خلفية التأسيس

كان فريق كبير من المسلمين ينظر بعين الريبة والشك لحزب المؤتمر، بسبب أصل نشأته ولكثرة الهندوس فيه واتجاهه الذي يغلب عليه الطابع الهندوسي، فاستغل الإنجليز الماكرون هذا الشك وأنشأوا عدة جماعات، ظاهرها إسلامي وباطنها شيطاني، تحمل أفكارًا، ظاهرها الدفاع عن حقوق المسلمين ضد طغيان الهندوس، مع الولاء الكامل للإنجليز،

وكانت أفكار السير سيد أحمد خان وجامعة عليكرة هي أساس منهج هذه الجماعات العميلة للإنجليز، وتبنت هذه الجماعات الثلاثة فكرة محاربة ومنافسة حزب المؤتمر، ورغم الهدف الخبيث الذي قامت هذه الجماعات من أجله إلا إنها كانت ذات أثرٍ كبيرٍ في لفت نظر المسلمين إلى البحث عن كيانهم وذاتهم الخاصة، وحقوقهم إزاء طغيان الأكثرية الهندوسية.

المبحث الثاني: أهداف الرابطة الإسلامية

بدأت مجموعة من زعماء المسلمين أمثال نواب[1] داكا «سليم الله خان» ونواب «محسن الملك» ومعهم ٣٦ زعيمًا وقائدًا مسلمًا في التفكير في إنشاء حزبٍ إسلامي يدافع عن حقوق المسلمين ويحقق الرابطة القوية بين المسلمين في بلاد الهند الشاسعة، وكانت هذه المجموعة قد شكَّلت وفدًا للاجتماعِ من نائب الملك الإنجليزي بالهند "اللورد كيرزون"، وقدَّمت له عريضة بمطالب المسلمين وحاجاتهم، وذلك في أكتوبر ١٩٠٦م-١٣٢٤هـ، وقد قابلهم اللورد بصورةٍ وُديةٍ، واستجاب لبعض مطالبهم خصوصًا مطلب تخصيص بعض المقاعد للمسلمين في الدوائر الانتخابية.

بعد هذا النجاح الذي حققه هذا الوفد في التفاوض مع الإنجليز، قرر هؤلاء الزعماء تأليف جماعةٍ خاصة تنطق باسم المسلمين وترعى حقوقهم، وتم الاتفاق على ذلك وأعلن قيام «مسلم ليگ» أي الرابطة الإسلامية في ١٤ من ذي القعدة ١٣٢٤هـ - ٣٠ ديسمبر ١٩٠٦م، وكان من أهم أهدافها ما يلي:

---

(١) لقب "نواب" يطلق على الحاكم المسلم للولايات الهندية شبه المستقلة داخل الهند، ويقابله لقب "المهراجا" إذا كان الحاكم هندوسيًا، وداكا (Dhaka)مدينة معروفة، وهي عاصمة بنغلاديش الآن.

١- حماية حقوق المسلمين، والتقدم بمطالبهم إلى الحكومة.

٢- تقريب وجهة النظر بينهم وبين المستعمر، وإزالة الجفوة التي كانت قائمةً من قبل؛ حتى يستطيع المسلمون الحصول على حقوقهم.

٣- على أن ذلك لايعني التحرش بالطوائف الأخرى؛ بل يجب أن يظلل الجميعُ المودةَ وحسنَ التفاهم.(١)

وقد أشار الشيخ إلى ما قوبل به إعلان هذه الرابطة في الجو الهندي، فقال ما حاصله: وبما أن الرابطة قد تم تأسيسها باسم المسلمين والدفاع عن حقوقهم، لذلك لم يكن لقيامها صدىً بعيدٌ، إلا أنه تأثر سلبًا على المتعصبين من الهندوس فأنشأوا حزب "هندومهاسبها"، في مقابل الرابطة الإسلامية، يرمي إلى بعث الهند العظيمة الهندوسية، والرجوع بها إلى عهد الفيدا: كتابهم المقدس، وتطهير البلاد من المسلمين الدخلاء وغيرهم، وأثار هذا الحزب الهندوسي روح الحماس الديني في نفوس الهندوس؛ مما أثار الحفائظ وهيَّج النفوس، وجعل عامة المسلمين يرون حزبهم الوليد بعين الوقار، ويرون فيه الملاذ الآمن لحقوقهم(٢).

كما كان من آثار الرابطة الإسلامية السلبية أن "جميع المذاهب الغير الإسلامية من الهندوس والسيخ والمسيحيين والبارسيين والجينيين أصبحت كتلةً واحدةً في الانتخاب، وخفت بينهم حدة العداوة التي كانت من قبل"(٣).

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٧٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٧٦.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٧٧.

وهو الحزب الذي أصبح مع مرور الزمان المتحدث الوحيد باسم المسلمين، ولم تكن في الهند إلا جبهتان: جبهة حزب المؤتمر الوطني التي تقول: إنها تمثل عامة سكان الهند، وجبهة الرابطة الإسلامية التي تقول: إنها ترعى حقوق المسلمين، وكانتا تلتقيان حينًا في جهودهما ضد الاستعمار، وتختلفتان أحيانًا في آرائهما الداخلية، حتى تطور الخلاف بينهما إلى صراعٍ عنيفٍ، انتهى آخر الأمر إلى تقسيم الهند وقيام باكستان(١).

فإنشاء الرابطة الإسلامية له أثرٌ بعيدٌ في تاريخ الهند وأوضاعها السياسية قبل الاستقلال والتقسيم، نعم! وكانت الرابطة الإسلامية قد جمعت تحت لوائها كثيرًا من الزعماء المسلمين المنتمين إلى الطوائف الإسلامية المختلفة؛ إلا أنها ظلت مرفوضةً من قبل كبار الزعماء المسلمين أيضا، بمن فيهم مولانا أبو الكلام آزاد والشيخ حسين أحمد المدني وغيرهما، وكان للرابطة بعض السلبيات التي جعلت كثيرًا من المسلمين ينفرون منها، لامجال لذكرها.

المبحث الثالث: الجبهة الثالثة المحايدة التي رفضت ا نضمام إلى كلٍ من حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية

ولقد أنصف الشيخ عبد المنعم النمر عند ما ذكر الجبهة الثالثة التي كان يمثلها علماءُ الإسلام الغيورون على الدين والدولة، الذين كانوا يعتبرون أي تعاونٍ من الإنجليز جرمًا، يحرمه الإسلام، والتي ترى أن كل مسلم مجنَّدٌ باستمرار لطردهم، وتحرير البلاد من طغيانهم، وأي تفاهمٍ معهم أو رجاء منهم يعتبر إقرارًا لهم بملكية البلاد، وكان على رأسهم الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف في الديار

(١) انظر: المصدر السابق، ص٧٧.

الهندية بـ شيخ الهند، وأصحابه وتلاميذه، وقد وقفوا هذا الموقف عند ما كان كل من حزب المؤتمر الوطني والرابطة الإسلامية يسارعان في الوقوف على باب الحاكم الإنجليزي، يلتمسان منه، وتتفاهم معه، ويتسولان حقهما من مغتصبيه[1].

وقد ذكر الشيخ كذلك الجفاءَ الذي لاقاه هؤلاء العلماء الأحرار في كُلٍّ من الوطن الهندي والوطن العربي الإسلامي، فهم لم يحظوا بذلك التقدير الذي ناله بعضُ الهنود الذين لهم بعض الإسهامات والمشاركات في عملية التحرير والكفاح الثوري.

يقول الشيخ: "إن الهند الحديثة اعتبرت كثيرين ممن كان لهم بعض الجهاد، أو قاموا ببث روح الوطنية في النفوس من رواد الحركة الاستقلالية التحررية مثل "تيلاك"، بينما لم يحظ بهذا التقدير أي واحد من الزعماء المسلمين المجاهدين، وعلى الأخص مجاهد عريق، مثل مولانا محمود حسن الذي لُقِّبَ بشيخ الهند، والذي خرجت البلاد كلها لاستقباله، وهو في مستهل حياته السياسية، والذي عاد من منفاه ليعلن حركة المقاطعة ضد الإنجليز، ويدعو لترك مدارسهم وترك جامعة عليكره، التي أصبحت وكرًا لهم، وإنشاء جامعةٍ إسلاميةٍ جديدةٍ، كانت هي الجامعة الملية الإسلامية العظيمة الشأن الآن في نيو دلهي...ألست ترى معي أن مشاركتنا في إهمال تاريخ هؤلاء مع الإشادة بغيرهم ممن بلغ أو لم يبلغ مبلغهم؛ ظلم يجب ألا نتورط فيه أوعلى الأصح: يجب ألا نظل متورطين فيه"[2].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٧٨-٧٩

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٨٠.

الفصل الخامس:
حركة العصيان المدني عند المسلمين

المبحث الأول: حركة العصيان المدني

"عدم التعاون" أو "العصيان المدني" أو "المقاومة السلبية" أسماء يطلقها الكتاب أو المتحدثون على الحركة التي قامت بها الهند، بقيادة غاندي لتحرير البلاد من سيطرة الاستعمار، منذ سنة ١٩٢١م حتى استقلت الهند سنة ١٩٤٧م"(١).

هذا ما عرّف به الدكتور عبد المنعم النمر حركة العصيان المدني، ولا شك أن جميع الكُتَّاب عن سيرة غاندي يذكرونه كمؤسس لهذه الحركة وقائدها.

يقول سلامة موسى وهو يتحدث عن بداية حركةَ العصيان المدني في عام ١٩١٩م: "ولكن من الآن أي حوالي سنة ١٩١٩م كان المسلمون يخشون حركة الاستقلال الهندي؛ لأنهم قلةٌ في جانب كثرة من الهندوكيين، وكل طائفةٍ من الطائفتين تكره الأخرى كراهةً صماءَ عمياءَ؛ ولكن حدث أن الحلفاء ضيَّقوا الخناق على تركيا، وكانت في ذلك الوقت الدولة العثمانية أي دولة الخلافة، ولما كانت بريطانيا على رأس الحلفاء في حركة تمزيق الدولة العثمانية هاج المسلمون الهنود على الإنجليز، ووجدوا من عداوتهم لهم ما يربطهم بالهندوكيين في طلب الاستقلال، فاتحدت الطائفتان من ذلك الوقت، وشرع غاندي يفكر في الطرق التي يجب على الهنود اتخاذها لحركة العصيان المدني، وقد لجأ أولًا إلى التجار والموظفين، فوجد منهم صدودًا،

(١) الشيخ عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٨٥.

فعمد إلى الشبان والطلبة، وناشدهم حق الوطن، فلبوا واستجابوا لدعوته، وهم إلى الآن الطائفة التي يُعتمد عليها في قيادة الشعب، وقد اتخذ العصيان المدني جملة أشكال، فكان أول أشكاله مقاطعة الأقمشة الأجنبية، وجمع غاندي عشرة ملايين روبيةً هنديةً لتغذية هذه الحركة، وقد أراد أن يسيرها في طريق السلم؛ ولكن الحركة خرجت من سيطرته، فاتجهت نحو العنف، ووقع الشغب في أماكن مختلفة، وقبضت السلطة البريطانية عليه، وقد عومل في المحكمة بالاحترام، إذ وقف له القاضي الإنجليزي، وشاوره في الحكم، وهذا أغرب حادثةٍ حدثت في تاريخ القضاء في العالم، إذ يستشير القاضي المتهم في شأن العقوبة التي يريد أن ينزلها به، ولم يكن بين الاثنين خلاف بشأن الوقائع والتهم، وإن كان الخلاف بشأن المبادئ، أو كما قال الأديب الفرنسي "رومان رولان": إنه كان بينهما صراع: غاندي يمثل الكرامة الإنسانية، والقاضي يمثل الإمبراطورية البريطانية، قال القاضي: أنت تعرف أن "طيلاك" عوقب بالسجن ست سنوات لأقل من هذه التهم التي اتُّهِمت بها، فقال غاندي: إنك تكرمني أعظم إكرام حين تضعني في صف الوطني "طيلاك"، وتكرمني أيضا حين تعاقبني بعقوبته، فحكم القاضي عليه بالحكم، وهو يقول: إنه لن يسر أحد بمثل سروره حين يعرف أن الحكومة قد خففت الحكم... ودخل غاندي السجن في مارس ١٩٢٢م، وخرج من يناير سنة ١٩٢٤م؛ لأن الإنجليز خجلوا من حبسه ست سنوات؛ لأنه يدافع عن وطنه"[١].

(١) سلامة موسى، **غاندي والحركة الهندية**، (القاهرة: مؤسسة الهنداوي للنشر والتعليم، ط١، ٢٠١٢م) ص٤٥-٤٦.

وبمثل هذا قال جميع الكتاب والباحثين، ولاشك أن غاندي له دورٌ مشكورٌ في حركة العصيان المدني، وقد تلاقت حركة الخلافة مع حركة العصيان المدني؛ فإن كلًا منهما كان يرمي إلى نفي الاحتلال واستقلال البلاد، والضغط على المحتل الغاشم ليقيم للعدل والمواثيق الدولية وزنًا.

المبحث الثاني: حركة العصيان المدني والمسلمون في الهند

إن الأوساط العلمية والتاريخية حتى اليوم تتغنى بما قام به المهاتما غاندي ومن معه من حركة العصيان المدني، معتبرةً إياها حجر عثرة في طريق تحرير البلاد، والأعجب أن المسلمين أيضًا يعتبرون غاندي مؤسس حركة العصيان، مع أنهم واضعوا فكرتها.

والواقع الذي صدقه التاريخ أن المسلمين منذ ١٧٥٧م أي قبل قرنٍ كاملٍ للثورة الهندية الكبرى كانوا يقومون بحركة العصيان ضد الإنجليز؛ حيث قاوموهم بالسلاح، وتصدوا لهم في المعارك الثورية، وقاطعوهم مقاطعةً كاملةً، وأفتوا بحرمة الولاء لهم، والانضمام إلى الوظائف الحكومية، فكان على المؤرخين والبصراء أن لايقللوا من قيمة هذه الخدمات التي هي تاج على رأس التاريخ الهندي في الحقبة الأخيرة، وهي تمهيدٌ لكل المحاولات التحريرية التي قام بها الثوار من بعدهم.

كان الشيخ عبد المنعم النمر متنبهًا لهذه النكتة، فسرد سردًا تاريخيًا مؤكدًا بالدلائل حركة العصيان المدني عند المسلمين، فهو يقول:

"الواقع أن المتتبع لتاريخ المسلمين في الهند يجد أن منشأ هذه النظرية عندهم قديمٌ، ولو شئنا الدقة لأرجعناها إلى سنة ١٨٠٣م، حين

أصدر مولانا شاه عبد العزيز الدهلوي شيخ المحدثين وابن شاه ولي الله الدهلوي فتواه، التي يعلن فيها أن المملكة الإسلامية في الهند بعد ما تسلط عليها الإنجليز، وتحكموا في كل أمر فيها، أصبحت بالنسبة لهذا الموقف دار حرب، يجب على المسلمين والمسلمات أن يجاهدوا الإنجليز ويقاطعوهم؛ حتى يخرجوهم من الهند؛ لأنهم أعداء المسلمين المحاربين لهم".

"وهذه الفكرة التي قامت عليها الفتوى هي التي اعتنقها العلماء ومدرستهم الفكرية، في الدعوة إلى مقاطعة الإنجليز، وعدم التعاون معهم، أو دخول مدارسهم الحديثة، ثم كانت الأساس لكل دعوة إلى محاربة الإنجليز، والعمل على إخراجهم من الهند، ولكل حرب شنَّها المسلمون المرابطون على الحدود الغربية ضد الإنجليز"[١].

ويزيد الشيخ الموضوع وضوحًا، فقال: "ولم يقف العلماء عند مقاطعة المدارس الحكومية الإنجليزية؛ بل قاطعوا كل مظهرٍ إنجليزيٍ، يَنِمُّ عن غزو الثقافة الإنجليزية لعقول المسلمين وتصرفاتهم، فالملابس التي يلبسها الإنجليز لايصح للمسلمين أن يلبسوها: القميص أو البدلة، أو حتى شكل الحذاء، ونوع الحلاقة التي يحلقها الإنجليز، والأكل بالشوكة والسكين كذلك؛ لأن الإنجليز هم الذين أتوا بهذه الكيفية للبلاد، وهكذا كل ما يدخل في باب المظاهر، التي أتى بها الإنجليز إلى الهند، مما يدخل في تصرفات الإنسان، ويحتمل أن يؤثر على عقليته ممنوع، ويجب على كل مسلمٍ مخلصٍ أن يقاطعه، ويتمسك بتقاليده وآدابه الإسلامية"[٢].

(١) المصدر السابق، ص١٢١-١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٢.

وهذا دليل على أن المسلمين هم كانوا واضعي حركة العصيان المدني، وناسجي بردتها، فقاموا بها تنظيرًا وتطبيقًا، وأن نسبتها إلى غاندي كمؤسس لها جهلٌ بالتاريخ، وغمطٌ لخدمات المسلمين في تحرير الهند.

ومن ذا الذي ينكر قيمة حركة الرسائل الحريرية، التي دبَّرها شيخ الهند؟ والتي كانت ترمي إلى الثورة الشاملة على الحكومة الإنجليزية بمساعدة الحكومات الإسلامية في أفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية، فالحركة وإن افتضح أمرها وانكشف سرها؛ لكن تركت بصمةً واضحةً في تاريخ الحركة الاستقلالية التحررية.

ففي صدد الحديث عن حركة العصيان المدني لدى المسلمين ذكر الشيخ جميع أنواع الكفاح ضد الإنجليز وحركات الجهاد الثائرة على الحدود، كما ذكر بصفة خاصة هذه الحركة لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وقد كانت الحركة سببًا للقبض على شيخ الهند وهو في الحجاز، ثم نفيه إلى مالطة: منفى الاحتلال البريطاني في الديار المصرية، كما كان الشيخ مولانا أبو الكلام آزاد يدعو المسلمين إلى مقاطعةٍ كاملةٍ للإنجليز؛ حتى زُجَّ به في السجن، في الوقت الذي كان المهاتما غاندي يطوف فيه البلاد ليدعو الشعب إلى ولاء الإنجليز. ولذلك كان يقول مولانا أبو الكلام آزاد: "وإني أصرِّح هنا بأن الهلال لم تكن إلا دعوةً للحرية أو الموت، وأن ما يعمله الآن المهاتما غاندي من بث الروح الدينية في الهندوس كانت الهلال قد فرغت منه سنة ١٩١٤م"(١).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٦.

المبحث الثالث: مبدأ اللاعنف عند غاندي

ولا شك أن المهاتما غاندي وضع مبدأ اللاعنف والمقاومة السلمية، وقد أخذ به كحركة، ودعا إليه، وكان المبدأ يقضي بأن على الشعب الهندي بأطيافه أن يتقبل اعتداء المحتل الظالم، ويصبر عليه، فلا يغضب ولا يثور ولايقاتل؛ وهذا مبدأ مرفوض عقلًا وفطرةً، وقد استجاب الشعب الهندي لهذا المبدأ في بعض الأحايين؛ ولكنه سرعان ما عملوا بما يرفض المبدأ، ويُقِضُّ مضاجع المحتل، فأصيب المهاتما غاندي بخيبة ويأس، كما هو مسطور في كتب التاريخ.

وفي هذا يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "لقد دخل غاندي غمار السياسة بروح الكاهن، وأراد أن يستغل هذه الروح في بعث الهند من جديد، وقد يكون هذا أمرًا حسنًا؛ ولكن المسألة انقلبت عنده بعد مدة قصيرة إلى العكس، فجعل مصالحَ الهند خادمةً لهذه الروح، إلى الحد الذي جعله يرفض تحقيق أية مصلحةٍ لها؛ حتى حريتها التي هي أغلى شيء عندها، إذا كان في تحقيقها ما يتعارض في رأيه مع هذه الصوفية، فكان بذلك خادمًا لهذه الروح، قبل أن يكون خادمًا للهند وحريتها"[(١)].

ولذلك ظل مبدأ اللاعنف مرفوضًا من قبل كبار زعماء الهند نحو مولانا أبو الكلام آزاد وجواهر لال نهرو والدكتور راجندر برساد، كما بسطه الشيخ عبد المنعم النمر في كتابه "كفاح المسلمين في تحرير الهند".

---

(١) المصدر السابق، ص٩٧-٩٨.

ولكن من إيجابيات حركة العصيان المدني في عام ١٩٢٠م أنها جمعت المسلمين والهندوس على رصيفٍ واحدٍ، وكوَّنت وحدةً هنديةً شاملةً بين أبناء الهند كلها على اختلاف أجناسهم وأديانهم؛ حتى كان المسلمون يرحبون بالزعيم الهندوسي يعتلي منبر المسجد ويخطب الناس، ويرحب الهندوس بالمسلمين في معابدهم، وشهدت البلادُ عهدًا من الألفة والمحبة لم تشهده من قبل؛ ولكن سرعان ما أدرك الإنجليز الخطر الداهم، ونصب رجالًا مأجورين ليقوموا ببث التفرقة بين المسلمين والهندوس.

وقد فصَّل الشيخ عبد المنعم النمر كلتا الفترتين: فترة الوحدة والوئام، وفترة الخلاف والنزاع الطائفي تفصيلًا لائقًا في الفصلين بعنوان "الفترة الذهبية في الهند بين المسلمين والهندوس"(١) و"الخلاف بين الهندوس والمسلمين"(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٤٣-١٥٢

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٥٣-١٧٥.

الفصل السادس:
تقسيم الهند إلى دولتين وما يتعلق به من سياق تاريخي وتعدد وجهات النظر وتطورات القضية

إن تقسيم الهند إلى دولتين قضيةٌ شائكةٌ، تحمل في طيها كثيرًا من الآراء ووجهات النظر والأحداث والسياق التاريخي، وأحسن الشيخ عبد المنعم النمر عندما بسط هذه القضية بشكلٍ دقيقٍ، استغرق نحو مائتي صفحة.

المبحث الأول: أول صوت عن بناء باكستان

أفاد الشيخ أن العلامة الشاعر الإسلامي محمد إقبال هو أوَّل من تحدث عن تقسيم الهند، وذلك عندما كان رَأَسَ المؤتمر الوطني للرابطة الإسلامية المنعقد في كانفور سنة ١٩٣٠م، فأبدى ضرورة تقسيم البلاد؛ ولكن أعضاء الرابطة وعلى رأسهم محمد علي جناح لم يُلق لرأي محمد إقبال بالًا؛ بل اعتبره رئيسُ الرابطة الإسلامية حلمًا من أحلام تلاميذ، يقول الشيخ: "سئلت قيادةُ الرابطة عن مشروع إقبال سنة ١٩٣٣م أمام لجنة إصلاح الدستور، فأجابت: إنه مشروع خيالي غير عملي، وهو لا يعدو أن يكون حلم تلاميذ"(١).

وكان إقبال ملحًا على فكرته، لا يجد فرصةً لإقناع محمد علي جناح إلا وينتهزها، ومحمد علي جناح برغم شدة تأثره بمحمد إقبال ظل

(١) عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص١٩٢.

على رأيه في أن يعيش المسلمون والهندوس جنبًا إلى جنبٍ في دولةٍ كبرى، هي الهند، وكان هذا هو رأي الرابطة التي يتزعمها محمد علي جناح، وقد حدثت في سنة ١٩٣٧م اضطراباتٌ طائفيةٌ كثيرةٌ في ضواحي البلاد، حصدت أرواح المسلمين كثيرًا، فكتب محمد إقبال إلى محمد علي جناح قائلا: "ألا تظن أن الوقت قد حان لإنشاء دولة الهند الإسلامية لتحل مشكلات المسلمين؟"(١).

وتُوُفِّيَ إقبال في إبريل سنة ١٩٣٨م، والرابطة ترفض اعترافها بمشروعه وكل ما يشغلها هو تحقيق مطالب المسلمين المشروعة في ظل الدولة الكبرى والعمل لتقوية نفوذها في الوسط الشعبي للمسلمين؛ حتى لا تُمنى بما مُنيت به من هزيمةٍ في انتخابات سنة ١٩٣٧م.

المبحث الثاني: الرابطة الإسلامية تتبنى التقسيم

في عام ١٩٣٩م قامت الحرب العالمية الثانية، وأعلن الحاكم الإنجليزي في الهند دخول الهند في هذه الحرب، بدون تفاوضٍ مع الزعماء الهنود، فاعتبره حزب المؤتمر تهديدًا صارخًا لتشخصه، وعدوانًا سافرًا على مصالحه، كما أن هناك نزاعاتٍ لاتنتهي بين أعضاء المؤتمر فيما يتعلق بدخول الهند في الحرب، وكان غاندي أشد الناس تثبتا بمبدأ اللاعنف، رافضًا بكل ما أوتي من قوة دخولَ الهند في الحرب، بينما كان آزاد رئيس حزب المؤتمر يرى رأيًا يفيد جواز دخول الهند في الحرب بشرط أن يعطي الاستعمار وعدًا صريحًا وضماناتٍ كافيةً لاستقلال

(١) المصدر السابق، ص١٩٢.

البلاد بعد انتهاء الحرب، وقد احتدم النقاش بين أعضاء الحزب ورجال الحكومة، والحكومة البريطانية لا تعطي أي وعد فيما يتعلق بالاستقلال.

فطبعًا هبَّ حزبُ المؤتمر من جديد ليدعو لمقاطعة الحكومة، معلنًا عدم دخول الهند في الحرب، فاستشاطت الحكومة غضبًا، وساقت الآلاف من زعماء حزب المؤتمر وأتباعهم للسجون والمعتقلات، فظل المسجونون في سجونهم حتى انتهت الحرب.

وإزاء ما أعلنه حزب المؤتمر من عدم اشتراكه في الحرب، إلا إذا أعطت بريطانيا وعدًا باستقلال الهند ووحدتها، قامت الرابطة الإسلامية من ناحيتها باجتماعٍ عامٍ في لاهور سنة ١٩٤٠م، شهده جميع المسلمين المنضمين للرابطة، وفي هذا الاجتماع راجعت الرابطة برنامجها، وحدَّدت أهدافها ومطالبها، واتخذت قرارًا خطيرًا نادى بفكرة إقبال، التي أعلنها سنة ١٩٣٠م، وهي إنشاء الدولة الإسلامية باسم باكستان.

وأعلنت الرابطة قرارها، الذي قال فيه: "أنها لن تقبل أي تعديلٍ في الدستور، أو ترضى أي حلٍّ إلا إذا قام على أساس إيجاد حكومةٍ ديمقراطيةٍ اتحاديةٍ إسلاميةٍ، تجمع بين الولايات التي للمسلمين فيها أكثرية معتبرة"[1].

وكان محمد علي جناح بعد أن اتخذ هذا القرار التاريخي الحاسم ثابتَ المبدأ، متفانيًا في سبيله، فلم تلن له قناةٌ، ولم تفتر له همةٌ، يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "وقف جناح عند مبدئه في التقسيم لا يتزحزح

(١) المصدر السابق، ص١٩٤.

عنه، غير هيَّاب ولا وَجِلٍ بما يتهمه به خصومه، من أنه بموقفه هذا يساعد على بقاء الوضع الراهن في الهند، أي الاحتلال، إذ كان هو الآخر يقول: إن الدعوة إلى بقاء الهند موحدة تعطي الإنجليز فرصة أطول للبقاء، بحجة حماية الأقليات، فكان الطريق الوحيد عنده لإخراجهم هو التقسيم"(١).

بينما كان غاندي ونهرو وآزاد وكثير من القادة المسلمين يرفضون بكل قوة فكرةَ تقسيم الهند، ملحين على وحدةٍ قوميةٍ كبرى، وكانوا يريدون تأجيل البحث في مسئلة التقسيم إلى ما بعد الاستقلال؛ ولكن جناح كان ثابتًا على دعواه ومطلبه، ولم يَجِدْ عنه قَيْدَ شعرةٍ، يقول الشيخ عبد المنعم النمر:

"وأعلن غاندي أنه إما أن تبقى الهند كلها وحدةً تامةً، أو على الأكثر، تنشأ ولاياتٌ إسلاميةٌ داخل اتحادٍ عامٍ، على أنه يجب تأجيل بحث مثل المسائل حتى تحصل الهند على استقلالها، ويترك البت فيها للمجلس التشريعي".

"ولم يكن جناح يقبل هذا أو يطمئن إليه، لا سيما والمجلس التشريعي أغلبه الهندوس الذين يريدون أن يحكموا الهند كلها، فهم لا يفرِّطون حينئذ في أمر هذا السلطان بسهولةٍ، فغاندي يدور ويَلُفُّ –في رأي جناح– حتى يوقع الصيد في القفص، ثم يكون بيده هو البحث في مصيره، ولن يتركه يخرج بعد ذلك"(٢).

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٧.

المبحث الثالث: التقسيم في مرحلته النهائية

بعد أن أعلن محمد علي جناح فكرة التقسيم، وأنه لا يتنازل عن هذا الطلب مهما كان الأمر صار أمر التقسيم هو الشغل الشاغل للقادة الهنود مسلمين وغير مسلمين، وكان حزب المؤتمر الوطني لن يرضى بحال من الأحوال بفكرة التقسيم، مما جعل الاختلاف والصدام بين المسلمين والهندوس يزيد ويشتد يومًا فيومًا، وكان المسلمون المتحمسون يرون هذه المسألة مسألةَ كرامةٍ وحياةٍ، وكان الهندوس يرونه تدخلًا في ما يصبون إليه من حكم الهند كلها، وحائلًا سميكًا دون الوحدة الكبرى التي قد تخدم الشعب الهندي بجميع أطيافه.

هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى كانت هناك قضيةٌ أخرى ذات جدلٍ أوسع وشغلٍ أكبر، وهي دخول الهند في الحرب العالمية الثانية في صف الإنجليز، وكان القادة الهنود يتداولون الأمر نفيًا وإثباتًا؛ حتى جاء ممثل الحكومة البريطانية سير "ستافورد كريبس" ليتفاوض مع الزعماء بشأن القضايا المصيرية: قضية استقلال الهند وقضية دخول الهند في الحرب وقضية النظام القادم في الهند وقضية تقسيم الهند.

يسرد الشيخ عبد المنعم النمر هذا اللقاء وما تبعه من نتائج وحلول، فيقول:

"وجاء سير ستافورد كريبس إلى الهند مرة أخرى، ليبحث مع الزعماء في إيجاد حلٍ لنظام الحكم المقبل، وتولى مولانا آزاد مفاوضته باسم الهند، باعتباره رئيس حزب المؤتمر الوطني، وصادفته عقبات

وعقبات؛ حتى تعقَّدت الأمور، هذا يرضى وذلك يرفض، وبدا واضحًا للعيان أن المسألة ليس لها حل إلا في النزول على الأمر الواقع"[1].

وماذا كان الواقع يحمله؟ هل كان في حضنه غير الاضطرابات والصدامات والنزاعات الدامية؟ فقد تجددت الاضطرابات بين المسلمين والهندوس وكثرت المذابح الطائفية، وعندما اختار نائبُ الملك الزعيمَ نهرو ليكون نائب رئيس الوزراء في الرابع من شهر أغسطس سنة ١٩٤٦م، وأهمل الرابطةَ وزعيمها، حمل جناح على هذا حملةً شعواء، ودعا المسلمين للاحتجاج عليه برفع الأعلام السود على بيوتهم ومتاجرهم كاحتجاجٍ صامتٍ على تولي الهندوس السلطة، فارتفعت ملايين الأعلام السود في كل مكانٍ، وكان هذا وحده كافيًا للتحرش وإثارة الأحقاد أو الاضطرابات والمذابح، التي ذهب ضحيتها عشراتُ الآلاف من المسلمين؛ مما أقضَّ مضاجع الحكام الإنجليز، ولم يبق لهم خيارٌ إلا خيار تهدئة الفتنة العمياء الثائرة.

فلندع الكلام للشيخ عبد المنعم النمر، الذي تناول القضية بتفصيلٍ مشبعٍ وبأسلوبٍ رصينٍ.

يقول الشيخ: "ففي ١٦أغسطس سنة ١٩٤٦م وقع في كلكتا قتالٌ عنيفٌ بين المسلمين والهندوس بخناجرهم الماضية، وراح ضحية هذا العدوان ما لايقل عن أربعة آلاف من الهندوس والمسلمين، فقد انتابت الفريقين نوبةٌ هستيريةٌ، وأخذوا في التذبيح والتقتيل من غير عاطفة

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠٩.

إنسانية، فكان من الضحايا أطفالٌ ونساءٌ وشيوخٌ، وكذلك في بيهار فيما بين أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٤٦م، حيث ذهب ضحيةَ المذابح التي دبَّرها الهندوس ما يقرب من ثمانية آلاف مسلم، وفي الأقاليم المتحدة مُثِّلت بجثث القتلى وارتُكبت بعض الفظائع"[1].

"وأقضَّت هذه الحوادث الرهيبة مضاجع المسؤولين في لندن والهند، وأحبوا التعجيل بوضع أية طريقةٍ للخروج من شبح الحرب الأهلية الرهيبة، فأخذوا يبحثون والحوادث الرهيبة تتجدد، برغم مساعي الزعماء، وطواف غاندي وغيره في البلاد لتهدئة الحالة".

"لقد وصل توتُّر الأعصاب بين المسلمين والهندوس ومعهم السيخ، إلى نهايته، وتجددت المذابح، وارتفعت أرقام الضحايا، ولم يعد هناك مفر من التسليم بالأمر الواقع، والخضوع لفكرة التقسيم، التي أصبحت عقيدة المسلمين أو حياتهم؛ حتى يمكن أن تهدأ هذه الفتنة الهوجاء.

"وقبِل حزبُ المؤتمر تحت ضغوط هذه الظروف فكرةَ التقسيم، وأعلنت الموافقةَ على مشروع التقسيم يوم ٣ يونيو سنة ١٩٤٧م، وأذاع زعماء الطوائف الثلاثة الكبرى في الهند: جواهر لال نهرو ممثل الهندوس، ومحمد علي جناح ممثل المسلمين، والسردار بالديف سنغ ممثل السيخ، أذاعوا على الشعب المشروعَ، وأوصوا أتباعهم بقبوله، ولم يُخْفِ كل من الBانديت جواهر لال نهرو والسردار سنغ خيبةَ أملهما في المشروع"[2].

(١) المصدر السابق، ص٢١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢١٠.

يضيف الشيخ قائلا: "وافق الزعماء في الهند إذن على أن يعلن استقلال الهند، وتسليم الحكم لكل من الدولتين في ١٥/ من أغسطس عام ١٩٤٧م، بذلك وبعد تعبٍ وإرهاقٍ ومذابح ودماء، وثباتٍ منقطع النظير، من جناح ومؤيديه، تحققت فكرة قيام دولةٍ إسلاميةٍ مستقلةٍ، مكوَّنةٍ من الولايات التي يكون فيها المسلمون أكثرية، وكان أول حاكم لها، هو أبوها، ذلك الذي أفنى حياته في سبيلها، القائد الأعظم محمد علي جناح، واعتُبر يومُ ١٥ أغسطس ١٩٤٧م موعدًا لإعلان الاستقلال لكل من الدولتين الجديدتين، فتتكون الهند من الولايات التي يكثر فيها الهندوس، وتتكون الباكستان من الولايات التي يكثر فيها المسلمون"(١).

بهذا الشكل المثير قامت دولة باكستان، وكان الشيخ عبد المنعم النمر موفَّقا كل التوفيق في سرد الوقائع والأحداث التي تتصل بتقسيم الهند، وقد استوعب الموضوع استيعابًا شاملًا، يعرض الآراء والنظرات حسب الدلائل والسياق الواقعي والتاريخي.

وبعد بيان الملابسات التي أحاطت بتقسيم الهند ذكر الشيخ عبد المنعم النمر مصير الإمارات، التي كان يحكمها الأمراء، والتي يبلغ عددها ٥٦ إمارة منبثَّة في جسم الهند كله، وتستغرق ٣٥% من الشعب، أما ٦٥% من الشعب فكان يحكمه الإنجليز.

المبحث الرابع: تقسيم الهند وتداعياته

وفي سياق تقسيم الهند قد عقد الشيخ عبد المنعم النمر عنوانًا باسم "هل كان التقسيم ضروريا؟"، تحدث الشيخ عن كلا الموقفين باعتدال

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٢.

واتزان، أما موقف جناح فقد ذكره الشيخ النمر بقوله: "إن جناحا رأى أن رجال حزب المؤتمر الذين اشتركوا في تاليف حكومات بعض الولايات بعد انتخابات سنة عام ١٩٣٧م إلى سنة ١٩٣٩م أنهم لم يراعوا في تصرفاتهم حقوق المسلمين، وكان تعصب الهندوسي منهم ظاهرًا ضد المسلمين، مما جعله وأنصاره يقطعون بأنه لا أمل للمسلمين في حكمٍ مشتركٍ، يكون الهندوس فيه أغلبيةً، فإنهم إذا كانوا يتصرفون مثل هذه التصرفات في أول حكومةٍ اشتركوا فيها وهم تحت ظل الإنجليز، فماذا يكون حالهم بعد أن تستقل البلاد، ويصبحوا هم المتحكمين في شؤونها باعتبارهم أغلبيةً فيها"(١).

وذكر موقف زعماء المسلمين الذين كانوا يخالفون جناحا في فكرة التقسيم، فقال: "أما الزعماء المسلمون الذين لم يشاركون جناحًا فكرتَه فكانوا يرون أنه (جناحا) ينظر بمنظارٍ أسود إلى تصرفات وزراء حزب المؤتمر، ويتهمهم جزافًا بأنهم متعصبون، مدفوعًا إلى ذلك بعدائه الشديد المتطرف للحزب ورجاله"...(٢)

ومن الحيدة العلمية لدى الشيخ أنه ذكر فوائد التقسيم ومضاره؛ ولكن كانت مكاسب تقسيم الهند في رأيه ضئيلةً بالنسبة إلى الخسائر الفادحة التي لقيها المسلمون في الهند وسيلقونها في المستقبل، فإنهم يعيشون حياةً مروعةً، لا حاضر لها ولا مستقبل.

---

(١) عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص٢٣١-٢٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٣.

و في تعبير الشيخ عبد المنعم النمر: "إن الجدل لا زال قائمًا حول هذه الفكرة في كل مكانٍ، حتى في داخل الهند وباكستان الآن؛ بل ربما يكون في الدولتين دائما، بصورةٍ قويةٍ متجددةٍ، تجدد الحوادث والوقائع الفردية والجماعية التي حدثت، وتحدث كل يوم؛ بل كل ساعةٍ ودقيقةٍ، فقد خلف التقسيم جراحاتٍ وانفصاماتٍ ومشاكل حتى بين الأسرة الواحدة التي ترى نفسها موزعة بين الهند وباكستان"[1].

ويقول أيضًا بعد سرد الحوادث والأخطار التي يواجهها المسلمون المقيمون في الهند: "وفي ظل هذا كله يعيش المسلمون، وهم ينظرون في حسرةٍ إلى ظروف حياتهم ومستقبلهم، هذا بالإضافة إلى ما يرونه أمام أعينهم من جهودٍ رسميةٍ مقصودةٍ أو غير مقصودةٍ للقضاء على لغتهم وتراثهم الديني، وينظرون إلى الطريق المرسوم، الذي يؤدي بأولادهم إلى المباعدة بينهم وبين لغتهم ودينهم، لتنشئتهم في ظل الدين الهندوسي ذي الآلهة المتعددة؛ في الوقت الذي لايستطيعون فيه قراءة كتاب بلغتهم الأوردية؛ لأنها تحارَب وتُضطهَد، ويُحال بين المسلمين وبين تعلمها في كثيرٍ من المدارس أو في كل المدارس الحكومية في بعض الولايات، حاضرٌ محفوفلإ كله بالمخاطر، ومستقبل كذلك؛ بل أشد وأكثر، وما قيمة الحياة إذن وليس فيها حاضر ولا أمل يسُرُّ؟[2]

وآثر الشيخ موقف العلماء والزعماء المسلمين الذين كانوا يتمسكون بوحدة الهند، بشرط أن تكون في الهند ولايات تتمتع بشبه الاستقلال الذاتي، لها برلمانها وحكومتها وقوانينها، دون أن تتعارض مع المبادئ العامة التي قام عليها الدستور العام للهند.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٦.

ولا شك أن التقسيم قد رضي به نهائيًا جميعُ الأطياف السياسية ووقَّع عليه الاحتلال البريطاني؛ ولكن أكبر تبعة التقسيم يقع على القائد الأعظم محمد علي جناح، الذي تطرَّف في موقفه، وأصر على النظر بعين واحدة.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر بشأن جناح: "ولقد حاول حزب المؤتمر-ولكن في آخر الشوط-أن يحتفظ بوحدة الهند بكل وسيلةٍ، وقدَّم من أجل ذلك العروضَ المختلفة، التي يمكن أن ترضي المسلمين، وتضمن لهم مستقبلهم، وتزيل من نفوسهم المخاوف، وكان من الممكن النظر فيها والوصول إلى اتفاق على أساسها، لوكان هناك زعيم آخر غير جناح؛ لأن جناحا لم يكن من المعتدلين أصحاب الحل الوسط؛ بل كان دائما من المتطرفين فيما يعتقدون، كان متطرفًا في عمله للوحدة، يوم أن وقف وعارض تقسيم بنغال سنة ١٩٠٥م، وعارض أمانيَ المسلمين في ذلك الوقت، تحمسًا منه في إيمانه بالوحدة؛ حتى سُمِّيَ رسولَ الوحدة، ثم حين عارض حزب المؤتمر وانسلخ عنه اشتد في معارضته، وحين آمن بالتقسيم تحمَّس له، ورفض كل عرض يخالفه، مهما يكن في هذا العرض من أمور تحفظ للمسلمين حقوقهم؛ لأنه في نظره مخالف من أساسه لفكرته التي آمن بها وهي التقسيم، وهكذا سار جناح في خطٍ واحدٍ نحو النهاية حتى تحققت، وقامت باكستان، وأصبحت حقيقةً واقعةً"[1].

وبعد ذلك عقد الشيخ عنوانا باسم "**التقسيم: كيف صار حقيقةً واقعةً وما نتائجه؟**"، أسهب فيه في بيان الأحداث التاريخية والاضطرابات الطائفية التي كانت سببًا لتقسيم الهند ونزول جميع الأطياف على طلب التقسيم.

---

[1] المصدر السابق، ص٢٤٠-٢٤١.

كما أنه اعتنى الشيخ بذكر أحداث ومذابح ومجازر ما بعد التقسيم، وذكرها بكل تفصيل، كما ذكر حدثًا هزَّ كيان الهند، وزلزل بنيان الدولة، وهو حدث مقتل غاندي في مساء ٣٠ يناير عام١٩٤٨م، الذي كان أكبر صوت في الهند بعد التقسيم، يقف بجانب المسلمين، ويرفع صوته لإقامة العدل والأمن، ويقف ضد مقاطعةٍ اجتماعيةٍ للمسلمين في الهند، آه غاندي.. الرجل الذي قدَّسه الهندوس، وأجَّله الناس جميعا، تمتد إليه اليد الآثمة المتعصبة لتقتله، ولماذا؟ لأنه وقف بجانب المسلمين في محنتهم التي لم ير التاريخ لها مثيلًا.

كما سرد بعد ذلك مصير ثلاث إمارات هامة: كشمير وجونا كره، وحيدرآباد، وما حدث فيها من مذابح وحرائق واعتداءات يتندى لها الجبين، وكانت جميع الولايات انضمَّت إلى الهند أو إلى باكستان بكل سهولة ودون ضجيج، ما عدا ثلاث إمارات: كشمير وجونا كره، وحيدرآباد، حيث قامت فيها المشاكل السياسية، وقد سردها الشيخ بتفصيل دقيقٍ وجديرٍ بالمطالعة، وخصَّ ولاية كشمير بذكر تاريخها وملابساتها السياسية وأفاعيل الظلمة مع الشعب الكشميري المسلم.

وأخيرًا أشاد الشيخ بجهود المسلمين في الهند، ويعلق آمالًا حول المدارس الإسلامية وعلمائها وطلابها الذين يقومون بمهمة التراث الإسلامي في الهند، فهو ينقل انطباعاته عن المسلمين في الهند قائلا:

"وكنت كلما رأيت المدارس الإسلامية تموج بطلابها، والمساجد تمتلئ بعبادها، والمآذن تدوِّي من فوقها كلمة "أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله"، والمجلات والكتب الإسلامية تُطبع وتُتداول بين أيدي قرائها، وأرى اللغة العربية لها حُماتها وكتبها ومجلاتها أحمد الله

وأزداد تقديرًا لإخواننا المسلمين الهنود، الذي وهبهم الله الشجاعة وحسن التفكير والتقدير ليظلوا في وطنهم جنودًا مرابطين، وفاءً منهم لتراثهم ووطنهم، نعم، إنني وقد شاهدت كل شيء هناك بنفسي، وعشت فيه بقلبي وحسي، ولمستُ الظروف التي يعيش في جوها هؤلاء الإخوانُ- وهي ظروف ليست مريحة في كل حال- لأنظر إليهم- وقد أخذوا على عاتقهم حراسة أثمن وأقدس ما يعتزّ به المسلمون في كل مكان- نظرتي إلى الجنود المرابطين المعرضين للمفاجآت في سبيل مُثُلُهم العليا، إنهم هناك يتحملون وحدهم ميراث التقسيم وما تركه لهم من مسؤوليات جسام، وما خلَّفه في النفوس من آثار حينما تثور وتفور؛ بل وحينما تهدأ"[(١)].

وختم الكتاب بقوله الهادف الذي هو مسك الختام: "إن لهم على المسلمين في كل مكان- وبخاصة في العالم العربي الذي تهفو إليه قلوبهم- ألَّا ينسوهم، وأن يظلوا دائما يذكرونهم- مع التقدير والعون- ويذكرون لهم ذلك الدور الكبير، الذي حملتهم إياه المقادير"[(٢)].

المبحث الخامس: ترجمة الكتاب إلى اللغة الأردية

وبالمناسبة أذكر أن الكتاب قد تمت ترجمته إلى اللغة الأردية: لغة المسلمين في شبه القارة الهندية، وقد ترجمه العالم الضليع والمترجم القدير الشيخ محمد علاء الدين الندوي أحد خريجي دار العلوم ديوبند باسم "آزادئ هند كي جد وجهد مين مسلمانون كا حصه"، وكان الشيخ محمد

---

(١) المصدر السابق، ص٣٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٤.

علاء الدين من تلامذة الشيخ عبد المنعم النمر في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، عند ما كان الشيخ عبد المنعم النمر يتولى التدريس في الجامعة بصفته مبعوثًا من الأزهر الشريف والمؤتمر الإسلامي، ومكث هنا في الفترة الممتدة بين ١٩٥٦م- ١٩٥٨م، وقد كان الشيخ محمد علاء الدين الندوي قد تخرَّج في دار العلوم التابعة لندوة العلماء لكناؤ، الهند عام ١٩٥١م، ثم تخرج في المدرسة العالية كولكاتا، ثم التحق بدار العلوم ديوبند عام ١٩٥٤م، وتخرج فيها عام ١٩٥٥م بتقدير وامتياز، ثم تخرج في قسم علم التفسير بدار العلوم ديوبند عام ١٩٥٦م، وبقي في الجامعة بعد ذلك عامًا كاملًا، يستفيد من شيخ الإسلام سيد حسين أحمد المدني في العلوم الإسلامية لاسيما في الحديث، ومن الشيخ عبد المنعم النمر في الأدب العربي، ونظرًا لما كان الشيخ يتمتع به من ذكاءٍ فطريٍ ومؤهلاتٍ علميةٍ وطبيعةٍ مائلة نحو الجد والكد اختاره الشيخ سيد منت الله الرحماني أمير الشريعة الإسلامية بولاية بيهار سابقًا مدرسًا في الجامعة الرحمانية مونجير بيهار، وبقي هنا خمسة عشر عامًا (بين ١٩٥٩م- ١٩٧٤م)، يدرس خلالها شتى المواد الإسلامية والأدبية، ثم اعتزل الجامعة. وكانت له إسهامات فعالة في مجال العلم والأدب، شارك في مشروع تدوين القوانين الإسلامية بصيغة أردية، والذي أقرَّتْه هيئةُ الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند نظرًا للحاجة المحكمية في الهند، فكانت المواد الإسلامية حول الأحوال الشخصية الإسلامية غير متوفرة في المحاكم الهندية؛ مما جعل القضاةَ يتخبطون خبط عشواء في مثل هذه القضايا، وكثيرًا ما أثارُوْا فتنةً عمياءَ بسبب جهلهم

بالأحكام الإسلامية، كما تمَّ تعيينُه مبعوثًا من قبل رابطة العالم الإسلامي في جمهورية فيجي، وهكذا عاش الشيخ حياةً حافلةً بالعطاء العلمي؛ حتى توفاه الله في الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٩٩٥م، وكان الشيخ ينتمي إلى قرية "ببرا لطيف"بمديرية كهكريا بولاية بيهار الهند، وكان من مواليد عام١٩٣١م.

أما بالنسبة للترجمة فقد ذكر الشيخ محمد علاء الدين الندوي بدوره أن الشيخ الفقيه القاضي مجاهد الإسلام القاسمي رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند قد أشار عليه بالترجمة، وقد استمر طلبه بإلحاح؛ حتى وافق على ذلك، وبدأ الترجمةَ باسم الله، والمثير للانتباه أنه لم تمضِ بضعةُ شهور إلا وقد أكمل الترجمة في عام ١٩٦٩م بلغة أردية فصيحة.

يقول الشيخ أحمد جمال باشا في هذه الترجمة: "وقد نقل الشيخ محمد علاء الدين الندوي هذا الكتاب إلى اللغة الأردية، وهنا لابد من الاعتراف –وسوف يرى رأيي كلٌّ من يتصفح الترجمة- بأن أسلوب الترجمة هو أسلوب سلس، يتميز بجزالة اللفظ وسهولة الأداء وجودة السبك، يبدو كأنه كتاب أصيل دون الترجمة، ومن أهم ميزات هذه الترجمة هي سلاسة وتبسيط، من بداية الكتاب إلى آخره، وقد أدى هنا حق الندوية" [انتماءه إلى ندوة العلماء لكناؤ][(١)].

---

(١) الشيخ عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند** (آزادي هند كي جد وجهد مين مسلمانون كا حصه) ترجمة: محمد علاء الدين الندوي(الهند: مجلس گياره ستارے كهگڑيا، بهار، ط١، ٢٠١٢م)، ص١٩.

وقبل بدء عملية الترجمة كتب الشيخ محمد علاء الدين الندوي رسالةً إلى الشيخ عبد المنعم النمريستجيزه بالترجمة، فأجازه بها وبكل فرحة واعتزاز.

وفيما يلي نص الرسالة:

فضيلة الأستاذ/ محمد علاء الدين الندوي

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد!

فقد تلقيت بكل الشوق والتقدير رسالتكم الكريمة، التي تفيض إيمانًا وغيرةً على ديننا الحنيف والجهاد في سبيل نشر رأية الإسلام وإعلاء كلمة الحق والعدل على هدي ماجاء به كتاب الله وسنة نبيه الكريم.

وتقديرًا منى لجهودكم المشكورة في نشر الكتب الإسلامية، فإني وبكل الترحيب أفوضكم في ترجمة كتبي -التي أشرتم إليها في خطابكم- إلى اللغة الأردية عسى أن ينتفع بها قارؤوها.

أرجو من الله لكم دوام التوفيق والسداد، وجزاكم عن الإسلام خير ما يجزي علماءه العاملين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د.عبد المنعم أحمد النمر

وزير الأوقاف

١٤-١٠-١٩٧٩م.[١]

ومن العجيب أن هذه الترجمة الأردية رغم إكمالها في بضعة شهور بقي ينتظر خروجها إلى عالم النور لمدة تقارب ٤٠ عامًا، وكان

(١) المصدر السابق، ص٢١.

المترجم بدوره يسعى لطباعتها، ثم قام ابنه الشيخ محمد وقار الدين لطيفي مع أخيه محمد شفاء الدين الندوي بطباعةٍ رشيقةٍ لترجمة الكتاب في عام ٢٠١٢م، وهو مازال مصدرًا هامًا باللغة الأردية لتاريخ الهند في الفترة بين ١٨٥٧م- ١٩٤٧م.

خلاصة الكلام أن كتاب كفاح المسلمين في تحرير الهند من أهم مؤلفاتِ الشيخ عبد المنعم النمر، ومنهجه في البحث والنقد والتحليل منهجٌ علميٌ خالص، يستند إلى مصادر موثوق بها، فهو بذلك يسد فراغًا تاريخيًا هائلًا، ويتخذ من القضايا السياسية الشائكة مواقف حاسمة مؤيدة بالوثائق التاريخية والسياق الزمني للأحداث والتقلبات بشكل يحصد الإعجاب ويثير الحيرة والاستغراب.

الباب الرابع

كتاب "مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند": دراسة تحليلية

إن كتاب "مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند" ثالث الكتب الثلاثة، التي ألفها الدكتور عبد المنعم النمر حول تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند، وهو في الواقع رسالةٌ له في الدكتوراه، اختار هذا الموضوع ليتحدث عن أكبر مصلحٍ دينيٍ وزعيمٍ سياسيٍ في الهند، وهو مولانا أبو الكلام آزاد الذي كان شعلة ثورة ووميض أمل، وقام بدور أي دور في إيقاظ المسلمين والشعوب الهندية، وفي حركة تحرير الهند.

وقد حاولتُ جهدي للحصول على نسخة ورقية للكتاب، وطفت بالمكتبات الشهيرة في الهند؛ ولكني لم ينجح لي مسعاي، وبعد لأي وجهد حصلت على نسخة إلكترونية من موقع مكتبة نور الإلكترونية، مكتوبة على الآلة الكاتبة القديمة، شُوِّه فيها بعض الكلمات والحروف، مما جعل الاستفادة منها متعذره، وهي من منشورات قسم التاريخ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر إلا أنه كما قيل في المثل الأردي: الغريق يكفيه العشب، تلقَّفتُه واعتبرته رائدي في البحث، والكتاب قد نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب كما جاء في ترجمة كتاب غبار الخاطر لأبي الكلام آزاد.

الكتاب مشتمل على ٥٠٢صفحة، موزَّعًا على مقدمة ومدخل وخمسة فصول وخاتمة كالتالي:

المقدمة: وهي تتحدث عن سبب اختيار مولانا أبي الكلام آزاد موضوعًا لرسالة دكتوراه.

المدخل: المدخل يتحدث عن تاريخ المسلمين في الهند منذ دخلها الإسلام حتى عصر آزاد.

الفصل الأول: التعريف بآزاد من حيث الأسرة والنشأة والعوامل التي أثرت في تكوينه.

الفصل الثاني: آزاد مصلحًا دينيًا

الفصل الثالث: آزاد زعيمًا سياسيًّا

الفصل الرابع: أخطر مراحل الكفاح التي يقودها آزاد

الفصل الخامس: آزاد وقضايا البلاد الإسلامية

الخاتمة: وهي تشتمل على نتائج وتوصيات.

وحاولت أن أتمشى مع المؤلف في عرض مواضيع الكتاب وتقييمها بشكلٍ علميٍ مقبولٍ، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول:
مقدمة الكتاب

استغرقت مقدمة الكتاب١٠ صفحات، تحدث فيها الدكتور عبد المنعم النمر عن صلته بالهند ومعرفته بها، فالشيخ كان مبعوثا للأزهر وللمؤتمر الإسلامي إلى الهند، وقد وصل إليها سنة ١٩٥٦م، ولم يكن لديه معرفة كافية عن الهند الحاضرة وما تعاقب عليها من أدوار تاريخية، قام فيها المسلمون بإقامة حكم إسلامي وبسط نفوذ إسلامي وبناء دولة حضارية وحضارة راقية في الهند، اللهم إلا قصة غزو محمد بن القاسم التي كانت عالقة بذهنه، ولندع الكلام للشيخ يتحدث عن قصته مع الهند بما فيه كفاية.

يقول الشيخ: "ولقد كان مما قدر الله لي أن أكون مبعوثا للأزهر وللمؤتمر الإسلامي إلى الهند، وأن أصل إليها في الثالث عشر من يناير سنة ١٩٥٦م، دون أن تكون لديَّ حصيلة أو شبهها عن تاريخ المسلمين في هذه البلاد الواسعة، بعد أن تعبتُ في الحصول على مصادر تنير لي الطريق قبل سفري إليها، مما لابد أن يعرفه المبعوث عن أي بلد سيعمل فيها".

"كان كلُّ ما أعرفه هو ما يذكره مؤرخنا القدامى عن الفتح الإسلامي للسند على يد محمد بن قاسم الثقفي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، كما فتحها من بعده السلطان محمود الغزنوي، أما غيرذلك فكان مجهولًا لدي، ولدى كثير من المثقفين"[1].

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند** (رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، د.ت، د.ط)، ص٣.

ثم تحدث الشيخ عن سبب تأليف الكتاب، فقال ما حاصله: إن العرب لايعرفون عن الهند بعد تقسيمها شيئًا، فهم يعتبرون الهند خاليةً من المسلمين، وأن المسلمين كلهم أو جلهم انسحبوا إلى باكستان، وبذلك يتغنون بمآثر "نهرو" و"غاندي" كبطلٍ سياسي، جاهلين بشخصياتٍ إسلاميةٍ بارزةٍ، لها دورٌ كبيرٌ في الحفاظ على الكيان القومي والإسلامي، يقول الشيخ: "وكانت اللافتة الحديثة للهند أمامنا هي غاندي ونهرو، وحركة العصيان المدني وتقسيم الهند إلى دولتين، كانت باكستان إحداهما، وذلك في نطاق معلومات قليلة، وحتى بالنسبة لهذا التاريخ الحديث كانت الفكرة الغالبة حتى لدى المثقفين أن الهند لم يَعُدْ بها مسلمون بعد قيام باكستان التي ضمَّت –في ذهنهم وتصورهم- كل المسلمين في شبه القارة الهندية، وخلت الهند تماما عن المسلمين؛ حتى كانوا يتعجبون كلما سمعوا مني أنني مسافر إلى المسلمين في الهند، فيحاولون أن يصححوا ما يظنون أني أخطأت فيه، فيقولون: باكستان، فأقول: الهند"(١).

وأعاد هنا ما كتبه في مقدمة كتابه التاريخي الشهير "تاريخ الإسلام في الهند"، وحاصله أنه لما اطلع على تاريخ المسلمين في الهند ومآثرهم الغر، ونظر إلى جهل العرب بتاريخ المسلمين، فاعتبر واجبَه عظيمًا، وأراد الكتابة عن التاريخ الإسلامي، فكتب ثلاثة كتب، يقول الشيخ: "فكانت أولى ثمار هذا الجهد كتاب تاريخ الإسلام في الهند، الذي قدمتُه للمطبعة فور عودتي لأرض الوطن سنة ١٩٥٨م، فكان أول مرجعٍ مفصلٍ بالعربية عن المسلمين في الهند، منذ دخل الإسلام أرض الهند في عهد الخلفاء الراشدين، ثم قيام

---

(١) المصدر السابق، ص٣-٤.

الحكم الإسلامي فيها بعد ذلك قرونًا طويلةً؛ حتى سقطت الإمبراطورية الإسلامية المغولية سنة ١٨٥٧م على يد الإنجليز، مضيفًا إلى التاريخ مشاهداتي لآثاره، ووصفي لها مع بعض الصور والخرائط، فجاء الكتاب في ٤٨٠صفحة، وفي سنة ١٩٦٤م أخرجت كتابي الثاني عن الهند "كفاح المسلمين في تحرير الهند"، الذي أرَّخ لحالة المسلمين في تلك البلاد، إبان عهد الاستعمار الإنجليزي من سنة ١٨٥٧م حتى سنة ١٩٤٧م، حين ظفرتْ بالاستقلال، وانقسمت إلى دولتين"[١].

ثم يتحدث عن الحافز القوي لوضع هذا الكتاب، فقال وبكل وضوح: "وقد حفزني لإخراج هذا الكتاب ما لمستُه من عدم الإلمام –حتى من المثقفين المتخصصين- بموقف المسلمين في الهند في هذه الفترة؛ بل ما أفزعني حين كنت أجد بينهم صورة عامة ظالمة لإخوانهم في هذه البلاد، وتصويرهم بأنهم كانوا ضالعين مع المستعمرين، معوقين لحركة الاستقلال التي قادها –في رأيهم- غاندي ونهرو، مع أنه كان للمسلمين موقفٌ عظيمٌ، ودورٌ حاسمٌ في الوقوف ضد الإنجليز منذ بدأ شبحهم يخيم على أرض الهند في عهد الشركة"[٢].

"لهذا كله رأيت أن أنصف هؤلاء بتقديم تاريخ لهذه الفترة التي عمل المستعمرون عندنا وعندهم على الحيلولة التامة بيننا وبينهم، فلم نعرف عنهم شيئًا، اللهم إلا معلوماتٍ مشوهةً، أو مستورةً"[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٦-٧.

(٢) المصدر السابق، ص٨.

(٣) المصدر السابق، ص٩.

المبحث الأول: أهمية الكتاب

هذا الكتاب يتحدث أساسًا عن مولانا أبي الكلام آزاد(١٨٨٨م-١٩٥٨م) باعتباره رائداً في حركة تحرير البلاد، وزعيمًا في سياستها، ومصلحًا دينيًا ومفسرًا للقرآن الكريم، مع الإشارة إلى مآثره ومواقفه والإحاطة بما عاشه من فترات الاحتلال والاستقلال وأحداثها ومجازرها، وهي فترات خطيرة جدا، شُغِلَ فيها المسلمون بدفاعهم عن الدين والدولة والهوية والذات، وليس في مكتبة التاريخ الإسلامي كتاب-كهذا - يأتي بتفاصيل تلك الفترة، وما اعترى الشعبَ الهنديَّ المسلمَ من عوامل الصعود والهبوط، فالمؤلف ضمن الحديث عن مولانا أبي الكلام آزاد يذكر وبكل تفصيل المشاكلَ والتحدياتِ التي تواجه المسلمين في الهند، ودورهم في التغلب عليها.

يقول الشيخ عن أهمية الكتاب: "وكان هذا الكتاب -بحق- ولا يزال المرجع المفصل، ولعله الوحيد في تاريخ هذه الفترة؛ حيث قدم الحقائق، كما هي، ووضع أمام المؤرخين الصورة الواقعية للمسلمين وغيرهم في حركة تحرير الهند وتقسيمها، وما صاحب الاستقلالَ من حوادث ومذابح، وما تركه المستعمرون وراءهم من مشكلات، كانت مشكلة كشمير -ولا تزال- من أعقدها"(١).

المبحث الثاني: لماذا مولانا أبو الكلام آزاد؟

الناظر في الكتاب إذا اطلع على قصد المؤلف في وضع هذا الكتاب بأنه يريد كتابة تاريخ ما بعد الاستقلال وما صاحب الاستقلال من حوادث ووقائع، فسرعان ما ينشأ في قلبه سؤال، وهو أنه يتواجد في الهند

---

(١) المصدر السابق، ص٧.

في هذه الفترة كثيرٌ من الزعماء السياسيين والمصلحين الدينيين، فما الداعي إلى وضع كتاب خاص بمولانا أبي الكلام آزاد؟

يجيب عنه المؤلف قائلًا: "ومولانا أبو الكلام آزاد من الزعماء المسلمين الذين كان لهم دورٌ فعالٌ في إيقاظ المسلمين وفي حركة التحرير؛ بل لا أكون مغاليا إذا قلت: إنه كان الرأس المدبر والعقل المفكر لقيادة هذه الحركة وكان هو الذي يتولى المفاوضات باسم الهند مع الإنجليز حتى نالت الهند استقلالها، بعد أن قام من فجر شبابه بحركته الإصلاحية الدينية التحررية بين المسلمين، ونفخ فيهم من روح الإسلام التي تأبى الذلة والخنوع، وعمل على تحطيم كثيرٍ من الحواجز والمخاوف التي كانت تفصل بينهم وبين إخوانهم الهندوس نتيجةً لرواسب كثيرة تفاعلت على مر السنين، وأوجدت بعض الحقد في النفوس".

"فأغراني ذلك بالكتابة عن هذا المصلح الديني والزعيم السياسي، وزادني إغراءً أنه بدأ جهاده- وهو عالم من علماء المسلمين- بحركة إصلاح إسلامية، تستمد من الدين قوتها وصلابتها وإيمانها، بدأ جهاده من واقع دينه ونظرته للحياة واحتفاله بالحرية، وكراهته للاستعمار".

"ومن أجل هذا رأيت من واجب الإنصاف لأحد علماء الهند المجاهدين بل وللمسلمين فيها أن أجعله موضوع هذه الرسالة، وأن أكشف عما قام به وبذله من جهود لإحياء الروح الإسلامية في النفوس، ولدفع المسلمين إلى أن يتقدموا حركة التحرير الوطني، تطبيقًا لتعاليم دينهم وتحقيقًا للعزة التي كتبها الله لهم، وأكشف كذلك عما تحقق له من نجاحٍ في كلتا الجبهتين"[1].

---

(١) المصدر السابق ، ص٧-٨.

الفصل الثاني:
المدخل

ألقى المؤلف في مدخل الكتاب ضوءًا على المسلمين في الهند منذ دخلها الإسلام حتى عصر آزاد، فذكر ما للهند من مزية وعراقة في جذور التاريخ البشري، ثم تحدث عن الصلة العربية الهندية قبل دخول الإسلام، وأن الإسلام دخلها عن طريق التجار العرب المسلمين، الذين حملوا معهم إلى هذه البلاد دينهم وثقافتهم، ورسالتهم الإسلامية التي أكدت على التوحيد والمساواة الإنسانية؛ مما أثر في الهنود أيما تأثير، فدخلوا في دين الإسلام، ثم ذكر اهتمام الخلفاء بنشر رسالة الإسلام في البلاد الهندية، ثم دور الغزاة والفاتحين المنتصرين بدءًا من محمد بن قاسم الثقفي، ومرورًا بكل من الدولة الغزنوية والدولة الغورية والدولة الخليجية والدولة التغلقية وانتهاءً بالدولة المغولية التيمورية، كما ذكر دور الشركات الغربية التجارية في إضعاف دولة المسلمين وإنهاك قواها، ووضعِ خططٍ تعليميةٍ ترمي إلى سلخ الهوية الإسلامية من قلوب المسلمين، مشيرًا إلى ما بناه المسلمون من مجدٍ وعزٍّ ، وإلى الثورة التحريرية التي أثارها أبناء البلاد ضد الإنجليز، وما إليها من الأمور الكثيرة.

وبما أن هذا التاريخ قد سبق ذكره في الصفحات الماضية، فأضرب عن بيانه صفحًا، وأتجاوزه إلى المباحث الأخرى من الكتاب.

المبحث الأول: مولانا أبو الكلام آزاد: نسبه ونشأته وثقافته

وفي الفصل الأول من الكتاب أراد المؤلف أن يذكر تعريفًا مفصَّلًا بالشيخ مولانا أبي الكلام آزاد، استغرق ٣٢ صفحة.

يقول الشيخ في بداية التعريف بشخصيته:

"أبو الكلام آزاد" اسم ملأ الأسماعَ والقلوبَ في الهند وخارجها، والكثير منا يذكرون هذا الاسم، ولا يعرفون عن صاحبه شيئًا، مع أن له شخصيةً نادرةً، قل أن يجود الزمان بمثلها، جمع بين الإمامة والزعامة في الدين والعلم والأدب والإمامة في السياسة؛ حتى كان غاندي وزعماء الفكر والسياسة من المسلمين وغيرهم يطلقون عليه لقب "الإمام"، فهو في حركة التجديد الديني لا يقل شأنًا ولا أثرًا في الهند عن جمال الدين ومحمد عبده في البلاد العربية، ومن حيث السياسة لا يقل شأنًا عن غاندي؛ بل يفوقه في إدارة الدفة السياسية لبلاده بحكمةٍ ولباقةٍ وفهمٍ لمقتضيات الكفاح، و"نهرو" يُعتبر من تلامذته في السياسة، وممن كانوا يتمنون في مطلع شبابهم أن يروه، ويجلسوا معه؛ حتى إذا تولى رئاسة الوزارة كان لايقطع برأي دون استشارته"(١).

وبعد هذا السرد المشوِّق لشخصية آزاد يتساءل: فمن هو ذلك الرجل العظيم؟

وبدوره أجاب عن هذا السؤال وأسهب فيه، يقول الشيخ عن اسمه:

---

(١) المصدر السابق، ص٣١.

"محيي الدين أحمد" اسم اختاره له والداه حين ولادته، وظل ملازمًا له في صغره، والأيام الأولى من شبابه؛ حتى إذا خرج من هذا النطاق واتخذ لنفسه طريقًا جديدًا في حياته اختار لنفسه لقبًا، وهو آزاد، ومعناه "حر"، ثم عُرِفَ فيما بعد واشتهر باسم "أبو الكلام آزاد".

أسرته:

تحدث الشيخ تحت هذا العنوان عن أسرة آزاد، فقال:

"لم تكن أسرته أصلا أسرةً هنديةً؛ ولكنها أسرةٌ وفدت على الهند من هراة من بلاد الأفغان، أيام الإمبراطور "بابر" المغولي الذي أسس الدولة المغولية في الهند سنة ٩٣٢هـ – ١٥٢٦م، واستقرت الأسرة إلى مدنية آكرا ثم انتقلت إلى دلهي"(١).

وكان العلم والدين متجذرين في أسرته جيلًا بعد جيلٍ، فكان أحد أجداده مولانا منور الدين يشغل وظيفة ركن الدين، وهي وظيفة يشرف منها على التعليم في الدولة، وكان ذلك في عهد الامبراطور شاهجهان، وعندما كان الأمر بيد الإنجليز وعادوا يديرون دفة الحكم في الهند تُوُفِّيَ جدُّ مولانا آزاد، وترك ابنَه خير الدين –والد آزاد– صغيرًا، فكفله جدُّه لأمه، وربَّاه تربيةً دينيةً صوفيةً، وهذا الجدُّ قد هاجر إلى مكة، ومعه خير الدين ليقضي حياته بجوار البيت.

وكان الشيخ خير الدين عندما وصل إلى مكة في الخامسة والعشرين من عمره، فبنى له دارًا فيها، وتزوج بنتَ أحد العلماء الكبار، وعمل في

(١) المصدر السابق، ص٣٢.

إحدى دوائر الحكومة، حتى اشتهر بإصلاح "عين زبيدة" بمكة، وكان إصلاحها مهمةً عظيمةً، شارك فيها المسلمون مشاركةً فعالةً، فاستطاع الشيخ خير الدين أن يجدد العينَ وقنواتها، ليجري الماء إلى مكة بسهولة، وكافأَه السلطانُ عبد الحميد الثاني على هذا العمل، فمنحه أرفع الأوسمة تقديرًا لجهوده.

قد انكسرت ساق الشيخ خير الدين وهو في جدة، وحاول علاجها بما تيسر له؛ لكنه لم يفلح، فأشار عليه بعض الأحباب إلى السفر إلى كلكتا، فورد كلكتا، وألح عليه أحباؤه أن يستقر بها فاستجاب لهم واستقر بكلكتا سنة ١٣٠٨هـ – ١٨٩٠م.

وفي مكة وقبل أن يعود للهند بسنتين وُلِدَ له ولدٌ سنة ١٣٠٦هـ – ١٨٨٨م، سماه "محيي الدين"، فمولانا آزاد أمه عربية من المدينة، وبنتُ عالم من علماء المدينة، وتُوُفِّيتْ والدتُه بعد وصول الهند بسنة، ففي أحضان الوالد العالم الصوفي المجاهد تربَّى مولانا آزاد[1].

المبحث الثاني: نشأته

نشأ مولانا آزاد نشأةً دينيةً، فكانت أسرته معروفةً في الدين والصلاح، وكان أبوه من خيرة رجال العلم والتصوف، وكان يكره المدارس الحديثة التي أنشأها الاستعمار، كما يكره المواد الدراسية التي تعلمها هذه المدارس، فأخذ يعلمه بنفسه، وإذا أتقن المواد الأولية استقدم في بيته العلماء المتخصصين، وكان مولانا آزاد غاية في الذكاء والفطنة،

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٣٤.

فأقبل على العلم إقبال الظامئ على الماء، والجائع على الطعام، وفي وقت قليل انتهى من دراسة العلوم المتداولة، ولم يتجاوز العقد الثاني من عمره، قد بذَّ أقرانه وفاق أترابه، واشتغل بالتدريس في بيته، ليكون ذلك أجلب للسرور إلى والده، فأثلج صدر أبيه وحقق أمله فيه.

يقول الدكتور عبد المنعم النمر: "فكان من الطبيعي أن يتجه الوالد في تعليم ابنه المنهج الذي تسير عليه هذه المدارس الإسلامية العربية، ويظهر أن الوالد كان حريصا الحرص كله على حسن تربية ابنه وتعليمه، كما كان على جانب من الثراء يمكنه من أن يغذي هذا الحرص أو يستجيب له، فلم يرسل ابنه كبقية أبناء الآخرين إلى المدارس الدينية، بل أخذ يعلمه هو نفسه ثم استقدم له في بيته العلماء المتخصصين ليتولوا تعليمه تحت رعايته وتوجيهه، وكانت تبدو عليه منذ نعومة أظفاره علامات الذكاء والنبوغ، مما جعله يقبل على ما يتعلمه وينبغ فيه،ى وينتهي من دراسته في وقت مبكر عن أقرانه، وهو في السادسة عشرة من عمره أي حوالي سنة ١٩٠٤م، ويسر الوالد بما وصل إليه الابن، وهو يريد أن يراه من العلماء الذين حصلوا ما يحتاج إلى تحصيله عادة كل عالم؛ لكن مع ذلك يريد أن يرى ابنه يقعد مقاعد العلماء ويدرس ما تعلمه للطلاب، فعمل على أن يجمع له بعض الطلاب في بيته، ليدرس لهم، وقام الابن الشاب العالم بالتدريس، وقرت عين الوالد واستراح[1].

يقول مولانا آزاد في كتابه الإنجليزي **India Wins Freedom**[الهند تظفر بالحرية]: "وكان والدي من المؤمنين بالتقاليد القديمة ولم يقل قط بالتعليم الغربي فلم يخطر بباله أن يدربني تدريبا حديثا أو يعلمني

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٧-٤٠.

على نمط جديد، فقد كان يعتقد أن التعليم الجديد سيقضي على العقيدة الدينية، ومن أجل هذا اهتم بتعليمي وفق الطرق التقليدية المعهودة، وكان منهاج التعليم القديم السائد بين مسلمي الهند أن يتعلم الأطفال أولًا اللغة العربية والفارسية، وعقب حصولهم على هاتين اللغتين يتعلمون الفسلفة والحساب والفلك والجبر، وكل هذه العلوم باللغة العربية، وكان لهم بجانب ذلك منهاج لدراسة الدين الإسلامي، يعتبر جزءا أساسيا لهذا التعليم، واعتنى والدي بتعليمي في داره، ولم ير أن يرسلني إلى أية مدرسة، بالرغم من أنه كانت هناك مدرسة كلكتا العربية الإسلامية؛ لكن والدي لم يطمئن إليها اطمئنانا تاما، وعلمني بنفسه في بداية الأمر، ثم عين لي عدة مدرسين لتدريس العلوم المختلفة، وحرص دائما على أن أتلقى كل فن من أستاذه المتخصص، وكان من المعتاد أن يتخرج الطلبة في العلوم المتداولة طبقًا لمنهاج التعليم القديم وأعمارُهم تتراوح بين ٢٠ و٢٥سنة، وهذا يشمل الفترة التي كان المتخرج يتولى التدريس فيها لبعض الطلاب، ليتأكد أو يتأكد أساتذته من حذقه وبراعته في العلوم التي تلقاها، أما أنا فقد كنت في السادسة عشرة من عمري، حين انتهيت من دراساتي، وجمع والدي نحو ١٥ طالبا، علمتُهم الفلسفة والمنطق والحساب للدرجة العالية"[(١)].

المبحث الثالث: آزاد ومعركة بين القديم والحديث

إن العلوم التي أتقنها آزاد كانت كافيةً ليكون آزاد مدرسًا في مدرسة من المدارس أو يكون إمامًا في المسجد أو صوفيًا في إحدى الزوايا

---

(١) Maulana Abul Kalam Azad, **India Wins Freedom**, (Hyderabad: Orient Logman Limited, 1988), P.3-4.

والتكايا؛ لكن آزاد -كما قال الشيخ عبد المنعم النمر- لم يكن من هذا الطراز الذي يقنعه ما تعلمه، ويدعوه للتعصب له؛ بل كانت له عقلية تتطلع إلى ما وراء ذلك، وأخذ يتطلع إلى مجالٍ أوسع في العلوم والمعرفة، شأنه في ذلك شأن كل شابٍ متفتح الذهن، لا يقنع بما وصل إليه من معرفةٍ في دراسته التقليدية[1].

كان مولانا آزاد متأثرًا بشخصية سيد أحمد خان ودعوته وفكره، فاستجاب لمنهجه التعليمي، وتعلم اللغة الإنجليزية، التي تكره المدارس الإسلامية تعلمها؛ ولكن بجهده الخاص، مع إرشاد بعض الأساتذة، تعلم كثيرًا من العلوم العصرية ومناهجها وأفكار المعاصرين؛ مما أحدث انفجارًا في عقليته ونفسيته، فدارت معركةٌ في نفسه بين القديم والحديث، فتوصل إلى أنه قد خرج عن التراث الجامد القديم، وكوَّن له عقليةً خاصةً في ضوء دراسته وآفاقه الحديثة التي انفتحت له. واختار لنفسه لقبًا جديدًا على عادة أهل الهند، وهو آزاد.

لماذا لقب بـ "آزاد" وكنى بـ "أبي الكلام":

تحدث الشيخ عبد المنعم النمر عن سبب هذا اللقب والكنية، وأراد أن يأتي بشيء جديد، واتصل في ذلك بكثير من العلماء والمفكرين؛ لكنه لم يجد شيئًا مطلوبًا، وقد قال بعض العلماء: إنه لقب نفسه بهذا اللقب، وكنَّى نفسَه بهذه الكنية، إشارةً إلى أنه رجل ثائر قادر الكلام.

يقول مولانا آزاد بدوره في مذكراته: "وما زلت لثلاث سنواتٍ مضطربًا حائرًا، أرتاد حلًا وافيًا لشكوكي؛ حتى بلغتُ مرحلةً انحلَّت فيها

(١) انظر: عبد المنعم النمر، مولانا أبوالكلام آزاد، ص٤٣.

جميعُ عرى القيود، التي كبَّلتني بها الأسرة في تربيتي الأولى التقليدية، وألفيتُ نفسي حرًّا من جميع هذه العوائق، فصمَّمت على أن أرسم لنفسي طريقًا خاصًا، وكان هذا سببًا في أن اتخذت لنفسي حول هذه الفترة لقبَ "آزاد"، أي الحر، رمزًا إلى أنني لم أعد مقيدًا بالمعتقدات الموروثة في نظرتي للأمور"(١).

المبحث الرابع: آزاد والانضمام إلى الثورات التحريرية

كان آزاد رجلًا ثوريًّا، ورجلًا فولاذيًا، لا يتحمل الضيم والهوان، لا لنفسه ولا لوطنه، وكانت البلاد آنذاك تمر بمراحل عصيبة، وتنقلب من حالٍ إلى حال أسوأ، فحدثت بعض الحوادث التي اضطرت آزاد إلى الانضمام إلى حركات الثورة، ومن أهم الأحداث تقسيم بنغال إلى قسمين: قسم هندوسي، أغلب سكانه من الهندوس، وقسم إسلامي أغلب سكانه من المسلمين، وذلك سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، وقد فعله الإنجليز تحقيقًا لمبدأهم: "فرِّق تَسُدْ"، إلا أن المسلمين الذين كانوا يعانون من الهندوس المتعصبين ما يعانون اعتبروا هذا التقسيم إنصافًا لهم، وتحقيقًا لأمل من آمالهم؛ بينما اعتبره الهندوس هضمًا لحقوقهم ومقدمةً لضياع نفوذهم، وظل الأمر محتدمًا بين الأطراف المعنية لست سنوات؛ حتى خضع الإنجليز في نهاية الأمر لمطالب حزب الهندوس، وألغَوْا قرارَ التقسيم السابق سنة ١٣٣١هـ - ١٩١١م، فكانت هذه الفترة مليئةً بالأحداث

(١) المصدر السابق، ص٥٢.

والضجات السياسية، وفي هذه الفترة نفسها بدأ آزاد يتفتح عقله للآفاق الجديدة، ويتأثر بالأحداث الجارية حوله.

وكان آزاد يرى أن الاختلاف والابتعاد بين الهندوس والمسلمين لا يخدم إلا مصالح الاستعمار، ولا أضر على الثورة الوطنية من أن تكون محصورةً في حزبٍ دون حزبٍ، وأن يكون الثوار منقسمين إلى أحزابٍ وأطيافٍ، فأراد أن يوحِّد الصفَّ ويجمع الكلمةَ.

ولكن المثير أنه عندما بدأ يشتغل بالسياسة والجهاد من أجل الوطن، لم يتجه إلى الزعماء المسلمين؛ بل اتجه إلى الثوار الهندوس، وبذل محاولاتٍ لإقناعهم بقبوله في صفوفهم؛ غير أنهم كانوا في ذلك الوقت ينظرون إلى المسلمين نظرةً عدائيةً، فلم يرحِّبوا به في بادئ الأمر؛ ولكنه أصرَّ على إقناعهم، حتى اقتنعوا به أخيرًا.

الواقع أن هذا التصرف من آزاد يدل على حكمةٍ وحُنْكَةٍ وتمسُّكٍ بمُثُلٍ وقِيَمٍ، والحركة الثورية التي قادها الهندوس لا بد أن يكون فيها الشبابُ غالبا؛ ولكن مع ذلك نجد لانضمام مولانا آزاد تأثيرًا على الجماعة، هو تأثير الشباب وروح الاندفاع والمخاطرة فيه، إذ أنه عرض عليهم أن يوسِّعوا حركتهم، فلا يجعلوها قاصرةً على المنطقة الشرقية؛ بل يجعلوا لها فروعًا في أجزاء الهند الأخرى، ففعلوا، مما أدى إلى انطلاق الثورة بشكلٍ سارٍ في الهند كلها[1].

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٥٣-٥٥.

المبحث الخامس: رحلته إلى خارج الهند

تحدث الدكتور عبدالمنعم النمر عن رحلة مولانا آزاد إلى خارج الهند، كان آزاد ممن يتابعون أحوال البلاد الإسلامية، فقام برحلته من مدينة كلكتا إلى البلاد الإسلامية سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م، وكان غرضه من هذه الرحلة التعرف على أحوال البلاد الإسلامية عن قرب، والوقوف على ما يجري فيها من تيارات وحركات وتطورات وأساليب، بجانب التعرف على شخصيات الزعماء والمصلحين، فجاء آزاد إلى مصر، وحركة الوعي الديني والوطني يشتد ساعدها، حضر إلى مصر في السنة التي توفي فيها مصطفى كامل، وكانت الحركات الوطنية في البلاد الأخرى تسعى إلى التحرر من استبداد الأتراك؛ بل كان الأتراك أنفسهم في بلادهم يقاومون استبداد السلطان عبد الحميد، واتصل آزاد بما أمكنه الاتصال بهم من زعماء الحركات، فاتصل بالسيد محمد رشيد رضا الذي عقد معه صلاتٍ، ظلت وطيدةً، بعد رجوعه للهند سنين طويلة، وقد اتصل كذلك برجال الأزهر؛ ولكنه لم يعجبه منهجُ الأزهر في التعليم والتربية والسياسة.

ذهب آزاد من مصر إلى تركيا، ومن تركيا إلى أوربا لزيارة فرنسا وإنجلترا والوقوف على سير الحياة فيهما؛ لكنه لم يتم رحلته هذه، إذ تلقى وهو في باريس نبأ مرض والده، فعاد سريعًا إلى الهند، ليكون بجانبه.

عاد إلى وطنه، وفي جعبته الكثيرُ مما رآه وسمعه عن أحوال البلاد التي زارها، وقد تزوَّد بمعارف وتجاربَ جديدةٍ، لاشك أنها كانت ذات أثرٍ كبيرٍ في مسيرة حياته وتكوين شخصيته(١).

(١) انظر: المصدر السابق، ص٦٠-٦٤.

الفصل الثالث:
آزاد مصلحًا دينيًا

بعد عودته إلى الهند تغيَّر أسلوبُ آزاد في قيادة الثورة، فاتجه أولًا إلى تكوين الرأي العام وبناءِ عقولٍ ثوريةٍ، لا تُقِرُّ الاستعمارَ والاستعبادَ، ولا ترضى بالذل والهوان، وقد نشأت هذه الفكرةُ لديه بعد الاتصال بزعماء العالم العربي والاطلاع على أساليبهم ومناهجهم.

يقول مولانا أبو الكلام آزاد بدوره: "وكانت نتيجة هذه الاتصالات بالثوار الأتراك والعرب أن زدتُ تمسكًا بمعتقداتي السياسية، وكانوا يستغربون إهمالَ المسلمين الهنود المطالبةَ الوطنيةَ أو معارضتَهم إياها، ورأوا أن واجب مسلمي الهند هو قيادة الكفاح الوطني في سبيل الحرية، فكانوا عاجزين عن إدراك الأسباب التي تجعل من مسلمي الهند موالين لبريطانيا في هذه الظروف، وأنا شخصيًّا اقتنعتُ أكثر من ذي قبل بأن مسلمي الهند يجب عليهم التعاون في حرية البلاد السياسية، فلا بد من خطواتٍ لازمةٍ في هذا السبيل مخافةَ أن تستغلهم الحكومةُ البريطانيةُ، ورأيت من واجبي الضروري إنشاءَ حركةٍ جديدةٍ بين المسلمين الهنود، فزدتُّ حماسًا، وتم عزمي على الاعتناء بالأعمال السياسية بعد عودتي إلى الهند".

"وبعد رجوعي للهند فكرت بعض الوقت فيما يكون منهاجي للعمل في المستقبل، وانتبهت إلى ضرورة تربية الرأي العام، وتحقيقًا لهذه الغاية لم يكن بد من إصدار مجلة"(١).

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٦٥-٦٦.

فسار آزاد على هذا المنهج الجديد، وأصدر مجلةً سماها "الهلال"، ومن على هذا المنبر أخذ يدعو المسلمين إلى التحرر العقلي والسياسي، ويوقظ فيهم الروح الدينية ويحمل على الجمود والتقليد بين العلماء، كما يحمل على البدع والخرافات، ويبين للمسلمين حقيقة دينهم ونظرته للحياة، ودعاهم بكل جرأةٍ وبسالةٍ إلى أن يعيشوا أحرارًا، وينفضوا عن كاهلهم أعباء الذل والاستعمار، ثم يتجه للقرآن والسنة يستمد منهما زادَه في دعوته، ويأخذ في إلقاء الدروس التفسيرية، ونشرها في مجلته، ثم يتوسع في ذلك، فيقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية للنهوض بالمسلمين وتحريرهم عن الطريق التقليدي.

"ومن طرائف حياته ودلائل نبوغه وعبقريته في السن المبكرة أنه دعاه أعضاء جمعية حماية الإسلام في لاهور مرةً إلى إلقاء محاضرةٍ عن "الأساس العقلي للدين"، وكان وقتذاك ابن العشرين، وكان الأعضاء قد قرأوا له بحوثًا رصينةً، كان ينشرها في مجلته، وظنوه رجلًا كبير السن؛ ولكن أخذتهم الدهشة حين لبى الدعوة، ورأوا أمامهم شابًّا صغيرًا، جاء ليلقي محاضرةً في هذا الموضوع الدقيق، فاتجهت أذهانهم إلى أن يكون هذا الشاب نائبًا عن مولانا آزاد يقرأ محاضرته؛ ولكنهم حين عرفوا أن الذي أمامهم هو آزاد الذي سمعوا عنه وقرأوا له، وأُعْجِبُوا به ازدادتْ دهشتُهم وإكبارُهم له"[1].

(١) المصدر السابق، ص٦٩.

يقول مولانا أبو الكلام آزاد مبينًا غرضه من الدعوة والإصلاح وغرض مجلته الهلال: "لا هدف للهلال إلا أن يدعو المسلمين إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله في كل الأعمال والمعتقدات، وهو يريد أن يرى المسلمين مؤمنين بالمعنى الكامل للإيمان في كل المسائل التعليمية والمدنية والسياسية، ليس له نداء إلا " تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ".

وقوله هذا يؤكد لنا أن نزعته في الاشتغال بالسياسة لم يكن يقصد بها الابتعادَ عن العمل الديني، لأن الأمور السياسية في رأيه من صلب الدين، وهي جزء من مسائله المتعددة الجوانب، ولا بد للمؤمن الكامل الإيمان أن يفهم هذا ويعمل به؛ حتى لايحتاج إلى أن يسرق الأنوار الباهتة، وعنده هذا الضوء الغامر: القرآن الكريم.

وهنا يمكن أن نقول: إنه انتقل في جهاده من مرحلة إلى مرحلة، من مرحلة الدعوة والإثارة الفكرية إلى مرحلة العمل والتطبيق، فقد عُنِيَ أولا بتعبئة الأمة بأفكاره ودعوتها للجهاد عن طريق تبصيرها بالدين وشموله، وها هو ذا قد رآها تستجيب لأفكاره، فهل يظل قابعًا أمام مكتبه يمسك بقلمه ليكتب ما كان يكتبه طوال هذه السنوات، أو ينزل للميدان العملي، ويقود الناس إلى ماكان يدعوهم إليه من الجهاد؟

ويبدو أن الدكتور عبد المنعم النمر مأخوذ بسحر شخصية آزاد، فهو يسرد أحداث حياته وآراءه الدينية والسياسية بشوق وقناعة تامة؛ حتى يفضله على جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده قائلا: "ولقد كان آزاد أسعد حظًا من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الذين ودَّعا

الحياة، وأفكارهما لاتزال تتفاعل في النفوس، ولم يكتمل تفاعلها، ولم تظهر في شكل ثورة أو جهاد، كما رأى آزاد ثمرة أفكاره، وقاد ثورة شعبه، وجاهد معه حتى تحرر من الاستعمار"[١].

المبحث الأول: مجلتا الهلال والبلاغ وأثرهما في إيقاظ المسلمين

كانت لمولانا آزاد صلةٌ عميقةٌ بالصحافة الهادفة، فكان كاتبًا في كل من مجلة "أرمغان فرخ" الأردية وفي مجلة "خدنك نظر" التي تصدر من لكناؤ، وفي مجلتي "أحسن الأخبار" و"تحفة أحمدية" اللتين تصدران من كلكتا، ثم تقدم خطوةً، فأصدر مجلات بنفسه، فأنشأ مجلةً شهريةً في بومباىٔ، ثم قَدِمَ لكناؤ، وتولى إنشاء مجلة "الندوة" لسان حال ندوة العلماء، فأقام بها زمنًا، ثم سار إلى أمرتسر وتولى إنشاء صحيفة "الوكيل" الأسبوعية، وأنشأ كذلك مجلة "لسان الصدق"، وقد كانت هذه المحاولات الصحافية البارزة مقدمةً لعملٍ صحافيٍ ضخمٍ، له دويُّه وصداه، وهو إصدار مجلة الهلال ثم البلاغ، ويأتي ذكرهما بالتالي:

مجلة الهلال:

أصدر مولانا أبو الكلام آزاد مجلة "الهلال" أسبوعيًا، ووضع لها كل الترتيبات والأسس لتكون "أنيقة الطباعة، قوية الدعوة، ليست على غرار ما يصدر من الصحف والمجلات الأوردية المحرومة من مميزات الصحافة الحديثة"[٢]، ولهذا أسس لها مطبعةً خاصةً، وصدر العدد الأول منها من

(١) المصدر السابق، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٧٦.

كلكتا في ١٢ من شهر يونيو سنة ١٩١٢م- سنة ١٣٣٠هـ، وكان مولانا آزاد ذا أسلوبٍ جديدٍ وممتازٍ في الأردية، له طابعُه الذي عُرِفَ به.

يقول "نهرو" في كتابه "من السجن إلى الرئاسة":"ولقد تكلم أبو الكلام بلغة جديدة في صحيفته الأسبوعية "الهلال"،ولم تكن جديدة في الفكرة والنظرة وحسب، بل إن تركيبها كان مختلفا، ذلك أن أسلوب آزاد كان رجوليًا شديدًا، وكان مؤثرًا قاطعًا"(١).

يقول آزاد في مزية مجلة "الهلال" ومدى تأثيره في الناس: "ولا مراء في أنه كان هناك عدد كبير من الجرائد اليومية والأسبوعية والمجلات الشهرية التي تصدر من الولايات المتحدة[أترا براديش] والبنجاب باللغة الأردية؛ لكنها كانت منحطة المستوى، ولم تكن في مظهرها أقل سخافةً من محتوياتها، وتطبع كلها على المطابع الحجرية، ومن أجل هذا كانت محرومة من مميزات الصحافة الحديثة، وقاصرة عن طباعة الصور، فصممت على أن تكون مجلتي أنيقة الطباعة، قوية الدعوة والفكرة، وتطبع على الألات الطابعة لا على الطباعة الحجرية التقليدية، ولهذا أسست مطبعة لمجلة الهلال"(٢).

ويقول أيضا: "وصدر العدد الأول منها في شهر يونيو ١٩١٢م، وكان صدوره نقطةَ تحولٍ في تاريخ الصحافة، إذ نالت في أقل وقت إقبالًا لم يُسبق له نظير، وأُعْجِبَ بها الشعب أيما إعجاب لا من ناحية طباعتها الراقية، والأوراق الجيدة فحسب؛ بل تأثروا بدروسها القوية، التي نشرتها

---

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص٧٩-٨٠.

على صفحاتها، وخلقت "الهلالُ" بين عامة المسلمين حركةً ثوريةً، وبلغ من تلهفهم عليها أن اضطررنا خلال الأشهر الثلاثة الأولى إلى طبع الأعداد السابقة مرةً ثانيةً، لرغبة كل مشترك في الاحتفاظ بمجلدها الكامل"[1].

ونظرًا إلى الأسلوب الناري الملتهب، والمعاني الثورية التي تتفجر بها مجلة الهلال نجد عالمًا زعيمًا من علماء وزعماء الهند، وهو شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي يقول بشأن الهلال: "كدنا ننسى مهماتنا، فذكَّرَتْنَا بها الهلالُ".

وظلت تعمل عملها في إيقاظ الشعب وتكوين الرأي العام ضد الاستعمار حتى شعرت الحكومة بخطورة أمرها، فأرادت القضاء على دعوتها، فلجأت أول الأمر إلى التضييق عليها، ومحاولة إيقافها عن الصدور، وتذرعت بقانون المطابع؛ لكن مولانا آزاد استمر في إصدار المجلة، ففرضت عليه الحكومةُ غرامةً ماليةً باهظةً مرتين، ودفعها الشيخ آزاد، فزاد ضيقُ الحكومة به، فأغلقت الهلالَ وصادرت مطبعتَها سنة ١٩١٥م.

يقول مولانا أبو الكلام آزاد: "إنني لم أسمح لنفسي بالاستسلام لمثل هذه التحرشات، وسرعان ما التهمت الحكومةُ الضمان، وطالبت بضمان آخر، مقداره عشرة آلاف روبية أخرى، فدفعتُها حتى أحول بينها وبين ما تريد، وقامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٤م، فطالبتني الحكومة بتخفيف حدتي، وأرادت أخذ تعهد على ذلك، فأبيتُ، فصادرتْ الهلالَ ومطبعتها سنة ١٩١٥م"[2].

---

(١) المصدر السابق، ص٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٨٢-٨٣.

مجلة البلاغ:

بعد توقف مجلة "الهلال" لم تلن قناة لأبي الكلام، فلم يستسلم، ولم يلق السلاح؛ بل صمم على مواصلة الكفاح لأداء رسالته، فعمل على إصدار مجلةٍ جديدةٍ، تحمل اسم "البلاغ" لتواصل رسالة زميلتها السابقة "الهلال"، فبعد نحو خمسة أشهر من تعطيل الهلال صدر العدد الأول من البلاغ بتاريخ يوم الجمعة ٤من المحرم سنة ١٣٣٤هـ – ١٢ نوفمبر ١٩١٥م، وأنشأ مطبعةً أخرى، سميت مطبعة البلاغ لتتولى طبع المجلة[١].

فظل مولانا أبو الكلام آزاد رجلًا حديديًا، يواصل مسيرته بقلبٍ ثابتٍ، وجأشٍ رابطٍ، لا يعوقه عن العمل تهديد مهدِّد، ولا رادعٌ حكوميٌ؛ حتى ضاقت الحكومة ذرعًا بآزاد، وأيقنت أن المصادرات والغرامات لا تَثْني عزيمته، ولا توقف صدور مجلته، فاتجهت رأسًا إلى الرجل، الذي كان الفكر المدبر والعزيمة الفاعلة واللسان الموجِّه والقلم الحر الثائر، اتجهت إليه لتقض مضجعه وتحول بينه وبين نشاطه المتركز في مدينة كلكتا في ولاية البنغال، فأصدرت أمرًا عسكريًا بإبعاده عن المدينة، وحظر صدور البلاغ وإغلاق المطبعة، وذلك بحجة تعكيره لصفو الأمن، كما تقضي بذلك قوانين الطوارئ للدفاع، وكان ذلك في ٣مارس سنة ١٩١٦هـ.

ولما سُدَّتْ أمام آزاد كل الطرق والأبواب لم يبق أمامه خيار إلا خيار الهجرة إلى بيهار، فقصد إلى مدينة رانتشي، القريبة من كلكتا، حتى يباشر منها مصالحه في كلكتا، وواصل كتابته في التفسير وترجمة معاني

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٨٣.

القرآن للأردية، كما وعد القراء من قبل، وأخذ يبذل محاولات لإعادة السماح له بإصدار مجلة البلاغ وفتح المطبعة؛ ولكن الحكومة لم تستجب له إلا فيما يختص بفتح المطبعة في يونيو سنة ١٩١٦م، فأخذ يعد العدة لطبع ما أنجزه من التفسير والترجمة؛ ولكن الفرصة لم تطل؛ حيث بعد شهر من إذن بفتح المطبعة صدر الأمر باعتقاله وزُجَّ به إلى السجن، وبذلك توقفت أعماله، وبقي في معتقله حتى آخر يوم من ديسمبر سنة ١٩١٩م، حيث أُطْلِقَ سراحه في أول يناير سنة ١٩٢٠م، بعد أن قضى في هذا المعتقل ثلاث سنين ونصف سنة[1].

المبحث الثاني: دعوة الهلال والبلاغ

تحدث الدكتور عبد المنعم النمر عن رسالة مجلتي "الهلال" و"البلاغ" بتفصيل، وأخيرا ذكر ما كتبه الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي فيما يتعلق بدعوة المجلتين، وكان الشيخ عبد الرزاق من ألصق الناس بمولانا آزاد، فقد لخص الشيخ عبد الرزاق دعوة الهلال والبلاغ الاجتماعية والسياسية في النقاط الآتية:

١- إن العبودية سواء كانت للأجانب أو المستبدين من الأمة نفسها لاتجتمع مع الإسلام، وأن السعي للحرية والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب والاغتباط بالموت في سبيله كل ذلك واجب المسلمين، وهو تراثهم الملي، الذي ورثوه عن أجدادهم، فإما أن

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٨٦.

يعيشوا أحرارًا أو يموتوا كرامًا، وليس بين هذا وذلك من سبيل في الإسلام؛ لأن شريعته مادامت لاتبيح استبداد الولاة من المسلمين أنفسهم، فكيف تبيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الأجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذي يقنع ويرضى بهذه المعيشة لا ريب في حرمانه من روح الحياة الإسلامية.

٢- على المسلم الهندي واجبان: واجب إسلامي، وواجب وطني، فالواجب الإسلامي يطالبهم بألا يحصروا نظرهم في حدود أرضهم، فإن جنسية الإسلام لا تتقيد بالوطن أو النسل، فعليهم أن يقوموا بكل مساعدة ممكنة لإخوانهم المسلمين في العالم كله، وأما الواجب الوطني فيطالبهم بالاتحاد مع أبناء وطنهم، وبذل نفوسهم وأموالهم في سبيل الحرية والاستقلال.

٣- لاتهدد الدول الغربية الإسلام أو المسلمين فقط؛ ولكنها تهدد الشرق بأسره، فيجب على الشرق أن يتماسك ويتعاضد لصون حريته وحياته.

٤- اللغة العربية هي اللغة الملية للمسلمين كافة، وأن من العوامل الأساسية للانحطاط الديني للمسلمين هجران اللغة العربية وشيوع العجمة، فيجب عليهم إحياء اللغة العربية(١).

فلاشك أن مجلتي الهلال والبلاغ قد أدتا دورهما في إيقاظ المسلمين والدعوة إلى الله تعالى وربط الأمة بالقرآن وإخراجها عن متاهة التقليد والأعمى، وأطوي هذا الكلام بما قاله علامة الهند السيد سليمان

---

(١) المصدر السابق، ص٨٦-٨٧.

الندوي في المجلتين: "لاشك أن مجلتي الهلال والبلاغ لأبي الكلام آزاد قد كونتا الذوق القرآني لدى الشبان المسلمين، وفتحتا نوافذ جديدة أمام الجيل الجديد، وعرضتا الآيات القرآنية بأسلوب بلاغي يتسم بالحكمة وجودة الصياغة والقوالب الفنية التي أثارت القلوب بنور الإيمان واليقين، وفتحت أبواب البيان والتبيين، وكشفت معاني القرآن وسمو قول الرحمن وروعة بيانه"[1].

المبحث الثالث: مولانا أبوالكلام آزاد وآراؤه في التفسير

كان أبو الكلام آزاد من الرجال الموهوبين ونوادر هذه الأمة، كان مفكرًا كبيرًا، وكان منقطعًا إلى نفخ الروح الجديدة في قلب الأمة وعقلها، فلم يجد أحسن من القرآن الكريم: ذلك التيار الإيماني والنور الرباني الذي يصنع من الإنسان الضعيف رجلًا فولاذيًا، يأتي بالعجائب والكرامات، فقد كان أبو الكلام يجعل من مجلته الهلال ثم البلاغ رصيفًا مركزيا للتوعية والإرشاد، ومن هذا الرصيف يثير همم الرجال والشبان، ويربطهم بالقرآن الكريم، فقد بدأ ترجمة القرآن الكريم وتفسيره الموجز على صفحات الهلال والبلاغ، ثم توقفت المجلتان واحدةً بعد أخرى، فتعطش الناس للمزيد الجديد من ترجمته وتفسيره، وفي هذه الأيام تم اعتقاله، فوجد الفرصة سانحة لإتمام مابدأه.

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٩٢-٩٣.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "ولقد كانت "الهلال" ثم "البلاغ" الصوتَ القويَّ لدعوته الإصلاحية ونشاطه الديني وعلى صفحاتها أخذ يبث دعوته وآراءه، وكان لابد لداعية مثله أن يعتمد –قبل كل شيء- على القرآن الكريم في هذه الدعوة، كما يقول: "لاهدف للهلال إلا دعوة المسلمين للتمسك بالقرآن الكريم وسنة رسوله الخ،...ولتحقيق غرضه بدأ بترجمة معاني القرآن الكريم بأسلوبه الممتاز في اللغة الأردية، وأعلن ذلك للناس، وبدأ ينشر في مجلته ما يقوم به من ترجمة، راعى فيها نفسية المسلمين بمختلف أطيافهم وعقلية الشباب المسلم الواعي، إلا أن هذا التفسير لم يتم كما أراد، فلم يظهر منها إلا مجلدان في سنة ١٩٣١م، بعنوان "ترجمان القرآن"، وقف تفسيره عند آخر سورة المؤمنون"[١].

يقول مولانا أبو الكلام آزاد في مقدمة الجزء الأول من ترجمان القرآن الكريم مبينًا أهمية التفسير:

"لقد كان من أول ضرورات الإصلاح الديني العمل على تعليم القرآن وفهمه بأسلوب العصر، وطبقًا لمقتضياته، ومن سوء الحظ أن ذلك لم يكن متيسرًا، إذ كان من الضروري لتحقيق هذا الغرض مايلي:

١- تنحية المشكلات التي نشأت في طريق فهم القرآن وتدبره، والتي بسببها لم نستطع الوصول إلى جوهر القرآن وأسراره، وطالما بقيت هذه المشكلات، فإن محض الترجمات أو كتابة التفاسير لا تمثل كسبًا، ولا تلقى قبولًا أو رواجًا، لذلك كان من الضروري إعداد كتاب

(١) المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١.

في الأردو، يمكن أن يقال عنه في ثقة أن قراءته وتدريسه كافيان لفهم مقاصد القرآن وإعطاء صورة عن جوهره وحقيقته، ليس ضخمًا أو مطولًا يضيق عنه وقت الدارس، وليس مختصرًا يتعثر القارئ في فهمه بسبب اختصاره، له طابع الترجمة؛ ولكنها الترجمة التي لايتوقف وضوحها على شيء آخر، بحيث يمكن اعتباره معيارًا ومنهجًا لدراسة وتدريس القرآن.

٢- كان من الضروري كذلك لنشر القرآن عالميًا أن ينتقل إلى مختلف اللغات وأن يوضع معيار أساسي للنقل والترجمة؛ ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك أي كتاب في هذا الصدد، يمكن الاعتماد عليه. كان من نتيجة تلك الحال رؤية الطريق مسدودًا أمام أية محاولة إصلاحية، فإن دعوة المسلمين إلى دراسة القرآن بطريق مباشر وعملي تمثل أولى الخطوات الضرورية للإصلاح؛ ولكن هذه الدعوة لم تنجح، لأن وسائل الفهم والدراسة كانت مفقودة.

٣- كان من الضروري كذلك الاهتمام بوضع منهجٍ سليمٍ للتعليم الديني في المدارس، ولما كان القرآن هو الأصل في ذلك، كانت وسائل تعليمه غير ميسرة، لم يكن إصلاح منهج التعليم الديني وبالتالي لم يمكن إصلاح المدارس العربية، وإن كان إصلاحها من أهم زوايا الإصلاح؛ لأنه لم يكن هناك كتاب تفسير ملائم"(١).

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٠١-١٠٣.

وبذلك يتبين ما يحمل أبو الكلام آزاد من فكرةٍ نبيلةٍ حول تنشئة الأمة الإسلامية ونشر القرآن الكريم عالميًا، ولا شك أنه كان يريد أن يأتي بمنهجٍ عمليٍ شاملٍ في تفسير القرآن الكريم والإصلاح الديني، إلا أن القدر لم يتح له الفرصة المطلوبة.

أما المهام الجسام التي كان يحلم آزاد بتحقيقها فيقول مولانا أبوالكلام آزاد بدوره في هذا الصدد:

الحق أن الذي تم إنما هو بداية، وبقي جهد آخر، يجب عمله، ولايمكن إنجاز المقصد العظيم من تعليم القرآن الكريم ونشره مالم تتحقق الأمور التالية:

١- نشر ترجمان القرآن بأعدادٍ ضخمةٍ، وفي طبعاتٍ متنوعةٍ من حيث نوع الأوراق والأجزاء، حتى يتمكن كل فرد وطائفة من الانتفاع به وحتى لايخلو منه بيت مسلم.

٢- تدوين علوم القرآن ومباحثه على نحوٍ جديدٍ، فمثلا مبحث للغة القرآن وأسلوبه، وآخر لمقاصده، وثالث لطرق استدلاله، ورابع لقصصه وأمثاله، وخامس لتاريخ نزوله وتدوينه، وهكذا، وبذلك يمكن أن يتم بيان القرآن وإيضاح مقاصده في سلسلةٍ متكاملةٍ سهلةٍ وواضحةٍ.

٣- بعد بيان أسلوب القرآن وطرق استدلاله في اختصار، ينبغي أن تُرَتَّبَ أبوابٌ وعناوينُ تدخل تحتها المطالب والموضوعات القرآنية، كل قسم على حدةٍ، فيصبح كل جانبٍ توجيهيٍ في القرآن محددًا واضحًا، وقد اكتمل ترتيب ترجمان القرآن على وجهٍ سهلٍ، بحيث يمكن أن ينشر كله مرةً واحدةً، أو في أجزاء مع ملاحظة ترتيب

الأبواب والمضامين أو وضع عناوين لها، وكما هو ظاهر في تفسير الفاتحة.

٤- ينبغي إعداد كتاب على نهج المراجع والمصادر يسهل الاهتداء به إلى بحوثه وألفاظه، فتُرَتَّبُ مثلا ألفاظُ القرآن ترتيبًا مفهومًا يشمل كل الجوانب، ويمكن أن تُطْبَعَ بعض الخرائط التاريخية والجغرافية التي وردت إشاراتٌ في القرآن إليها؛ حتى يمكن أن تعين على توضيح الأماكن والحوادث"[١].

المبحث الرابع: صلة مولانا أبي الكلام آزاد بالقرآن الكريم

كان من الواجب أن أذكر صلة آزاد بالقرآن الكريم قبل أن أخوض في مميزات وخصائص ترجمان القرآن الكريم، وهذا أمر، أغنانا فيه مولانا آزاد بدوره عن المزيد، حيث يقول:

"لقد مضى علي سبعة وعشرون عامًا بالتمام، والقرآن كان موضوع مطالعتي ودراستي ليلي ونهاري، وذهب بي الفحص والتفكير وراء سُوَرِ القرآن وآياتها؛ بل وكلماتها إلى أبعد حدوده وأوسع نواحيه، فدقق فكري سورةً سورةً، وحقق نظري آيةً آيةً، ونقبت دراستي لفظًا لفظًا، ولي أن أقول: إني قرأت من كل ما يوجد من الكتب والتفاسير - خطِّيةً كانت أم مطبوعةً- أكثرَها، فلم تفتني ناحيةٌ من نواحي علوم القرآن، وإذا كان قدقالوا: إن في العلم قديمًا وحديثًا، فإنني لم أقف عند واحدٍ منهما، فالقديم قد ورثتُه، وأما الحديث فقد فَلَقْتُه بعصاي، وجعلت لنفسي إليه سبيلاً، فهو عندي كالقديم علمـًا وذخيرةً"[٢].

(١) المصدر السابق، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص١١٥.

المبحث الخامس: الملامح البارزة لتفسير "ترجمان القرآن"

إن لترجمان القرآن خصائص وملامح، ذكرها الشيخ عبد المنعم النمر، أسردها فيما يأتي:

١- إن مولانا أبا الكلام آزاد متأثر بمدرسة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم قديمـًا، وبمدرسة الإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا حديثًا.

٢- أنه يؤثر قول الصحابي في تفسير القرآن، حين يتأكد من صحته بخلاف التابعين.

٣- لايرى أن نشد القرآن أو نخضعه للمصطلحات العلمية التي جدَّتْ على المجتمع الإسلامي نتيجة الترجمة عن اليونان والفُرْس.

٤- كما لايرى إخضاعه للإسرائيليات والروايات المشكوك فيها.

٥- لا يرى التقيد بالآراء التي ظهرت في عصر الضعف الفكري.

٦- لايرى إخضاع القرآن للمذاهب الكلامية والفقهية والصوفية.

٧- لا يرى إنزال معاني القرآن على ما كُشِفَ من نظريات علمية حديثة قابلة للنقض بنظرياتٍ مثلها[(١)].

وهنا لا بد أن أوضح أن هذه الملامح التي ميزت تفسيره لايتفق على التقيد بها جميع العلماء، ولذلك وُجِد له أنصار كثيرون، كما وُجد له معارضون نقدوه في بعض ما ذكره من آراء نقدًا أدى إلى رميه أحيانًا بالخروج عن الإسلام.

---

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ١١٨-١١٩.

المبحث السادس: الآراء التفسيرية المتفردة لمولانا أبي الكلام آزاد في نظر الشيخ عبد المنعم النمر

كان الشيخ عبد المنعم النمر متأثرًا إلى حد كبير بشخصية آزاد وثقافته ومواقفه السياسية؛ ولكن كان هذا التأثر قائمًا على بصيرة ومعرفةٍ، ففي صدد الحديث عن آراء مولانا آزاد في التفسير تعرض الدكتور لبيان آرائه وآراء مخالفيه وناقديه، ثم حاكم بينهم محاكمةً علميةً، فلاشك أن مولانا أبا الكلام آزاد تفرَّد في تفسير عددٍ من الآيات الكريمة، وتمثل هذا التفرد تارةً في شرح الغريب، وتارة في تعيين الشخصيات القرآنية، وتارةً في خلق مصطلح جديد، وتارةً في تفسير آيةٍ بغير المأثور عن السلف، مماجعله عرضةً للانتقاد والمواجهة من بعض كبار العلماء والمحدثين، وكان من أشد الناقدين عليه الشيخ المحدث مولانا محمد يوسف البنوري تلميذ العلامة أنور شاه الكشميري ، الذي كتب في مقدمة مشكلات القرآن للعلامة أنور شاه الكشميري بضع صفحات، يستعرض فيها بعض الآراء التفسيرية الشاذة لمولانا أبي الكلام أزاد، ومنها شرحه للهداية والدين والإسلام بمعناها العام، الذي يدخل فيه النصارى واليهود وسائر أهل الكتاب، ثم ينتقده ويغلظ فيه القول[1].

استعرض الدكتور عبد المنعم النمر آراء الناقدين لتفسيرات مولانا أبي الكلام آزاد، وقام بتقييمٍ دقيقٍ للآراء والتفسيرات في ضوء ما كتبه

---

(١) انظر: العلامة محمد أنور شاه الكشميري، مشكلات القرآن، مقدمة: محمد يوسف البنوري (الهند: المجلس العلمي دابهيل غجرات، ط١، ١٩٣٨م) ص٥٧.

المفسرون الثقات، ثم جاء برأي، يسدِّدفي الأغلب آراء مولانا آزاد، حيث يقول الشيخ تحت عنوان "النتيجة":

"أظن أنني أستطيع بعد هذه المناقشة وهذا العرض أن أقول باطمئنان وثقة: إن شيئًا من النقد الذي وجهه مولانا البنوري لآزاد لم يثبت؛ بل إنني أرى أن رأي آزاد هو الرأي السديد في كل ما ذهب إليه من بيان معنى الهداية والدين والإسلام ووحدة الدين الذي جاء به رسل الله جميعهم والإيمان بهم جميعهم كذلك، وأن الذين آمنوا برسولهم الذي أرسل إليهم مدة رسالته وبالرسل قبله، واتبعوا شريعته مسلمون ناجون، وأن من كذَّب رسولًا فقد خرج على الدين، وفقد سبيل النجاة، وأنه بعد بعثته محمد -صلى الله عليه وسلم- يصح الإيمان به كذلك واتباع شريعته هو سبيل النجاة الوحيد".

"وكذلك ما ذهب إليه من اختيار المسخ المعنوي والموت المعنوي لا يمكن أن يُجابَ عليه؛ بل هو الذي يميل إليه العقل، وتؤيده سنة الله والتاريخ، فاليهود عاشوا ويعيشون أذِلَّاءَ مُهانِين، مهما تكن لهم سيطرة المال، فإن القلوب تمُجُّهم وتُبْغِضُهم وتحتقر وسائلَهم الدنيئة في الوصول إلى أغراضهم"[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) المصدر السابق، ص١٤٦.

الفصل الرابع:
آزاد زعيمًا سياسيًا

كان مولانا آزاد منذ أصدر مجلة "الهلال" سنة ١٩١٢م زعيمَ الحركة الثورية والفكر الإسلامي نظريًّا، كان يثير نفوس المؤمنين ويهز وجدانهم ضد الاستعمار، وفي سنة ١٩١٦م تم اعتقاله وراء الحملات الكلامية الحادة على الحكومة البريطانية التي أقامتها ولم تقعدها، ثم تم الإفراج عنه في آخر ديسمبر سنة ١٩١٩م، فلم يسعْه إلا الانضمام إلى العمل السياسي، فانضم إلى حزب المؤتمر الوطني، وسريعًا قاد الحركة الثورية بجميع جوانبها.

يقول مولانا أبو الكلام آزاد بنفسه: "في آخرديسمبر سنة ١٩١٩م صدر الإفراج عني مع رفع الحظر عن المطبعة، وكان من الممكن أن أبدأ بالطبع فورًا؛ ولكن البلاد في ذلك الوقت كانت تموج بحركة سياسية ضد المستعمر، وكان المسلمون يرددون صدى دعوة "الهلال" و"البلاغ" للعمل من أجل تحرير البلاد في كل أنحاء الهند، ولم يكن من الممكن لي في هذه الحالة أن أتغافل عما يجري حولي، فاندفعتُ في العمل السياسي وفي حركة العصيان المدني بكل قوتي دون الالتفات إلى شيء آخر"[(١)].

وكان المسلمون قد اشتدَّ غضبُهم على بريطانيا، وذلك لهجومهم على الخلافة الإسلامية وإضعاف قوتها وإنهاك جسدها، فكانت الخلافة

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص١٦٨.

العثمانية هي آخر أمل وُضَّاء في قلوب المسلمين في الهند، بعد ما فقدوا حكمهم في الهند، فكانوا يعتبرون الخلافة العثمانية منقذًا لهم وسندًا مما كانوا يعانون ومما كانوا يخشون.

فقامت في الهند حركة منظمة أو جمعية منظمة لمساندة الخلافة في محنتها، سُمِّيَت بـ"جمعية الخلافة"، يرعاها مولانا محمد علي جوهر وأخوه محمد شوكت على بعد خروجهما مباشرةً من سجنهما في آخر ديسمبر سنة ١٩١٩م بعد أن استمرت سني الحرب كلها، وبجوار هذه الجمعية كان هناك نشاط علماء الهند الذي انتظم في "جمعية علماء الهند"، وتلاقت مع جمعية الخلافة في أهدافها، وكان بجوار هذه وتلك الرابطةُ الإسلاميةُ التي أُسِّسَتْ لرعاية شؤون المسلمين الهنود.

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: "لعلنا نذكر أن آزاد قبل أن يبلغ العشرين من عمره انضم إلى إحدى الجمعيات السرية الهندوسية للعمل معها ضد الإنجليز، ثم بعد رحلته غيَّر خطته، واتجه إلى العمل الجهري الإيجابي في تربية المسلمين وتوجيههم بواسطة مجلتيه: الهلال ثم البلاغ، فلم يكن قريبًا ولا بعيدًا أن ينضم لحزب المؤتمر".

"يقول نهرو: لقد قضى آزاد في السجن أربع سنوات تقريبًا، وعند ما خرج منه احتل مكانَه فورًا بين زعماء حزب المؤتمر الوطني".

"وأعتقد أن هذا كان مكسبًا ضخمًا لحزب المؤتمر، فمولانا آزاد له رصيده الضخم في العمل الوطني ضد المستعمر منذ أصدر مجلته الهلال سنة ١٩١٢م، كما أن له رصيده الديني كذلك في نفوس المسلمين

الذين تأثروا به أيما تأثير، وقد بَرْهَنَتِ الأيامُ على ضخامة هذا المكسب لحزب المؤتمر، على أن آزاد لم يقصر جهده على حزب المؤتمر؛ بل كانت له جهوده أيضًا في الهيئات الأخرى كجمعية الخلافة وجمعية العلماء؛ لأنه لم تكن هناك فوارق كبيرة بين هذا الحزب وبينها بالنظر لموقفها جميعها من الإنجليز"[(١)].

المبحث الأول: آزاد وحركة العصيان المدني

وفي ذلك الوقت وبالتحديد سنة ١٩٢٠م نشطت الدعوة لمقاطعة المستعمر من قبل المسلمين والهندوس معًا، تعبيرًا عما يثور في نفوسهم من غضبٍ عليه، وكان المسلمون هم السباقين لهذه الدعوة انطلاقًا من دعوة دينهم بعدم الولاء لعدوهم.

وكان "غاندي" يرى في ذلك رأيًا جديدًا، وهو المقاومة السلمية، فلا يكون فيها مقابلة القوة بالقوة؛ بل بالسلم، مع أن المسلمين قد اتفقوا على فكرة غاندى؛ ولكن غاندي يشك في بقاء المسلمين على هذا المبدأ، الذي لا يقره الشرع الإسلامي.

وقد زاد الطينَ بلةً أن حكومة بريطانيا في الهند لما رأت أن الدعوة لحركة المقاطعة أخذت تشتد استدعت زيارة ولي عهد إنجلترا للديار الهندية، ظنًّا منها أن المسلمين لا يرفضون استقبال الضيف الحاكم والترحيب به؛ مما يقلِّل المخالفات ويقرِّب بين الحكومة والشعب؛ ولكن الأمر جاء على غير ما كان يُتَوَقَّعُ، فقد بادرت جمعيةُ الخلافة وجمعيةُ علماء الهند وغيرُها بإعلان مقاطعتهم لهذه الزيارة، ودعوة الناس

(١) المصدر السابق، ص١٧٣-١٧٤.

لمقاطعتها؛ إذ رأوا فيها فرصةً يظهرون فيها سُخْطَهم على الحكومة الإنجليزية لموقفها من الخلافة ومن المطالب الوطنية[1].

وكان لمولانا آزاد نشاطٌ موفَّقٌ في اتخاذ المسلمين هذا الموقف النبيل، وصَدَقَ ما قال الشيخ عبد المنعم النمر: "والحق أن مولانا آزاد بعد خروجه من السجن سنة ١٩٢٠م ألقى بنفسه في خِضَّمِ المعركة الدائرة بين الشعب وبين الإنجليز، وأخذ يدعو الناس في كل مكان، وبكل أسلوب، وفي كل جماعة أو حزب، إلى عدم التعاون مع الحكومة، ولم يَدَعْ فرصةً تمر إلا انتهزها لِبَثِّ دعوته، يقول في مرافعته أمام المحكمة: ثم إني منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادئ بين الناس وأدعوهم إليها، ففي مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨- ٢٩ فبراير سنة ١٩٢١م بكلكتا نفسها، والذي رأستُ جلساته حملتُ المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي:

"إن أصرت الحكومةُ على غوايتها ولم تُصْغِ لمطالبنا في مسألة الخلافة يضطر المسلمون بأوامر دينهم أن يقطعوا جميع أواصر الولاء التي تربطهم بها"[2].

يقول آزاد بدوره: "إنني طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات خلال السنتين الماضيتين وحدي ومع غاندي، ولا توجد بلدة إلا وخطبت فيها على مسألة الخلافة وبنجاب والحرية واللاتعاون، ولقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى في ديسمبر سنة ١٩٢٠م مع الجمعية الوطنية العامة (الحزب

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٧.

الوطني) في ناكبور، وجمعية العلماء في ٢١ إبريل في بريلي، وجمعية الخلافة لمقاطعة أورهر في أكتوبر بمدينة آكره، وجمعية العلماء العامة في نوفمبر في مدينة لاهور، وقد رأستُ هذه الجمعيات كلها، وخطبتُ فيها خطبًا طويلةً، قلت فيها ما قلت في هاتين الخطبتين، بل أكثر منه وأشد"(١).

المبحث الثاني: القبض على مولانا آزاد و اكمته

كانت الحكومة قد ضاقت ذرعًا بما فعل الشعب من قبل هذه الزيارة (زيارة ولي عهد إنجلترا) وفشلت كلُّ أساليبها في إرهابه، أو الحيلولة بينه وبين زعمائه، فاتجهتْ أولًا إلى بعض الزعماء كمولانا محمد علي جوهر وأخيه محمد شوكت علي والشيخ حسين أحمد المدني والآخرين، وقبضتْ عليهم في يوليو سنة ١٩٢١م، وحاكمتْهم في كراتشي، وحكمتْ عليهم ثم خَطَتْ خطوةً أخرى، حين اشتدَّ الأمر، حيث ألقت القبضَ على زعماء آخرين، كان منهم مولانا آزاد، حيث قُبِضَ عليه في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١م، وكان مولانا آزاد قد أعلن قبل اعتقاله بساعات أنه سيُلقى القبضُ عليه لامحالة، وأن هذه الساعة ستكون ساعة اختبار عزم الأمة وثباتها، وصدقت الأمة في عزمها وأبلت بلاءً حسنًا، فازدادت نشاطًا وعزمًا، وبلغ عدد المسجونين خمسين ألفًا في كلكتا وحدها.

وقد أبدى مولانا آزاد جرأته العظيمة في مرافعته أمام المحكمة سنة ١٩٢٢م التي كانت تحاكمه على دعوته للمقاطعة، حيث قال: "إني أُعلن على مسمعٍ من الحكومة والمحكمة بأنني ارتكبت هذه الجناية

(١) المصدر السابق، ص١٧٧-١٧٨.

ارتكابًا، واقترفتها اقترافًا، وإن كانت الحكومة لا تعلم -وهي ولاشك تعلم- فلتعلم أنني من أولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلب أمتهم، ووقفوا حياتهم على سقيها، وتنميتها وتثميرها؛ بل إنني ولا فخر أول مسلمٍ في الهند، دعا أمته من اثنتي عشرة سنة إلى هذه الجناية دعوةً عامةً"[1].

المبحث الثالث: آزاد رئيسًا لحزب المؤتمر الوطني سنة ١٩٢٣م

في سنة ١٩٢٢م أقدمت الحكومة على القبض على جميع الزعماء السياسيين الذي أسعروا الموقف، وأقضوا مضجع الحكومة، ولما تم تنحية القادة والزعماء من المسرح السياسي عملت الحكومة في إلغاء الوحدة والتماسك بين المسلمين والهندوس وأتباع الديانات الأخرى، وقد نجحت مساعي الحكومة، فكان الهندوس والمسلمون اختلفوا فيما بينهم، وحدثت اضطراباتٌ عنيفةٌ في كل مكان، وعند ما خرج الزعماء ورأوا ما أصيب به الشعب هالـَهُمْ الأمرُ، وأدركوا الخطر، حتى إن الزعماء أيضا انقسموا إلى قسمين، كان بعضهم يؤيد استمرار المقاطعة، وكان البعض الآخر يرى وقف الموقف القديم تجاه الحكومة، وكان غاندي قد ألغى حركته، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من تحرير الهند.

أما مولانا أبو الكلام آزاد فاختار العزلة، ولم يرد أن يخوض بنفسه في خضم الاختلافات الداخلية التي لا تخدم إلا مصالح الاستعمار،

---

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص١٧٧.

يقول مولانا آزاد بنفسه: "خرجت من السجن، فوجدت المؤتمر يواجه أزمةً خطيرةً، وكانت النتيجة أن كل كفاءة رجال المؤتمر تضيع في النزاع الداخلي بدلًا من أن تُسْتَخْدَم في الكفاح ضد بريطانيا، وقاد المستر "داس" و"البنديت موتي لال نهرو" (والد نهرو) والحكيم "أجمل خان" جماعةَ المشايعين للحديث[وهو دخول المجالس التشريعية ومحاربة الحكومة من داخلها]؛ بينما كان "راجا جي" و"السردار باتيل" والدكتور "راجندر برساد" من المحافظين الذين يرون استمرار الموقف كما هو، وحاول كلا الفريقين استمالتي إليه، على أنني رفضت التحيز إلى أي معسكرٍ، وأدركت أن الخلافات الداخلية هذه خَطِرَةٌ، وتكاد تؤدي إلى تشتيت المؤتمر، إذا لم نحاصرها سريعًا، فصمَّمتُ على عدم الانحياز إلى أحد الفريقين، وحاولت توجيه كل الاهتمام إلى الكفاح السياسي، ويسرني أن أقول: إنني كنت ناجحًا في مساعي، فعقدت دورةً خاصةً للمؤتمر في دلهي، وانتُخبتُ أنا رئيسًا بإجماع الفريقين، ويُرْوَى أنني كنت أصغرَ الرجال الذين انتُخبوا لرئاسة المؤتمر سنًّا(١)".

لاشك أن هذا يدل على ماكان يتمتع به آزاد من حصافة الرأي وحسن التدبير، ثم إلى منزلته لدى الجميع، ومنهم من كان يكبُرُه سِنًّا وتجربةً، فقد كان في سن الخامسة والثلاثين في ذلك الوقت، أما فيما يتعلق باختلاف آراء الأعضاء فقال آزاد بدوره: "وكان القرار الذي وافق عليه المؤتمر في اجتماعه المنعقد في دلهي كما توقعته، فاتفق على أن يبقى الداعون إلى التغيير والمحافظون على القديم أحرارًا في تنفيذ برنامجهم"(٢).

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٧.

وبهذا الأسلوب نجح آزاد في معالجة الخلاف داخل حزب المؤتمر وحافظ بحكمته على كيانه وفاعليته.

المبحث الرابع: الخلاف الطائفي في هذه الفترة

إن الاختلاف الطائفي بين المسلمين والهندوس كان أوسع وأعمق في النفوس من الخلاف داخل الحزب، فقد كان الإنجليز قد أحكموا تدابيرهم لإشعال نار الفتنة الطائفية بعد أن خمدت مدةً قليلةً، وفتحوا جراحات واسعة، ووضعوا فيها الجراثيم الخطرة؛ حتى عزَّ على الأطباء علاجُها.

يقول السيد أبو الحسن الندوي: "واستمرت الاضطرابات وعَنُفَتْ، حتى كانت سنة ١٩٢٧م، وفي بضعة شهورٍ منها وقع خمسة وعشرون اضطرابًا، كانت حديثَ النوادي والصحفِ والشغلَ الشاغلَ للبلاد، لم يستطع زعماء المؤتمر وحركةِ الخلافة أن يوقفوا هذه الاضطرابات، ويرجعوا المسلمين والهنادك إلى الصفاء والثقة التي كانت تسود البلاد".

"وسواء أكان هذا الشعور صحيحًا أم كان فيه شيء من التشاؤم وسوء الفهم، فقد جعل هذا الشعورُ يضعِّف نشاطَ بعض الزعماء الوطنيين المسلمين الذين كانوا مشعلَ الحماسة والوطنية وجعلهم ينظرون إلى المسلمين كأمتهم التي يأوون إليها، ويشكون من زعماء المؤتمر ضيقَ التفكير وضيقَ الصدور فيما يتصل بالمسلمين الخ".

"كما أن كثيرًا من الزعماء المسلمين الذين كانوا يجمعون بين عضوية المؤتمر وعضوية الرابطة أو حركة الخلافة أخذوا يبتعدون شيئًا فشيئًا عن المؤتمر"(١).

---

(١) الندوي، أبو الحسن، **المسلمون في الهند**(دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص١٩٣-١٩٦.

ولقد خرج عن المؤتمر كثيرٌ من الزعماء كأمثال محمد علي جناح ومحمد علي جوهر، وأمثالهما؛ لكن بقي آزاد في الحزب، فكان لايرى انقسام الشعب الهندي إلى أطيافٍ وجماعاتٍ، وعمل من داخله على حفظ توازن المصالح بين الجميع؛ حتى لا تطغى فئةٌ على فئةٍ.

المبحث الخامس: حركة العصيان الثانية سنة ١٩٣٠م

في ديسمبر سنة ١٩٢٩م أصدر حزب المؤتمر الوطني قرارًا بطلب الاستقلال التام والعمل على تحقيقه في مؤتمر لاهور، وحدَّد يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٣٠م موعدًا لإذاعة هذا القرار، وهواليوم الذي لا تزال تحتفل به الهند؛ حتى الآن تحت اسم "ذكرى إعلان الاستقلال".

وبإعلان المطالبة بالاستقلال التام بدأ العمل السياسي النضالي يدب في الحزب من جديد، وأعلن "غاندي" في إبريل سنة ١٩٣٠م حركة العصيان المدني الثانية المسماة بحركة الملح؛ لأن مظهر العصيان هذه المرة كان أبرزه عصيان أوامر الحكومة الخاصة بالملح، والعمل على الحصول عليه بالطرق الفردية أو الجماعية بعيدًا عن نظام الحكومة.

وأخذ آزاد دوره في هذه الحركة التي عمَّت أنحاء البلاد، وأخذت الحكومة بدورها تقابل هذه الحركة بالشدة، فتعتقل الزعماء واحدًا بعد الآخر، وكان كل رئيس يعين مَن خَلَفَه في الرئاسة إذا ما اعتُقِل، واختار آزاد من بعده الدكتور أنصاري، وسار في طريقه يتحدى الحكومةَ، وألقى خطابًا سياسيًّا في مدينة ميروت شمال دلهي، فقُبض عليه وزُجَّ به في سجنها، ثم خرج من السجن؛ ولكنه عاد إليه مع كثير من الزعماء بعد أن

رجع "غاندي" من مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣١م، دون أن تنجح المفاوضات، فقضى في سجنه أكثر من سنة، وظلت البلاد في اضطراب؛ حتى أوقف غاندي حركة العصيان في مايو سنة ١٩٣٣م(١).

المبحث السادس: أخطر مراحل الكفاح يقودها آزاد

وفي الفصل الرابع من الكتاب تحدث الشيخ عبد المنعم النمر عن لباقة آزاد السياسية، وخبرته النادرة تحت عنوان "أخطر مراحل الكفاح يقودها آزاد"، وهي مرحلة الحرب العالمية الثانية، وتحديد الموقف الهندي منها، فكانت هناك أسئلةٌ شائكةٌ، هل تشترك الهندُ في الحرب واقفةً في صف الإنجليز؟ أم ترفض مساعدتها، باعتبارها دولةً استعماريةً سلبت حرياتهم؟ وكان من الزعماء الهنود من اختار الرأي الأول، والبعض الآخر مال إلى الرأي الثاني؛ ولكن حزب المؤتمر بادر فأصدر قرارًا قبيل إعلان الحرب، يقول فيه:

"إن من الضروري أن تتخذ الهند سياستها الخارجية الخاصة كشعبٍ مستقلٍّ، وتبقى محايدةً بين الاستعمار والفاشية، وتسلك مسلكها الخاص في سبيل الحرية والسلام"(٢).

إلا أن الحزب احتاج إلى أن يتخذ موقفًا تجاه الحرب العالمية الثانية بعد مناقشة حادَّة بين الأعضاء، لا يخلو ذكرها عن المتعة، فأنقلها كما سردها الشيخ عبد المنعم النمر:

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٩٣-١٩٥.

(٢) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في تحرير الهند**، ص١٩٧.

"ولما ازداد تلبُّدُ الجو بالغيوم، وأصبحت الحرب منتظَرة بين ساعة وأخرى، ازداد تفكيرُ الحزب في موقف الهند وفي الاحتمالات التي يمكن أن تُتَّخَذَ بشأنها".

"فلما أعلنت بريطانيا الحربَ على ألمانيا في ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩م بادر الحاكم البريطاني في الهند إلى إعلان الحرب على ألمانيا باسم الهند، دون الرجوع إلى الوزارة أو إلى المجالس التشريعية الهندية المنتخبة القائمة في ذلك الوقت، ودون مشاورة أحدٍ من زعماء الأحزاب، وفي مقدمتهم حزب المؤتمر: أقوى حزب في الهند"

"وكان في هذا دليل جديد –إن كان الأمر في حاجة إلى دليل– على أن الإنجليز لا يقيمون وزنًا لمشاعر الشعب الهندي".

"ولذا بادرت اللجنة التنفيذية للحزب بعقد اجتماع في ١٥ سبتمبر ١٩٣٩م، وأصدرت بيانًا استنكرت فيه استخفافَ الحكومة البريطانية بالشعب الهندي، والزج به في الحرب دون مشاورته أو تقديم أية ترضيةٍ له، وأن الهند لذلك لا يمكن أن تنضم إلى الحرب التي يقال فيها: إنها من أجل الدفاع عن الحرية مع أنها محرومة منها؛ بل حرمت من القليل التي كانت تتمتع به، وفكرت اللجنة في إعلان حركة العصيان؛ ولكنها اكتفت بالبيان دون إصدار قرارٍ فاصلٍ يدعو الشعب إلى اتخاذ موقفٍ خاصٍ"(١).

المبحث السابع: آزاد يرأس المؤتمر ويقود السفينة

إن استخفافَ الحكومة البريطانية بمشاعر الشعب الهندي اعتبره الشعب الهندي وزعماؤُه طعنةً نجلاءَ في صدر الشعب، فثار ثائره، واستشاط غضبًا وحقدًا على الاستعمار، واشتدت الحاجة إلى قيادةٍ

(١) المصدر السابق، ص١٩٩.

رشيدةٍ حكيمةٍ، تقود سفينةَ الشعب في هذا الجوِّ العاصف المليئ بالمخاطر والاحتمالات في مجابهة مستعمرٍ قويٍّ، فمن ذا الذي تتجه الأنظار إليه ليرأس المؤتمرَ، ويقود سفينةَ البلاد في هذه الظروف العصبية؟ نترك الكلام هنا لآزاد الذي يقول في مذكراته:

"وكانت الهند في حالةٍ من الرهبة والترقب، وازدادت رئاسة المؤتمر في هذه الظروف الحرجة الغامضة أهميةً جديدةً، وكان قد ألحَّ الأصدقاء علي في العام الماضي أن أتولى رئاسة المؤتمر؛ لكني رفضت لأسباب مختلفة، على أنني أحسست في هذه المرة بأن الموقف يختلف عن سابقه، ولا يبعد أن أكون مقصرًا في أداء واجبي إن أبَيتُ مرةً ثانيةً، وكان بيني وبين غاندي خلافٌ بشأن مساهمة الهند في الحرب، فرأيت أن الحرب قد أنشبت مخالبها ولم يبق للهند إلا أن تساعد القوات الديمقراطية؛ لكن المسألة -على كل حال- كانت "كيف تحارب الهند من أجل حرية الدول الأخرى، وهي لاتزال ترسُف في أغلال العبودية؟"، فإذا قامت الحكومة البريطانية بإعلانٍ عاجلٍ عن استقلال الهند، فسيكون من واجب الهند قاطبةً أن تضحي بكل نفسٍ ونفيسٍ في سبيل حرية الشعوب الأخرى، وبناءً على ذلك رأيت من واجبي حيال أزمة الحرب هذه أن أنتهز للخدمة كلَّ فرصةٍ تُتَاح لي، وأؤدي واجبي بكل طريقٍ يفتح أمامي، ولهذا لم أتردد في قبول الرئاسة حين أعاد غاندي طلبه مني، وتقدمتُ إليها بكل رغبة، ولم تكن في انتخاباتها منافسةٌ ذاتُ بال، وفشِل معارضي الوحيد أمام أغلبية ساحقة"[1].

---

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص١٩٨.

ومن هنا تظهر عظمة آزاد، كما ظهرت عظمته النفسية والوطنية مع ثقته بنفسه في تقديره للظروف الجديدة التي جاءت مع أحداث الحرب، فقبل الرئاسة في هذه الظروف المليئة بالأخطار بعد أن رفضها في وقت السلم، وتحمل المسؤوليةَ في أدق المواقف حرجًا، وهو يشعر بقدرته على تحملها، وبحاجة البلاد في الفترة الحرجة المقبلة إلى من يحمل العبء بجدارةٍ وثقةٍ، واستعدادٍ للتضحية، وحقًا إن العظائم كفؤها العظماء.

"**يقول الدكتور عبدالمنعم النمر:** كما أن طلب غاندي منه مرة ثانية، وفي هذه الظروف أن يقبل رئاسة المؤتمر، ثم فوزه بعد ذلك بأغلبية ساحقة في انتخاباتها يشير إلى شيئ واحد، لا جدال فيه هو أنه الرجل الثاني في الهند بعد غاندي، أو أنه الرجل العملي الأول، الذي يلجأ إليه الحزب في وقت اشتداد الروحية، وقد بقي آزاد رئيسًا للحزب طول مدة الحرب، وتولى المفاوضات باسمها؛ حتى ظفرت البلاد باستقلالها سنة ١٩٤٧م؛ بل وظل رئيسًا للحزب بعد الاستقلال حتى سنة ١٩٥٠م: عشر سنوات كانت أخطر سنوات مرت بها البلاد، وقررت مصيرها، كان آزاد هو الرئيس لأكبر حزب في البلاد يتحدث باسمها"[(١)].

وكان موقف غاندي من الحرب تحديًا كبيرًا لآزاد، حيث كان يرى غاندي وأنصاره عدم دخول الهند الحرب، فإن الحرب شدة، والشدة أشد جريمة في الدنيا لدى غاندي؛ لكن جامل آزاد هذا الموقف، وعمل بما رآه صحيحًا يخدم صالح البلاد؛ بينما كان آزاد يبحث كل البحث عن وسيلةٍ تعمل في تحرير البلاد، ولو على حساب الحرب.

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٩.

يتحدث آزاد عن هذا بشكل لا مزيد عليه قائلا: "كانت هذه الفترة من الفترات العصيبة الحرجة، التي واجهها المؤتمر في تاريخه، فقد كنا قلقين على ماينتاب البلادَ من أحداثٍ مروِّعةٍ، تهز أركان العالم، وتزلزل كيانه؛ ولكن كان أكثر منها إزعاجًا خلافاتُنا الداخلية، وكانت مهمتي بصفتي رئيسًا للمؤتمر أن أقود الهند إلى المعسكر الديمقراطي بشرط أن تنال حريتها، ولا مراء في أن قضية الديمقراطية كانت مما يُعْنَى بها الهنود، ويطمحون إليها، ولم تكن في طريقنا عرقلة إلا عبودية الهند؛ لكن غاندي نظر إلى القضية غير نظرتنا، وكانت القضية لديه هي "قضية اللاعنف" لاقضية حرية الهند، وأما أنا فقد صرحت مرارًا بأن حزب المؤتمر ليس منظمةً مسالمةً؛ ولكنه منظمة مهمتها أن تسعى لتنال الهند حريتها، ولهذا وجدت أن المسألة التي يثيرها غاندي لا تلائم حالتنا الراهنة، ولا صلة لها بالحقيقة الواقعة"[(١)].

وبذلك يتبين أن العبء الذي كان يتحمله مولانا آزاد كان ثقيلًا ينوء بالعصبة أولي القوة؛ ولكنه جاهد في سبيل الدين والوطن بقلب ثابت وعزيمة مثالية.

المبحث الثامن: مساعي مولانا آزاد في الحصول على تحرير الهند

معلوم أن آزاد كان يعتبر الحصول على تحرير الهند مهمته الأولى، وكان يريد انتهاز فرصة الحرب العالمية الثانية؛ حيث كانت حكومة

---

(١) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في تحرير الهند**، ص٢٠٢.

بريطانيا في حاجةٍ إلى كسب الودية والثقة لدى الشعب الهندي والدخول في الحرب، وكان آزاد يريد أن يكون دخول الحرب شرطًا للحرية، رافضًا في هذا مبدأ غاندي العقيم. ومن هنا بدأت لباقة وحنكة آزاد السياسية، ففي أغسطس سنة ١٩٤٠م تلقى آزاد بصفته رئيسًا للحزب دعوةً من الحاكم العام لإجراء محادثات حول إمكانية اشتراك الحزب في حكم البلاد القائم على وجود مجلس تنفيذي واسع النطاق، فبادر آزاد إلى رفض الدعوة حتى دون مراجعة أحد من الزعماء الأصدقاء، إذ ظهر له أنه لم يكن هناك أساسٌ مشتركٌ بين مطالبة المؤتمر بالاستقلال وبين ما يعرضه علينا الحاكم من مجلس تنفيذي كبير.

ورأى آزاد أن الخلافات الفرعية بين الحزب هي التي تؤدي إلى مشكلةٍ خطيرةٍ، فلا بد من توحيد الكلمة، فكانت حركة العصيان المدني أو المقاومة السلمية هي عُدة الهند في جهادها وسعيها للتحرر، وقد عرفتها البلاد ومارستها، فتحولت الحركة إلى حركةٍ شاملةٍ للمقاومة السلمية الفردية دون حدوث تجمعات.

ولم تكن الحكومة لتطيق هذه الحركة، أو تصبر عليها والحرب قائمة، فعملت بكل طرقها للقضاء عليها، وقبضت على الزعماء، وعلى رأسهم مولانا آزاد، ونهرو، وألقت بهم في غياهب السجون في أكتوبر سنة ١٩٤٠م، وقد قبض على آزاد، وهو راجع من الإشراف على الحركة في ولاية بنجاب، وحكم عليه بالسجن سنتين.

"ولكن في سنة ١٩٤١م وقع تبدل كبير وخطير في مجرى الحرب، حيث هجم الألبان على الاتحاد السوفيتي في يونيو، ثم بعد شهور وفي

نهاية السنة حدث الهجوم الألماني المفاجئ على أسطول الولايات المتحدة في ميناء اللؤلؤ بيرل هاربر، واتسع بذلك نطاق الحرب؛ حتى امتدت إلى الشرق الأقصى، وأصبح للهند وضع جديد أمام هذه الحالة، فاليابان تضرب وتنجح، وتزحف بسرعة؛ حتى اقتربت من الهند، والولايات المتحدة لا بد لها أن تقف ومعها حلفاؤها في وجه هذا الزحف، وليس من مصلحتهم أن تبقى الهند منعزلةً في هذا الوضع القلق الذي يعرقل بلا شك جهود الحلفاء في الحرب، فلا بد إذن من اتخاذ خطوة تهدئ من هذا الوضع، والإنجليز قوم بارعون في وضع الرذاذ على النار"[١].

وفي هذه الحالة كان لا بد للحكومة البريطانية من استرضاء الزعماء الهنود والتصالح معهم، فبعث أحد كبار رجالها إلى الهند؛ ولكن كان كل الزعماء في السجون، فمن سيتفاوض معه؟ لهذا قررت حكومة الهند الإنجليزية إطلاق سراح مولانا آزاد وجواهر لال نهرو في ديسمبر سنة ١٩٤١م قبل أن يكملا المدة المحكومة بها عليهما.

يقول آزاد بدوره: "ومهما تكن نوايا الحكومة نحو حزب المؤتمر فلم يكن بد أمامها من إطلاق سراحي، فإن اللجنة التنفيذية لا يمكنها أن تعقد جلساتها ما دمت أنا –رئيس المؤتمر– في المعتقل"[٢].

ويقول: "ولم أضيع الوقت بعد خروجي من السجن، فدعوت اللجنة التنفيذية إلى الاجتماع، ونظرًا لأن غاندى في تلك الأيام كان مقيمًا

---

(١) المصدر السابق، ص٢١١.

(٢) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٢١٢.

في قرية باردولي، عقدنا الاجتماع في القرية نفسها تلبيةً لرغبته، وزرت غاندي وسرعان ما شعرت بأننا زدنا اختلافًا في وجهة نظر، فإن الاختلاف لم يكن في بادئ الأمر إلا في المبادئ، بينما وجدت الآن أننا نختلف في دراسة الموقف أيضًا، فقد لمست من غاندي أنه مطمئن إلى أن الحكومة مستعدة للاعتراف بحرية الهند، إذا تقدمت الأخرى بكل مساعدة ممكنة في الجهود الحربية، أما أنا فكنت أرى -بعد دراسة الموقف- أن الحكومة البريطانية وإن كانت في غاية التطلع إلى معاونتنا إلا أنها لم تكن مستعدة للاعتراف بحرية الهند ما دامت الحرب ماشية"(١).

فكان آزاد واضح الرأي، صادق اللهجة، فلما سأله الصحفيون عما إذا كان حزب المؤتمر راغبًا في تغيير سياسته نحو الحرب أجاب: "إن ذلك يتوقف على موقف الحكومة البريطانية، فإن غيَّرت موقفها فسيغير المؤتمر كذلك موقفه؛ فإن موقف المؤتمر ليس عقيدة من العقائد التي لا تقبل تغييرًا"(٢).

وعند ماسألوه عما سيقوم به الهنود إذا هاجمت اليابان الهند؟ قال في صراحة: "إن الهنود سيلجؤون إلى السلاح، ويدافعون عن بلادهم، ثم استدرك على ذلك، فقال: لكنا لن نقوم بمثل هذا العمل إلا إذا تحطمت القيود التي تشل أيدينا والأغلال التي تكبل أقدامنا، وإلا فأنى لنا أن نحارب وأيدينا مغلولة وأقدامنا مكبلةً(٣)؟ وعلى كل فقد حضر مولانا آزاد

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢١٣.

(٣) عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٢١٣.

إلى دلهي ليفاوض الممثل الإنجليزي الداهية "السير ستافورد كريس"، وكان شهيرا بالتفاوض الدبلوماسي والبراعة في المحاورة، يقول آزاد بدوره عن هذا التفاوض:

"كنت في بلدة "واردها" عند ما أخبرني الحاكم تلغرافيًا بأن المجلس الحربي قرر إرسال السير "ستافورد كريس" في مهمته إلى الهند، فلا بد من حضوري إلى دلهي للمباحثة في المقترحات التي يحملها كرئيس لتسوية المسألة الهندية، فقبلت الدعوة، وأبرقت إلى الحاكم بدوري"[(١)].

ثم يقول: "وكان اللقاء الأول بيني وبين كريس في الساعة الثالثة من مساء ٢٩مارس سنة ١٩٤٢م، وكان قد أعد بيانًا يتضمن مقترحاته، وسلم إلي البيانَ قائلًا بأنه مستعد للمباحثة في هذه المقترحات، وشَرْحِها شرحًا وافيًا، إن احتيج لذلك، ونظرت إلى البيان فإذا هو يقترح تشكيل مجلس تنفيذي جديد للحاكم العام من المؤتمر الوطني والهيئات الأخرى، وتتعهد بريطانيا بأنها ستوجه عنايتها للمسألة الهندية بمجرد انتهاء الحرب"[(٢)].

"ولكن اختلاف وجهات نظر بين آزاد وغاندي أولًا، وبين حزب المؤتمر وبين الحكومة البريطانية ثانيًا أدى بالمفاوضات إلى الإخفاق، فكان آزاد لا يرى التنازل عن حرية البلاد أيًّا كان الأمر، ولم ترض به الحكومة، فبقي الموقف بعد المفاوضات كما كان قبلها، وهو أن المؤتمر لا يوافق على مساعدة بريطانيا في الحرب، ما لم تعترف بحق الهند في الحرية، وفي مساهمة أبنائها في تسيير دفة الحكم في البلاد"[(٣)].

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢١٦.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٢١٩.

"ومع الأيام قد تغير موقف غاندي، فكان لا يجيز بحال استعمال العنف والشدة، ولو على حساب الحرية؛ ولكن اقتنع أخيرًا بموقف آزاد الذي يفضل الحرية على كل شيء، فأصبحت حريةُ الهند هي الغاية المنشودة لدى جميع أعضاء المؤتمر، ففي ٧/ أغسطس ١٩٤٢م قرَّر المؤتمر عقد اجتماع اللجنة التنفيذية في مدينة بومبائ [ممبائ حاليا]، وقررت اللجنة فيها بيانًا، أكدت فيه إصرارها على طلب الحرية ونقل السلطة لأهل البلاد، وتعلن رغبتها في التعاون مع الحلفاء؛ ولكن تعاون الحر مع الحر، وتبدي مخاوفها من عدم استجابة بريطانيا لمطالب البلاد، مما سيدفع الشعب للجهاد من أجل حريته؛ حتى يخرج المحتل من أرضه[١].

وبعد صدور هذا القرار جُنَّ جنون الحكومة، فألقت القبض على غاندي وآزاد وجميع أعضاء المؤتمر، وساقتهم إلى سجن "أحمد نكر" في ولاية كوجرات ما عدا غاندي الذي اعتُقل في قصر آغاخان في مدينة بونا.

ينقل الشيخ عبد المنعم النمر عن مذكرات آزاد ما جرى بين آزاد وبين غاندي من حوار، وهما مسوقان إلى السجن؛ حيث يقول آزاد: "وكانت علائم الضيق باديةً على وجهه، ولم يسبق لي قط أن رأيته في مثل هذا التخاذل، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن هذا الاعتقال المفاجئ لم يكن في حسبانه، ولم يكن يقدر أن ينتهي مسعاه إلى ما انتهى إليه، وكان مطمئنَّ البال إلى أن الحكومة لن تُقْدِمَ على خطوةٍ شديدةٍ، والحق أنني

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٢٨.

أنذرته مرةً بعد مرةٍ، ونبهتُه على إسرافه في التفاؤل؛ لكنه استمسك بوجهة نظره، دون أن يلقي بالًا إلى مانبهتُه إليه، فالآن –وقد حدث ما حدث– يشهد الواقع على أنه كان خاطئ الحدس، غير صائب التخمين والتفاؤل، فبقي حائرًا، لايدري ماذا يأتيه من العمل"[1].

وكان الشعب الهندي بعد اعتقال الزعماء ثائرًا شديد الثورة، وقام بالمظاهرات وهاجم كل ما ظن أن له صلة بالحكومة وخرَّبه، واشتدت الشرطة في قمع هذه الحركة بكل الوسائل؛ حتى فشلت المظاهرات الشعبية ونجحت القوة.

وفي هذا المعتقل تلقى مولانا آزاد نبأ وفاة زوجته ثم شقيقته بقلب صابر محتسب، وسأل الحكومةَ الإفراج عنه ليلقي آخر نظرة على زوجته وشقيقته؛ لكن الحكومة تجاهلت كأن لم يحدث شيء.

وتم الإفراج عن الزعماء في يوليو سنة ١٩٤٥م، ثم بدأت المفاوضات مرةً ثانيةً.

المبحث التاسع: المفاوضة النهائية

وبعد ماتغيرت الأوضاع في الهند سنة ١٩٤٥م، اتجهت الحكومة إلى حل المشكلة الهندية، وكانت الهند يشغلها أمران في ذلك الوقت، أما أولهما فهو حرية الهند واستقلالها، وأما الثاني فهو أمر تقسيم الهند إلى دولتين، وكانت الرابطة الإسلامية التي يمثلها محمد علي جناح مصرةً على تقسيم الدولة؛ بينما كان أعضاء حزب المؤتمر يرفض هذه الفكرة بشدةٍ.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٧.

وفي هذه الأيام قامت الاضطرابات والاصطدامات والمذابح بين المسلمين والهندوس بهذا السبب، وكانت الحكومة البريطانية ممثلةً في نائب الملك تريد أن تنفض يدها من المشكلة، فتمت المفاوضة في "شملا" مقر الحكومة الصيفي، إلا أنها فشِلت أمام إصرار حزب المؤتمر على الوحدة، وإصرار محمد على جناح على التقسيم.

وكانت الأحوال مؤسفة للغاية بسبب الاضطرابات الطائفية التي ذهب ضحاياها ألوف من المسلمين والهندوس، وكان نصيب المسلمين في القتل والذبح هو الأكثر، وحاول المسؤولون في الهند وإنجلترا إيقاف هذه الموجة المؤلمة بين المواطنين الهنود؛ ولكنها كانت تزداد يومًا بعد يوم، وشهرا بعد شهر؛ حتى بدأ التفاوض الثاني في سنة ١٩٤٦م، ولم ير المتفاوضون المصرون على الوحدة بدًّا من الموافقة على قرار التقسيم؛ حتى تقف المذابح، فانتهى الأمر أخيرًا بإعلان الحكومة البريطانية قرارَها بتسليم السلطة نهائيًّا إلى الدولتين الوليدتين: باكستان والهند، في ١٥ من أغسطس سنة ١٩٤٧م.

الكلمة الأخيرة:

هكذا ظل مولانا آزاد يجاهد منذ فجر شبابه في سبيل دينه، وفي سبيل حرية بلاده، ويقود المجاهدين، ويوجه دفة السياسة في حزب المؤتمر، ويتولى المفاوضات باسمه؛ حتى ظفرت البلادُ باستقلالها، وظلَّ بعد ذلك رئيسًا للحزب حتى سنة ١٩٥٠م، حيث اختير وزيرًا للمعارف في الحكومة المركزية، وظل يشغل هذا المركز حتى تُوُفِّيَ في ٢٢ من فبراير

سنة ١٩٥٨م، الموافق ٣/ شعبان ١٣٧٧هـ، وكان بحكم مركزه في الحزب المرجعَ الأولَ في توجيه دفة السياسة الداخلية والخارجية للهند، لايُقطع فيها برأيٍ دون أخذ رأيه والاستنارة بتوجيهاته، حتى قال "نهرو" رئيس وزراء الهند في كلمته التي أبَّنه فيها: "إلى من أذهب للتشاور إذا عَنَتْ لي مشكلةٌ سياسيةٌ؟ لقد ترك وراءه فراغًا عظيمًا يتسع كلما تقدم الزمن؛ حتى لا نجد على مرروه من يَسُدُّ مَسَدَّه"[(١)].

❁......❁......❁

(١) انظر: عبد المنعم النمر، **مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند**، ص٢٣٣.

خاتمة:

وبعد هذه الجولة الممتعة في حديقة الدكتور عبد المنعم النمر الهندية الغناء الفائحة العبير، مع آراءه وتحليلاته القيمة يطيب أن نقف هنا وقفةً أخيرةً، ونسجل أهم التوصيات والنتائج، وهي كما يلي:

١- الدكتور عبد المنعم أحمد النمر المصري(١٩١٣م ـ ١٩٩١م) أحد العلماء الأفذاذ والدعاة البارزين والكتاب القديرين في المواضيع الإسلامية والأدبية والتاريخية.

٢- كان له ولع خاص بالصحافة العربية وإسهام متميز في هذا المجال، فقد أصدر مجلة الوعي الإسلامي عام ١٩٦٥م في دولة الكويت بشكل متميز، جعلها أفضل مجلات الدول العربية في حينها، ولم تكن تعادلها مجلة عربية أخرى حتى مجلة الرسالة لأحمد حسن الزيات ومجلة الثقافة لأحمد أمين في رصانة الأسلوب وقوة الفكر ودقة التحليل والشعبية الكاسحة المنقطعة النظير، وشمولها للموضوعات المتنوعة، كما أصدر مجلة منار الإسلام في الإمارات وهي الأخرى كانت من المجلات الرائدة.

٣- كان الدكتور يملك روحًا ثوريةً متوهجةً، فشارك في العمل الوطني لتحرير البلاد من الاستعمار الأجنبي، وعانى في سبيله ما عانى من الاعتقال والتعذيب، ثم تولى وزارة الأوقاف في عهد الرئيس المصري أنور السادات، ومن هذا الرصيف قدم للوطن والأمة الكثير.

٤- كان جرئيًا جدًا فيما يتبناه من رأي وموقف، ولايبالي بالناقدين والمعارضين، قد خرج في عدد من القضايا والمبادئ الفقهية عن الشائع المألوف، فتعرض لهجماتٍ شديدةٍ؛ ولكنه ثبت وصابر،

وعامل المخالفين بأدب الإسلام وبروح الحوار البنَّاء، أجل! لغيره أن يختلف معه في آرائه؛ ولكن لاينكر أحد إخلاصه للدين والأمة وبروزه في الفقه وبراعته الاستدلالية.

٥- وروده في الهند كمبعوث المؤتمر الإسلامي كان سببًا لاطلاعه على ما في الهند من مآثر ومفاخر، فبعث في قلبه همة صياغة التاريخ الهندي بأسلوبٍ عصريٍ جديدٍ، فألف كتاب تاريخ الإسلام في الهند، وتبعه كتابان آخران، وهذه الكتب هي المراجع الموثوق بها في تاريخ الهند، كما شهد به كبار مؤرخي الهند.

٦- صح أن تُطلق على كتبه في تاريخ الهند "مكتبة تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند"، فهي تحيط بفترات تاريخ الهند منذ ما قبل الإسلام حتى ما بعد الاستقلال، وبكل دقةٍ وأمانةٍ.

٧- لم يكن الدكتور عبد المنعم النمر مؤرخًا محضًا؛ وإنما كان باحثًا أمينًا وداعيًا جليلًا، فجمع المعلومات كمؤرخ، وحلَّلها كباحث، ووجَّهها كداعية وسفير للإسلام والمسلمين، هذا ما جعله ينفذ في بعض القضايا إلى بواطنها وأغوارها؛ مما خفي على كثيرين غيره حتى من أبناء الهند.

٨- إن قيمة كتبه ليست من ناحية واحدة؛ وإنما هي من نواحي عديدة، تتمثل في رشاقة الأسلوب، وجمال التحليل، ودقة البحث ووفرة المعلومات، وتصحيح التصورات الخاطئة لدى العرب عن تاريخ الهند في كثير من القضايا.

٩- في كتابه تاريخ الإسلام في الهند يستعرض الأحداث والوقائع من الفترة الزمنية القديمة حتى احتلال الشركة التجارية البريطانية

للهند عام ١٨٥٧م، يؤكد فيه ما للهند من حضاراتٍ ودياناتٍ ومجتمعاتٍ، ومناظر طبيعية وعاداتٍ وتقاليد، بجانب استعراضٍ شاملٍ لما قدمه المسلمون في الهند من روائع الآثار وبدائع النُّظُم. كما لايفوته تفاني المسلمين في الدفاع عن الوطن.

١٠- وفي الكتاب الثاني "كفاح المسلمين في تحرير الهند" يتحدث أساسًا عن تاريخ الفترة الممتدة بين ١٨٥٧م عام الاحتلال وبين ١٩٤٧م عام الاستقلال، وأدى حق البحث والتقصي، فذكر كلَّ حدثٍ هامٍّ، واعتنى بكل منعطفٍ من منعطفات الثورة، وكل حركة من حركات التحرير، كان أمينًا في نقل الآراء والمواقف، فلم يقوِّل أحدًا ما لم يقله؛ بل مثَّل الواقع الذي عاشته البلاد الهندية في ذلك العصر، وبنى كلامه على مصادر موثوق بها وشهود العيان ومشاهداته في الهند.

١١- إن فترة مابعد عام١٨٥٧م حتى استقلال الهند عام ١٩٤٧م يمكننا أن نصِفَها بفترة اضطراب في الفكر، وفوضى في العمل، وخبط عشوائي في المسيرة، وتدافع الشعوب، وتضارب الآراء، وتشتت المصالح والمنافسات الدموية بين الطوائف، ومن الصعب على المؤرخ -أيًّا كان- أن يصور الحقائق والأحداث كما هي صريحةً مستقيمةً لا غموضَ فيها ولا التواء، وعلى سبيل المثال إن "موقف غاندي من العنف"، و"حركة الخلافة"، و"مشاركة الهند في الحرب العالمية" و"تقسيم البلاد"، و"خلفيات تشكيل حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية" و"مصير الإمارات الإسلامية"

و"مقتل غاندي" و"مذابح في الهند وباكستان بعد التقسيم"؛ أحداث عظيمة، يكتنفها كثيرٌ من الغموض والأسرار، ومن الصعب جدًا أن يستوعبها المؤرخ وينصفها؛ ولكن مما يثير العجب والحيرة أن الدكتور عبد المنعم النمر قد أدى الأمانة العلمية، وصحَّح المفاهيم المغلوطة وقوَّم الحقائق المقلوبة.

١٢- وقد خصّ الدكتور عبد المنعم النمر كتابه الثالث بحياة وآثار وأفكار مولانا أبي الكلام آزاد، الذي كان شعلة ثورة ووميض أمل، وقام بدور عظيم في إيقاظ المسلمين والشعوب الهندية، وفي حركة تحرير الهند، وكان موضوع رسالته في الدكتوراه، كان الدكتور معجَبًا بشخصية مولانا آزاد وأفكاره ومواقفه، وقلمُه هنا يتدفق كالشلال، لايبالي بما اعتراه في الطريق، يتحلى بالصبر والأناة، ويبالغ في التمحيص والتدقيق، ويفصِّل في جوانبَ سياسيةٍ ودينيةٍ وفكريةٍ من حياة مولانا آزاد، وقد سبق بكتابه هذا كثيرًا من الكتاب والمؤرخين الهنود.

١٣- لشدة إعجابة بشخصية آزاد اعتنى الدكتور عبد المنعم النمر كثيرًا بأفكاره ومواقفه، ودافع عنها كل الدفاع، حتى في القضايا الفكرية الاجتهادية، وأقام الحجة على من خالفه في الآراء؛ ولكن أمانة البحث تملي علي أن أقف بجانب الحق، وأنا شخصيا لم أتفق مع مولانا آزاد ولا مع الدكتور عبد المنعم النمر في عددٍ من آرائه التفسيرية.

١٤- إن مولانا أبا الكلام آزاد كزعيم سياسي ظل ثاقب الفكر، قوي الملاحظة، واسع الأفق، واضح الرؤية، قد يفطن في بداية الأمر

للعواقب، وكان كذلك عالي الهمة، قوي العزيمة، كان إذا دبّر أمرًا مضى في تنفيذ إرادته، ويستعذب في سبيله كل المصاعب والمتاعب، ولايبالي.

١٥- أما دور مولانا أبي الكلام آزاد في تحرير البلاد فهو أشهر من أن يُذكر، وحسبه فخرًا أنه قاد الهند في أخطر مراحل الكفاح، وفي عهد رئاسته لحزب المؤتمر نالت الهند استقلالها، وبعد الاستقلال اختير وزيرًا للتعليم، وكان أول وزيرٍ للتعليم في الهند بعد الاستقلال، وقد أعد خُطَطًا تعليميةً هامةً، مازالت الهند تسير في ضوئها، وتكريمًا لمساهمته في مجال التعليم أعلنت وزارة الموارد البشرية بالحكومة المركزية بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠٨م أن الهند ستحتفل من ٢٠٠٨ فصاعدًا يوم مولده الواقع في ١١ من نوفمبر كيوم التعليم الوطني.

١٦- وبعد كل هذا أقول: إن الرأي الأخير للقارئ البصير فيما يتعلق بصحة مواقف الشيخ النمر، ودقة تحليلاته ولباقة بحثه وطرحه للقضايا، كما أن القارئ الخبير هو الذي يتحكم في مدى ما نجحتُ في اختيار الموضوع وسرد القضايا التاريخية والثورات والتقلبات التي اجتازها الوطن الهندي العزيز.

١٧- أما بالنسبة إلى عملي فأقول وبصدق وأمانة: لم يكن مني إلا أن دخلت هذه الحديقة "النمرية"، الطيبة عطرًا، البهية منظرًا، وتجولت في رحابها، فتنسمت رائحتَها، وقطفت ثمارها، وشعرب بأن من شأنها أنها تمنح العقل والقلب من روائعها وبدائعها

الشيء الكثير، لها سهولة في السّمع، ووَقْع في النّفس، وعذوبة في القلب، ورَوْح في الصدر، فأردت أن أهديَ إلى القراء شذى هذا العرف، وأُبرز فيها محاسن الظاهر والباطن، فكان ما كان، وأسأل الله سبحانه أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم ويجزي الشيخ عبد المنعم النمر خير ما يجزي عباده الصالحين. آمين.

محمد نوشاد النوري القاسمي
١٦/٠٢/ ٢٠٢٢م

قائمة المصادر والمراجع:

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ الإمام أحمد بن حنبل. مسند أحمد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ❖ الإمام البخاري. صحيح البخاري. بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ❖ أحمد أمين. زعماء الإصلاح في العصر الحديث(د.ط)القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ٢٠١٢م.
- ❖ عبد المنعم النمر. الاجتهاد. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
- ❖ عبد المنعم النمر. كتاب تاريخ الإسلام في الهند. ط١. القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة، ١٩٥٩م/ ١٣٨٧هـ.
- ❖ عبد المنعم النمر. كفاح المسلمين في تحرير الهند.ط١. القاهرة: مكتبة وهبه.(د.ت.).
- ❖ عبد المنعم النمر. آزادي هند كي جد وجهد مين مسلمانون كا حصه، ترجمة: محمد علاء الدين الندوي.ط١.الهند: مجلس كياره ستاري كهكريا، بيهار، ط١، ٢٠١٢م.
- ❖ عبد المنعم النمر.مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند(د.ط) القاهرة: قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة.(د.ت).
- ❖ عبد المنعم النمر. ثقافتنا وثقافتهم. (د.ط).القاهرة: دار المعارف. (د.ت).

❖ عبد المنعم النمر. شبابنا وقضايا دينهم. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٧م.

❖ عبد المنعم النمر. شخصية المسلم كما يصنعها الإسلام. (د.ط). القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع. ١٩٨٧م.

❖ عبد المنعم النمر. مشاكلنا في ضوء الإسلام. (د.ط). القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع. ١٩٨٧م.

❖ العلامة محمد أنور شاه الكشميري. مشكلات القرآن. ط١. مقدمة: محمد يوسف البنوري. الهند: المجلس العلمي دابهيل غجرات. ١٩٣٨م.

❖ الأميني، نور عالم. المسلمون في الهند بين خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية. ط١. مصر: دار الصحوة حلوان. ١٩٨٨م.

❖ جواهر لال نهرو. اكتشاف الهند.ط١. القاهرة: وزارة الثقافة ١٩٨٩م.

❖ الساداتي، أحمد محمود. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية. (د.ط.). القاهرة: مكتبة الآداب.(د.ت.).

❖ سلامة موسى. غاندي والحركة الهندية. ط١. القاهرة: مؤسسة الهنداوي للنشر والتعليم.٢٠١٢م.

❖ سيد محبوب الرضوي.. تاريخ دار العلوم ديوبند. ط١. لاهور: الميزان ناشران كتب، ٢٠٠٥م.

❖ عبد الحي الحسني . نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر. ط١. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

❖ عبد الحي الحسني. الهند في العهد الإسلامي(د.ط). الهند: مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد راي بريلي. (د.ت.).

❖ عبد الحي الحسني. الثقافة الإسلامية في الهند(د.ط.) دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

❖ عبد الله الكافودروي. أضواء على تاريخ الحركة العلمية والمعاهد الإسلامية والعربية في غجرات، الهند. ط٢. الهند: مجلس المعارف، كافودرا، بروص. ٢٠١٥م.

❖ عبد العزيز التعالى. مسألة المنبوذين في الهند. (د.ط.) بيروت: دار المغرب الإسلامي. ١٩٨٤.

❖ عبد الحميد البطريق وآخر. باكستان في ماضيها حاضرها. (د.ط.) القاهرة: دار المعارف.(د.ت).

❖ علي أدهم. الهند والغرب. (د.ط.). مصر: دار المعارف.(د.ت).

❖ غوستاف لوبون. حضارات الهند. ط١.ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ٢٠١٢م.

❖ فتح الله الأنطاكي. الهند كما رأيتها. (ط١). مصر: مطبعة ودع أبو دصل، القاهرة. (د.ت).

❖ المباركفوري، القاضي أطهر.. آسودگان خاك. ط١. الهند: أكاديمية القاضي أطهر المباركفوري، أعظم جراه،. ٢٠٠٩م.

❖ مولانا أبو الكلام آزاد. الهند تظفربالحرية. ط١. قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث. ٢٠١١م.

❖ الندوي، أبو الحسن. المسلمون في الهند.ط١. دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.

المجلات والصحف:

❖ مجلة الراصد. العدد: ٣٢.

❖ مجلة ثقافة الهند، ديسمبر سنة ١٩٥٣م.

❖ مجلة الوعي الإسلامي. الكويت: وزارة الأوقاف. السنة: ١. العدد: ١. مايو ١٩٦٥م.

❖ مجلة الوعي الإسلامي. الكويت: وزارة الأوقاف. السنة: ١. العدد: ٥. سبتمبر١٩٦٥م.

❖ صحيفة بوابة الأهرام. القاهرة: يوم السبت. ٢٢ من رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ١من يونيو ٢٠١٣. السنة: ١٣٧. العدد: ٤٦١٩٨.

المواقع الإلكترونية:

- موقع الجزيرة نت.
- موقع مجلة الوعي الإسلامي.

المحتويات

الباب الثاني:

كتاب تاريخ الإسلام في الهند: دراسة تحليلية

الباب الثالث:

كتاب كفاح المسلمين في تحرير الهند: دراسة تحليلية

الباب الرابع:
كتاب "مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند": دراسة تحليلية

المؤلف في سطور

الاسم: محمد نوشاد عالم

الاسم القلمي: محمد نوشاد النوري القاسمي

اسم الأب: محمد متين الدين بن نور الحسن بن الشيخ غوث ور بن الشيخ زاهد بن ظهور الصديقي.

الميلاد: ١٨ من شهر شوال عام١٤٠٤هـ الموافق ١٧ من شهر يوليو عام ١٩٨٤م، يوم الثلاثاء.

الوطن: حميد پور من مقاطعة سمري بختيارپور، بمديرية سهرسة بولاية بيهار, الهند.

المؤهلات التعليمية:

١- الفضيلة في العلوم الشرعية من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند عام٢٠٠٨م

٢- التخصص في اللغة العربية وآدابها من نفس الجامعة عام٢٠٠٨-٢٠٠٩م

٣- التخصص في الفقه الإسلامي من نفس الجامعة عام٢٠٠٩-٢٠١٠م

٤- الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة لكناؤ الهند عام ٢٠١٧م

٥- الماجستير في الفلسفة (M.PHIL) في اللغة العربية وآدابها من جامعة دلهي عام٢٠٢٠م

٦- الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة دلهي، التحق بمرحلة الدكتوراه في ١٧ من شهر مارس عام ٢٠٢١م، ولم تكتمل من بعد.

المؤلفات العربية:

١- التشبه في الإسلام، تعريب كتاب التشبه في الإسلام للشيخ حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي رئيس دار العلوم سابقا ومؤسس هيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند.

٢- البيعة في عهد النبوة، تعريب كتاب بيعت عهد نبوي ميں للشيخ سيد محمد ولي الرحماني أمين عام هيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند سابقا.

٣- موقف الإمام النانوتوي من القضايا الخلافية

٤- الدكتور عبد المنعم النمر حياته ومؤلفاته في تاريخ الهند: دراسة تحليلية
٥- في واحة الكتب: دراسات حول الكتب والرسائل
٦- زينة المرأة المسلمة: أنواع وأحكام (غير مطبوع)
٧- أواصر بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى (غير مطبوع)
٨- الشيخ محمد سالم القاسمي ومساهمته في نشر اللغة العربية في الهند (رسالة الماجستير في الفلسفة)
٩- تعريب كتاب الأمم المسيحية في ضوء التعاليم الإسلامية للشيخ محمد طيب القاسمي (غير مطبوع)

المؤلفات الأردية:

١- اهل السنة والجماعة: تعريف وخصوصيات
٢- عكس احمد، سيرة الشيخ الحافظ محمد احمد النانوتوي ابن الإمام محمد قاسمي النانوتوي، بمشاركة الدكتور محمد شكيب القاسمي.

عن الكتاب

"وسرّني كثيرًا أن الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي قد بذل جهودًا مشكورةً في التعريف بأعمال الشيخ عبد المنعم النمر في تاريخ الهند دراسةً وتقويمًا، وهو أهلٌ لذلك... إن أسلوبه مثير وشيّق جدًا، يتدفّق قلمه كالشلال، ويجري يراعه بهدوء ورزانة، فمن المأمول أن ينال هذا الكتابُ القبول والاعتراف في الدوائر العلمية والأدبية لا في الهند فحسب؛ بل في أوساط العلم والأدب في العالم العربي أيضًا".

(البروفيسور محسن العثماني الندوي)

"ويزيدني سعادةً أن هذه الرسالة هي إحدى ثمرات قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ- الهند...فإني أحيد أخي العزيز محمد نوشاد النوري القاسمي على إنجاز هذا العمل الأكاديمي الهام".

(البروفيسور مشير حسين الصديقي)

"وكان من حق جهود الشيخ عبد المنعم النمر أن تكون موضوعًا بحثيًا، يتم فيها التقييم الحقيقي لهذه الجهود والكشف عما تحمله من مميزات بحثية وقيمة حضارية، ويسرني أن الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي اختار خدمات الشيخ عبد المنعم النمر رسالةً للماجستير في اللغة العربية وآدابها، وبذل فيها جهودًا مشكورةً حتى أكملها بشكل بحثي ممتاز".

(الدكتور محمد شكيب القاسمي)

"فالكتاب الذي بين يديك يتناول هذا الموضوع بكل دقة وعمق، ألفه أخونا الفاضل محمد نوشاد عالم النوري القاسمي... والحق أن هذا الكتاب خير دليل على قدرته البحثية وتميزه في مجال الكتابة والإبداع".

(الدكتور عرفات ظفر)

Hujjat al-Islām Academy
Al-jamia al-Islamia Darululoom Waqf, Deoband
Eidgah Road, P.O. Deoband 247554, Distt. Saharanpur U.P. India
Tel : + 91 1336-222312, Mob : + 91 9897676736
Website: www.dud.edu.in
Email: hujjatulislamacademy@dud.edu.in, hujjatulislamacademy2013@gmail.com